

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

جمهورية السودان  
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة أم درمان الإسلامية  
معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي  
الدراسات العليا

## الصورة الفنية في شعر أبي القاسم الشابي

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب والنقد

إعداد الطالب: عدنان علي نزهة

إشراف الأستاذ الدكتور: بابكر الجزولي عثمان

العام الدراسي ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

((قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون))

صدق الله العظيم

**إلهـاء**

إلى أبي ، إلى أُمي

للروح منبع الوحي والإلهام

إليك .....

إليك .....

إليكم .....

يا من تزرعون الحنطة والورود

ابتسامات في عبير الزمن

نورا خبزا وضياء

راجياً من الله تعالى القبول

بسم الله الرحمن الرحيم

## شكر وتقدير:

تنحني الروح سجوداً أبدياً للباري الذي منحني العون ، وأمدني  
بجنود الصبر لإكمال بحثي هذا وأتمنى أن يكون فيه نفع لطلبة العلم .  
أتقدم بوافر الشكر والعرفان لكل من مد يد العون لإظهار هذا الجهد  
المتواضع إلى حيز النور ، خاصة للجامعة العريقة التي أنتسب إليها  
جامعة أم درمان الإسلامية ، وللرعاية الكريمة التي وفرها معهد بحوث و  
دراسات العالم الإسلامي لظهور هذا البحث المتواضع لحيز النور ، كما  
أتقدم بوافر الشكر والعرفان لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور بابكر  
الجزولي لوقوفه إلى جانبي وتقديم النصح والإرشاد لإنجاز هذا البحث  
، و أتقدم بوافر الشكر للأستاذين عضوي لجنة المناقشة .

وأخص بوافر الشكر الأستاذ الشاعر عبد العزيز سعود البابطين رئيس  
مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري على الكتب  
التي أهدانيها .

وأتوجه بالشكر والعرفان لأسر المكتبات والدور الثقافية في السودان  
وسوريا والإمارات. وإلى كل الأخوة الذين وقفوا إلى جانبي ولو بكلمة  
تشجيع صادقة.

والله أسأل أن يوفقنا ويسدد خطانا لما يرضيه ، وأخر دعوانا أن الحمد  
لله رب العالمين .

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين الهادي الأمين سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن اهتدى بهديه ، واستن بسنته ، وجاهد في الله حق جهاده إلى يوم الدين . وبعد .....

هذا البحث بعنوان : (الصورة الفنية في شعر أبي القاسم الشابي)

١- أهمية الموضوع :

تعود أهمية الموضوع إلى الخصوصية التي أحاطت بالشاعر من نواح مختلفة ، يعود بعضها إلى الظرف التاريخي والمرحلة التي ظهر فيها الشاعر حيث كانت مرحلة مواجهة الاستعمار مع ما يعاينه المجتمع من تخلف وجهل وتقليد للقديم ، وإلى النهج الذي سار عليه الشاعر في شعره حيث خالف النهج السائد آنئذ ، ولقد اتخذ منهجا رآه أقدر على نقل رسالة الشعر والشاعر وبث الحياة والأمل والخلاص والهمة والطموح ، وانتقل بأفقه الإنساني من محيطه العربي ليصل إلى أطراف العالم، وكذلك نظرا للظروف الصحية التي أصابت الشاعر ، ولرحلة العمر القصيرة التي عاشها مليئة بالشعر النابض بالحياة المتطلع دائما إلى الخلاص ، وإلى أغاني الحياة رغم الظلم والظلام والمرض .

٢- أسباب اختيار الموضوع :

لأن الشاعر كان ظاهرة جديدة في بلاده وعصره ، واستطاع أن يواجه الصعاب ويتغلب عليها ، ويظهر صوته الجديد والمميز في بلاده والمتناغم مع شعراء الرومانسية ، والتميز عنهم بصدور أشعاره عن تجربة معاناة حقيقية في الحياة والحب وتحدي الظلم والظلام ، ولنبوغه وتحديه رغم صغر سنه ، ولأنه صاحب مذهب في الحياة عاش له ومات عليه وهو مذهب الحق والخير والجمال ، ولأن نهجه مستمد من العقيدة الإسلامية حيث يدعو لرفض الظلم ويرى الحياة مواجهة وعملا وأملا ، ولذلك ابتعد عن التكسب بشعره، والذي كان يصدر عن الوجدان والقلب لنقل تجاربه الشعرية

ومعاناته الصادقة ، لذلك وجد الباحث أهمية متميزة للدخول إلى عالم الشاعر الفني من خلال دراسة الصورة الفنية في شعره ، والوقوف من قبل الباحث على عناصر الصورة الفنية عنده، وفاء منه وإخلاصاً للشرفاء الذين وقفوا بحياتهم من أجل الحق والخير والرحمة والإنسانية والسلام، ولأنه شاعر تجاوز عذابات وهوميه ليبحث عن غد أجمل للإنسان تجاوز حدود المكان فكان ناقماً على الظلام والجهل والاستبداد باحثاً عن الحياة وعن الصباح الجميل والغد المشرق .

وقد لاحظ الباحث أثناء بحثه أن ما كتب عن الشابي كان يتحدث عن عناصر جزئية حول الشاعر ومعاناته ، أو أن يلقي بعض الأضواء على تجربته الشعرية من خلال مقارنته مع شاعر آخر، بالإضافة إلى كتاب بعنوان الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي لمحدث سعد محمد الجبار، وقد تحدث الكاتب فيه عن دور الكلمة والتشبيه والاستعارة والرمز في بناء الصورة الشعرية، وأغفل الجانب الموسيقي .

### ٣- منهج البحث :

أخضع الشاعر ما يصدر عنه من تجارب إلى القلب والمشاعر ، وبما أن الشعور هو الصورة التي تعبر عن التجربة الشعرية ، ((فالصورة هي وسيلة من الاتصال الشعري لخلق معنى محدد وليست غاية في حد ذاتها ))<sup>١</sup>، ومن هنا فالمعاني تصدر عن الصورة التي تعبر عن تجربة الشاعر .

وعن طريق اللغة يعبر الشاعر عن الصورة ، والصورة تحمل رؤى الشاعر وتعبر عن مشاعره ومعاناته، والقصيدة تصير بذلك مجموعة من الصور التي تنقل التجربة الشعرية .

### ٢. الشعرية

انطلق الباحث من ذلك الإطار النقدي لدراسة الصورة الفنية في شعر أبي القاسم الشابي ، وذلك من خلال التزامه بالمنهج المتكامل والاعتماد على العمل الأدبي ، ليبحث من خلاله عن الصورة الفنية، في إطار العمل التاريخي ٣ ، وفي علاقته بذات الشاعر ، ومؤثرات البيئة المحيطة به وإبراز قيمته الفنية التي يتحلى بها .

١- إ.أ. ريتشاردز: مبادئ النقد الأدبي، ترجمة د. مصطفى بدوي، د. ط. المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر ، القاهرة، ١٩٦٣م ص١٧٣.

٢- د. عز الدين إسماعيل: الأدب وفنونه، ط٧، دار الفكر العربي بيروت، ١٩٧٨م.

٣- جودت الركابي: منهج البحث الأدبي في إعداد الرسائل الجامعية، ط١، دار ممتاز دمشق ١٩٩٢م، ص٨.

وقد أدى ذلك إلى وقوف الباحث على النصوص ومعالجتها بعد التأمل بدقّة وموضوعية ، وقد حاول الباحث تلمس القواعد والأسس النظرية التي تخدم منهج البحث ، فنظر إلى الصورة من خلال تجربة الشاعر وما تحمل مما في نفسه من رؤى وتوتر وطموح، يعبر عن عملية الإبداع التي تعكس واقعه وعلاقته بالحيط ونظراته إلى العالم وظروفه الحياتية وثقافته، وعلاقة ذلك في الصورة الفنية التي تعبر عن ذلك كله ، كما وقف الباحث على دور الخيال والموسيقى واللغة في التعبير عن الصورة الفنية .

أهم المصادر والمراجع :

( أ ) - المصادر والمراجع الخاصة بالشاعر :

اعتمد الباحث في بحثه على ديوان الشاعر طبعة دار المغرب العربي - تونس، ١٩٩٤م. تحقيق وتقديم الدكتور نور الدين صمود ، برعاية مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، تلك المؤسسة التي أعلنت بلسان راعيها ومؤسسها الشاعر الأستاذ عبد العزيز سعود البابطين خدمة الشعر العربي قديمه وحديثه وقررت أن تكون دورة أكتوبر ١٩٩٤م للشاعر أبو القاسم الشابي والتي أقيمت في مدينة فاس في المغرب العربي، وتقرر إعادة طبع كافة مؤلفات الشاعر بتقديم جديد وتحقيق جامعي ١، لذلك اعتمد الباحث هذه الطبعة من بين الطبقات العديدة التي اطلع عليها من الطبعة الأولى في سنة ١٩٥٥م وحتى الطبقات التي صدرت مؤخرا ، وقد قام محقق الديوان موضع الدراسة بحذف بعض القصائد التي قرر الشاعر نفسه حذفها لضعفها رغم أنها أضيفت لطبقات الديوان الأخرى ، وقام بإضافة بعض القصائد المناسبة للظهور ٢، وقد بلغت قصائد الديوان في هذه الطبعة أربع ومئة قصيدة، وقد ذيلت بتاريخ كتابتها. ومن الطبقات الحديثة طبعة قام بتحقيقها الدكتور إميل أ. كبا ط ١، دار الجليل بيروت ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، وكان عمله في مجلدين ضم الأول ديوان أغاني الحياة قام بتوزيعه حسب الموضوعات وعلق على القصائد وشرح مفرداتها، وضم المجلد الثاني نشر الشابي و الخيال الشعري ، واليوميات ، والرسائل . وطبعة أخرى ضبط

= و سيد قطب : النقد الأدبي أصوله ومذاهبه ، ط ٥ ، دار الشروق بيروت ١٤٠٣-١٩٨٣م ، ص ٢٢٦ .

١- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، تحقيق وتقديم د نور الدين صمود ، ط ١، دار المغرب العربي - تونس ١٩٩٤م ، ص ب ج .  
٢- المصدر السابق نفسه ، ص ٨-٩ .

وشرح د. محمد نبيل طريفي ط ١، المكتبة العصرية ، بيروت ١٤٣٢هـ - ٢٠٠٢ م رتبه حسب القوافي وشرح بعض المفردات وأورد معه رسائل الشابي .

ووقف الباحث على الجانب النظري عند الشاعر الذي يتمثل في كتابه الخيال الشعري عند العرب ، إعداد وتقديم الدكتور عبد السلام المسدي والمذكرات إعداد وتقديم الدكتور كمال عمران ، ورسائل الشابي إعداد محمد الحليوي، وكتاب نثر الشابي ومواقفه من عصره إعداد وتقديم أبو القاسم محمد كرو ، وكتاب الشابي في مرآة معاصريه اختيار وتقديم أبو القاسم محمد كرو ، ورسائل حول الشابي إعداد أبو القاسم محمد كرو ، وكلها طبعت برعاية جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، ط ١ ، دار المغرب العربي تونس ، ١٩٩٤ م . وقد حصلت على هذه الكتب مع نسخة من ندوة دورة أبو القاسم الشابي كهديّة .

وقد اطلع الباحث على ما قام به بعض النقاد والدارسين في المغرب والمشرق من دراسة جوانب مختلفة من حياة الشاعر وشعره وقام البعض الآخر بعقد مقارنات بين الشاعر وبعض الشعراء الآخرين ، وعلاقة الشاعر بالرومانسية ودوره في مدرسة أبوللو وغيرها ، من أمثال كتاب الدكتور عبد الله الطيب المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، وكتب إيليا الحاوي: كتاب الشعر العربي المعاصر - أبو القاسم الشابي ، وكتاب الرومانسية في الشعر الغربي والعربي . وكتاب دراسات في الشعرية الشابي نموذجاً لحماذي صمود . وكتاب (أبو القاسم الشابي في شعره) لـ جرجس ناصيف. وكتاب الشابي شاعر الحب والحياة للدكتور عمر فروخ. وكتب أخرى كثيرة تبحث في الموضوع .

### بعض المراجع القديمة:

بين الباحث مفهوم الصورة الفنية قديماً من خلال ما جاء عند عبد القاهر الجرجاني في كتابيه أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز ، وكتاب الوساطة للقاضي بن عبد العزيز الجرجاني ، وكتاب الطراز للعلوي اليميني ، ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني وغيرهم .

## بعض المراجع الحديثة :

التفت الباحث إلى كتب النقد الحديثة التي تناولت موضوع الصورة الفنية من خلال الدراسة النظرية والتطبيقية، ومن ذلك كتب الدكتور جابر عصفور؛ ومنها الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، وكتاب مفهوم الشعر، وكتاب قراءة التراث النقدي ، وكتاب للدكتور عبد القادر القط ، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي، وكتابين للدكتور عز الدين إسماعيل الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية، وكتاب الأدب وفنونه . وكتب للدكتور نعيم اليافي ومنها ؛ مقدمة لدراسة الصورة الفنية، والصورة الفنية، والشعر العربي الحديث . وكتاب الصورة الشعرية في النقد العربي للدكتورة بشرى موسى . وكتابين للدكتور شوقي ضيف ؛ في النقد الأدبي ، ودراسات في الشعر المعاصر . وكتاب نظرية اللغة والجمال في الشعر العربي للدكتور تامر سلوم . وكتب كثيرة تحدثت عن موسيقى الشعر منها : كتاب موسيقى الشعر العربي للدكتور شكري عياد . وفن التقطيع الشعري والقافية للدكتورة صفاء خلوصي . وكتاب عضوية الموسيقى في النص الشعري للدكتور عبد الفتاح صالح نافع . كما التفت الباحث إلى الكتب التي تحدثت عن الرومانسية ، والكتب التي تناولت شعراء الرومانسية العربية من أمثال شعراء المهجر وشعراء أبوللو والتي تحدثت عن الشاعر ، ومنها كتب إيليا الحاوي، وكتب محمد عبد المنعم خفاجي وغيرها .

وقد اطلع الباحث على بعض الرسائل الجامعية منها ؛ الصورة الفنية في شعر ابن سهل لـ أشرف محمود نجا ، والصورة الفنية في شعر إبراهيم ناجي لـ خالد عبد الله وغيرها.

كما توقف عند بعض الدراسات الواردة في بعض الدوريات حول الموضوع ، كما وقف الباحث عند كتب أجنبية مترجمة تحدثت عن الصورة الفنية ، وبعض الكتب الأجنبية .

كما اعتمد الباحث على كتب النقد قديمها وحديثها راصدا من خلالها تطور مفهوم الصورة الفنية ، مستفيدا مما جاء في كتب النقد الغربي أيضا .



ولعل أهم ما يميز هذا البحث أنه دراسة شاملة للصورة الفنية عند الشاعر؛ حيث تناولت الدراسة الجانب النظري من خلال كتاب الخيال الشعري عند العرب ورسائله ومذكراته ، بالإضافة لما جاء في أشعاره ، وحاول الباحث دراسة الصورة الفنية من خلال علاقتها بنفسية الشاعر وواقعه الاجتماعي ومحاولة الوقوف ومن خلال رؤية موضوعية على ما في النصوص من صور فنية وإبداع .

وبعد هذه المقدمة العامة التي كانت بداية البحث والتي حدد فيها الباحث منهجه ، انطلق الباحث لمعالجة جوانب البحث الأخرى . حيث بدأ بتمهيد عن حياة الشاعر وعصره؛ ووضعه النفسي والثقافي والاجتماعي كما بين منهجه في الأدب والحياة ودور ذلك كله في توجيه فعل الإبداع في الصورة الفنية عند الشاعر ، ثم أورد الباحث بعد ذلك أربعة فصول تكوّن عناصر الصورة الفنية .

### الفصل الأول:

يتحدث الفصل الأول عن موضوعات الصورة الفنية : بدأ الباحث الفصل بتمهيد عن دور الصورة الفنية في فعل الإبداع والتعبير عن التجربة الشعرية ، وبعد ذلك بدأ الحديث عن موضوع فلسفة الحياة الذي تحدث فيه الشاعر عن موقفه من الحياة والفناء ، والطبيعة التي عبرت عما في نفس الشاعر من خير ورحمة وطموح وتحدي إنها معادل لعالم النور إنها عالم الأنا والانس والسعادة ، ثم تحدث عن موضوع الكآبة والأحزان التي ولدت لتصارع بين الرؤى والواقع الفاسد وانقضاء الزمن دون تحقيق الأمان ، وللحظ العاثر ، ثم انتقل للحديث عن البكاء ، فوجد البقاء والسعادة الحقيقية في الدار الآخرة ، ووجد الدنيا دار ظلم وظلام ، ووافق ذلك أحزان ترامت على الشاعر من كل حذب وصبوب فكانت الدنيا دار الأحزان والبكاء ، ثم تحدث عن المواقف الإنسانية التي ترصد طمع الإنسان ووحشيته ويدعو للانتصار للحق والاستعداد للمواجهة ، باحثا أبدا عن المجد والعلواء رغم الجهل والمرض والظلم متفوقا على كل ذلك ومتجاوزا آلام الواقع إلى تحقيق الآمال و الانتصار ، ثم تحدث عن صورة الأم وصورة الطبيعة التي حملت ما حمل الشاعر من فرح وحزن وأمل وغضب ، ثم صورة الحب الذي أخذ منحى جديدا تمثل بالجمال الروحي الشفاف الممتزج بالحب

الإنساني ، ثم جاءت صورة الوطن والتي تتمثل بموقف الشاعر من الشعب وحلمه بالخلاص من المستبد والظلام باحثا عن قوة الشعب التي تمنح الحرية .

### الفصل الثاني:

يتحدث الباحث في الفصل الثاني عن الصورة الفنية ،بدأ الباحث بتمهيد يتحدث عن الصورة الفنية بين التقليد والتجديد ،وتحدث في المبحث الأول عن مفهوم الصورة الفنية عند الرومانسيين ،ثم أورد في المبحث الثاني مفهوم الصورة الفنية كما وردت في نشر أبي القاسم الشابي من خلال كتاباته المختلفة نثرية وشعرية وخاصة كتاب الخيال الشعري حيث تحدث عن الخيال الفني ودور التعبير والألفاظ والموسيقى ووحدة الشعور في العمل الفني ،وتحدث في المبحث الثالث عن دور اللغة الشعرية في الصورة الفنية وبين ذلك من خلال قصائد الشاعر ولغته التي تعبر عن تجربته حيث ظهرت ألفاظ لها دلالات خاصة كالمساء والليل والحريف والغاب ،واعتمد على الألفاظ الموحية ،والألفاظ الصوتية التي أغنت الصورة الفنية عند الشاعر ،وأورد مبحثا رابعا عن أهم الصيغ والتراكيب اللغوية الواردة في الصورة الفنية عند الشاعر ، كما أورد الباحث مبحثا خامسا عقد فيه مقارنة بين الشاعر والهمشري والتيجاني ،بين فيه تقارب الأعمار والرؤى والهموم والطموح عند هؤلاء الشعراء ، وبيّن الموضوعات المشتركة بينهم ، وخصوصية كل منهم .

### الفصل الثالث:

يختص الفصل الثالث بالحديث عن دور الخيال في الصورة الفنية ، فرّق الباحث بين أنواع الخيال وفق ما جاء في التراث وتطوره إلى الخيال الرومانسي الذي يعتبر الرؤيا الجديدة هي وحدة الوجود ، وصارت الصورة تعبيرية، وقد تمتد لتشمل القصيدة بأكملها ، ثم تحدث عن دور التشبيه وأنواعه في الصورة الفنية عند الشاعر الذي أثبت تمكنه من الشعر وفق النمط السائد ، ثم عبر بالصورة الفنية الجديدة بعد أن تحولت لتصدر عن النفس وتجمع ما في داخل الشاعر مع الخارج ، كما تحدث عن دور الاستعارة في الصورة الفنية وقد عرض لتطور مفهوم الاستعارة الذي كان يعتمد في التراث النقدي على المشابهة وتخضع للمنطق والعقل، ثم تغير مفهوم الاستعارة وأصبح

لها الدور الفاعل في التعبير والتصوير في الشعر الرومانسي، وتحدث الشاعر عن دور الخيال في كتابه الخيال الشعري، وحملت الطبيعة المشاعر وأضافت المعاني الجديدة للصورة الفنية، كما تحدث عن دور الرمز حيث حملت بعض الألفاظ رموزاً من خلال استخدامها لتعبر عن حلم الشاعر ولتحمل رؤاه وهمومه، وتحدث عن المنهج الأسطوري وذكر بعض الشخصيات الأسطورية التي كانت تتزاح وفق رؤيا الشاعر لتعبر عن إيمانه، ولتزيد غنى الصورة الفنية، وقد اعتمد الباحث في توضيح ذلك على ما جاء في شعر الشاعر.

#### الفصل الرابع :

بدأ الباحث الفصل الرابع بتمهيد يتحدث عن دور الموسيقى في الصورة الفنية وموقف الشابي من الموسيقى في القصيدة واستحضر بحسه المرهف الألفاظ التي تحمل الإيقاعات المناسبة والتي تزيد من أثر الصورة لفنية في المتلقي، وقد تحدث الباحث الأول عن استخدام الشاعر للأبجر التامة على الأغلب كما بين قلة استخدامه للبحر المجزوءة، كما عبر عن حالات مختلفة ومن خلال وزن عروضي واحد، ثم تحدث عن دور الأوزان في الصورة الفنية، كما تحدث الباحث الثاني عن دور القافية، ورصد أنواعاً مختلفة للتقفية عند الشاعر وجاءت مناسبة لما يصدر عن نفسه من فرح أو حزن، ويبدو الانسجام الموسيقي واضحاً بين القافية وما في البيت من إيقاع موسيقي، ولم يجد في شعر الشاعر خروجاً على أوزان الشعر العربي، وجاء الباحث الثالث ليتحدث عن دور موسيقى الأصوات التي عبر بها الشاعر عن مواقفه المختلفة لذلك كانت موسيقى الألفاظ موافقة للطبع، وكانت أحد الأركان الهامة لقصائد أغاني الحياة التي حملت قطبيها تعبر عما في نفس الشاعر وتشد المتلقي للتفاعل معها، ثم تحدث في الباحث الرابع عن دور التكرار في الصورة الفنية من تكرار حرف أو كلمة أو مقطع.

ثم ختم الباحث البحث بأهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة، ثم أردفها بملاحق يتضمن صوراً للشاعر وبعض ما كتب بخط يده، وبعد ذلك أورد ثبناً يتضمن أهم المصادر والمراجع العربية والأجنبية.

## سجل البحث

بدأ الباحث البحث بمقدمة عامة حدد فيها منهج البحث وفصوله ، ثم مقدمة تحدث فيها عن حياة الشاعر والظروف الاجتماعية والسياسية والثقافية والنفسية المحيطة به والتي تفاعل معها وعبر عنها من خلال رؤياه وتأملاته ، ولقد بين موقفه من الشعر والحياة وجاءت أشعاره تعبر عن الطبع المتوافق مع الروح والإنسانية .

ثم تحدث في الفصل الأول عن موضوعات الصورة الفنية في شعر الشاعر .

وجاء الحديث في الفصل الثاني عن الصورة الفنية وتطورها ومفهومها في الشعر العربي بعامة ، ولدى الشاعر في نثره وشعره كما تحدث عن لغة الشاعر وبعض الصيغ اللغوية ، وعقد مقارنة بين الشاعر والمهمشري والتيجاني .

ثم تحدث الفصل الثالث عن دور الخيال في الصورة الفنية وبحث في عناصر الصورة من استعارة وتشبيه ورمز وأسطورة وأظهر ذلك في شعر الشاعر .

ثم تحدث الفصل الرابع عن دور الموسيقى في الصورة الفنية من خلال دراسة قصائد الشاعر ولغته ، وأظهر الباحث محافظة الشاعر على الوزن العروضي ، وتجديده في الموسيقى الخاضعة لتأملات النفس والروح .

ثم عرض الباحث نتائج البحث ومستخلص للبحث وبعض الصور الفوتوغرافية والمخطوطات الشعرية والنثرية بخط الشاعر وأتبع ذلك ثبنا للمراجع والمصادر .

وأخيرا:

لقد استطاع الشابي بصبره وجده واجتهاده وحبه لمجتمعه وللإنسانية أن يكون حالة لها خصوصيتها وتفردتها ، يدرك كل من يقف عنده إنه أمام علم أحب فنه ، وأخلص له في حياة وجيزة ، ولو امتد به العمر لبعض الوقت لأخذ بأسباب التفوق وأرسى لقواعد أظهرها نبوغ الشباب ، ولأخذت عبقريته طريقا خاصا به أكثر وضوحا وشمولا .

## The Abstract of the Research

The researcher begins his research with a general introduction in which he defines the methods of the research and its chapters. In the introduction the researcher illustrates the life of the poet, his social, political, cultural and psychological situations which affected his life. Then the researcher describes all that through his own points of view and his contemplations. The researcher demonstrates his situation from poetry and life and that occurred through the similarity between the soul and the humanity.

The researcher illustrates in the first chapter different imagery in the poet's poetry. Then, the researcher demonstrates in the second semester the imagery and its development and its definition in the Arabic poetry in general and in the poet's prose and poetry. After that the researcher talks about the poet's poetry and he illustrates the linguistic formula in which the poet was famous in. In this chapter, the researcher mentioned a comparison between the poet and Al-Hamshari and Al-Tejani.

The researcher illustrates in the third chapter the role of imagination in the imagery and the researcher looks for the elements of an image, for example (metaphor, symbol and epic) and that was clear in the poet's poetry.

The researcher mentioned in the fourth chapter the role of the music in the imagery through studying the poet's poems and his language. Therefore the researcher illustrated that the poet keeps on metric and its renewal in the music which submitted to the soul and inspiration.

The researcher displayed the results of , the abstract , some of the photographic images, the poetry manuscript and prose which were written by the poet. He used the references to demonstrate all of that.

Finally, Al-Shabi became a special case which has its uniqueness through his patience, hardworking, effort and his love to his community and to the humanity. Those who sit with Al-Shabi will be aware that they are standing in front of a poet who loves his poetry and he was sincere for all of that . If Al-Shabi lives a long life , he will take in the reasons of excellence and he will stable the principles which are appeared in youth's genius .Therefore, his genius will take a special way which is more comprehensive.

مُهم

## مُهم بالشاعر:

- ١ - المولد والنشأة .
- ٢ - عصره .
- ٣ - شخصية أبي القاسم الشابي .
- ٤ - أبو القاسم الشابي والشعر .
- ٥ - الشابي ومتاعب الحياة .
- ٦ - الشابي في ضمير العرب .
- ٧ - آثار الشابي .

هو أبو القاسم بن محمد بن أبي القاسم بن إبراهيم الشابي، ولد بالشاوية إحدى ضواحي مدينة توزر من تونس يوم ٢٦/٢/١٩٠٩ م ، الذي يوافق ٣/صفر ١٣٢٧ هـ<sup>١</sup>. وهو من منطقة الجريد التي تمتاز بواحات النخيل الخلابة؛ وينابيع المياه الجارية وبساتين الأشجار الجميلة، والتي اشتهر أهلها بالذكاء وحب العلم .

أما أبوه فقد تخرج من الجامع الأزهر، وأصبح في عام ولادة ابنه أبي القاسم قاضيا شرعيا . وتنقل أبو القاسم مع والده منذ طفولته المبكرة في كافة أنحاء القطر التونسي بحكم وظيفة والده في القضاء الشرعي، وقد نشأ أبو القاسم في سنين تكوينه الفكري والحلقي في كنف رعايته الصالحة يقتبس من علمه وآدابه ، وقد استغرقت جولة الأسرة عشرين سنة ضربت في بحرها بالبلاد التونسية ، وتعرف خلالها على مختلف العادات والتقاليد ، ((كما تشربت روحه كل المعاني السامية التي كان يتفاعل معها . فلم تكن واحة قابس كبساتن مجاز يغمرها الحصيد ، ولا هذه كبساتن رأس الجبل أو كجبل زغوان يكسوه شجر الصنوبر ، ولم يكن حر قابس كثلوج تالة ، ولا حياة الفلاحين بمجاز الباب كحياة صيادي البحر بقابس أو رأس الجبل ، ولا طباع أهل الشمال كطباع أهل الجنوب ))<sup>٢</sup> وهذا مما أكسبه أفقا بعيدا ونظرة متفحصة ، يقيس ويقارن بين الأوضاع باحثا عن الأجل ، داعيا إلى الحب والخير والجمال ، نافخا هذه الروح في كل اتجاه ، متجاوزا البيئة الضيقة ليلتقي بأفاق الإنسانية التي ظهرت آثارها في أشعاره والتي كان يدعو إليها من خلال قصائده.

<sup>١</sup> - أبو القاسم محمد كرو : الشابي في مرآة معاصريه، ط١، دار المغرب العربي -تونس ١٩٩٤ م ، ص ١٧  
<sup>٢</sup> - أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ط١ ، دار الكتب الشرقية ،تونس ١٩٥٥ م ، ص ٩



نال شاعرنا العذاب الأكبر مما كان يزرع تحته الشعب التونسي من ظلم وعسف وقهر من قبل المحتل الفرنسي الظالم ، حيث عاش الشعب التونسي حياة كلها ظلام وجهل وتخلف ، وأمعن الفرنسيون في محاربة العرب و اللغة العربية (( وقد أصبحت اللغة الفرنسية أداة ترقية بالنسبة لجميع التونسيين الراغبين في الالتحاق بسلك الوظيفة العمومية ))<sup>١</sup> ، وكان بحسه الوطني والإنساني يرى الخلاص في الرفض رفض الظلم القادم من المستعمر المستبد ، ومن الأدعياء والأوصياء ، والجهلة الذين باعدوا بين الشعب والحق ، (( ومجتمع منطقة المغرب العربي في هذه الفترة ، كان متخلفا ، والنماذج الأدبية والشعرية ، كانت أيضا ضعيفة وفقيرة ))<sup>٢</sup> فنذر نفسه ، مع بعض أصدقائه للنهوض بالمجتمع والفن ، وأقاموا الجمعيات ، وتواصلوا مع الحركات الأدبية والفكرية ، عن طريق جماعات أدبية في المهجر والمشرق ، للنهوض بالشعب وبث نار الحياة في الضمائر لتكون نار تطهير وطهارة ، تعيد لتونس وجهها الإنساني ، وصدقت نبوءته في خلاص الشعب من المستعمر الذي رحل عن كاهل الشعب ، وكانت نظرتة شاملة فلم يحدد مستعمرا ولا مستبدا بعينه ، بل كان يرى حتمية زوال الاستبداد أيا كان وأينما حل ، مما جعل مواقفه تصلح لأن تكون لأي زمان أو مكان ، إنه الثوب الإنساني الذي ارتداه الشاعر ، فانسكب حياة وتدفقا في أشعاره التي حملت مواقفه الصادقة ومشاعره الجياشة ، التي وسعت كل المستعبدين ، الذين دعاهم ليأخذوا ثأرهم ويستردوا كرامتهم من المستبد ، وكان يرى الحل بيد الشعب الذي يصنع المستحيل ، ويزيح بوعيه وصموده أوهام الاستعباد ، ويرفع رأسه عاليا بتحقيق الحرية.

١- أحمد القصاب : تاريخ تونس المعاصر، (تعريب حمادي الساحلي)، ط١، الشركة التونسية للتوزيع تونس ١٩٨٦ م، ص ٢٩٦.  
٢- مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري : دورة أبي القاسم الشابي ، مقر الأمانة العامة لمؤسسة الجائزة في الكويت ١٩٩٦ م ، ص ٢٢٦ .

ولقد ظهر نبوغه منذ صغر سنه ((ونشأ على الثقافة الإسلامية العربية))<sup>١</sup> فحفظ القرآن الكريم وعمره تسع سنوات ، وتلقى عن والده مبادئ العلوم العربية والدينية . وأدخله والده جامع الزيتونة ، الذي يشبه الأزهر في طرائقه الدينية واللغوية وذلك عام ١٩٢٠م<sup>٢</sup>. وفي تونس العاصمة تفتحت بصيرته على آفاق غير محدودة من الآداب والعلوم والمؤثرات المختلفة ، وكان قد ورث عن أبيه الشغف الشديد بالمطالعة ، ولقد شد انتباهه ما أنتجته أقلام النهضة العربية في الشرق وفي المهجر ، وجذبت به بشدة كتب جبران ونعيمية والعقاد والمازني وأدباء المهجر ، كما كان يطالع معظم مجلات الشرق ، وخاصة المقتطف والهلال والسياسة ، ولقد قرأ دواوين الشعراء المطبوعة ، وأحب بشكل خاص أشعار ابن الرومي والمتنبي والمعري . ونال شهادة التطويق وذلك سنة ١٩٢٨ م/ وهي أعلى شهادة كان يمنحها جامع الزيتونة . وتابع دراسته في مدرسة الحقوق التونسية ، وقد تخرج فيها عام ١٩٣٠م<sup>٣</sup> ، وقرأ أغلب ما يتعلق بالفكر والفلسفة والفن في جميع العصور العربية، وهذا ما ظهر في شعره الذي تفوق فيه على أقرانه ، وأول ما كتب الشابي كان متأثرا بشعراء التقليد ، وشعراء البعث في تونس والشرق العربي ، ثم قرأ الغربال والديوان ، واطلع على الأدب الغربي المترجم من شعر ونثر ، ومدارس أدبية كالرومانسية (( التي هبت أنسامها من الغرب ومن الشعر المهجري ، يصحبها ضباب الكآبة والغربة والألم ))<sup>٤</sup> وكانت الطبيعة بما حوت تظهر بارزة في شعره لتعبر بصورها عن المشاعر والأحاسيس والآلام والآمال ، وكذلك اطلع على الرمزية و سواها ، ومنذ سنة ١٩٢٧م ترك التقليد وبدأ يكتب من خلال معاناته وانفعاله ، فخرج شعره يحمل طابعا خاصا به ، وظهرت لغته الشعرية الخاصة به و معجمه الشعري الذي تميز به<sup>٥</sup> .

كان الشابي صاحب مذهب في الأدب آمن به، ودفع أصدقاءه إليه ، بل كان يرى الوجة الجديدة في الشعر ((إنها معركة الانقلابات الكبرى التي تصيب الشعوب والأمم

١- محمد الفاضل بن عاشر : الحركة الأدبية والفكرية في تونس ، ط٣ ، دار التونسية للنشر ب ت ، ص١٩٤ .

٢- د، عبد المجيد الحر : أبو القاسم الشابي ، ط١، دار الفكر العربي ببيروت ١٩٩٤م.

٣- أبو القاسم محمد كرو : آثار الشابي وصداه في الشرق ، ط١ ، منشورات المكتب التجاري للطباعة،بيروت ١٩٦١م، ص١٣ .

٤- إيليا الحاوي : الشعر العربي المعاصر أبو القاسم الشابي ، ط٤، دار الكتاب اللبناني،بيروت ١٩٨٤م، ص١٥ .

٥- المصدر السابق نفسه ، ص ٦-٧ .

ويدور فيها التاريخ دوراته المحتومة<sup>١</sup> لذلك لم يترك صحيفة أو مجلة، يشعر بصدقها وحسن ما يصدر عنها إلا ويدعو أصدقاءه لينشروا ما يبدعونه من شعر وترجمة ودراسات على صفحاتها لإغناء الحياة الأدبية الحقة، تلك هي الرومانسية التي كانت بمثابة ((فعل حرية ونقض إزاء العقل التقليدي وما يصحبه ويتفرع عنه)<sup>٢</sup> وليرتفع صوت الصدق صوت الصفاء عاليا رابطا الذات بالخيط والعالم، معبرا وفاعلا ومنفعلا وطامحا للوصول إلى التغيير نحو الأفضل والأجمل، ثم انضم إلى جماعة أبوللو الأدبية كأحد أهم أعلامها، واتصل بالشرق عن طريق مجلة أبوللو، و نشر روائع من قصائده على صفحاتها، كما كتب مقدمة ديوان الينبوع لأبي شادي<sup>٣</sup>.

---

١- محمد صالح الجابري: الشعر التونسي المعاصر، ب ط، الشركة التونسية للتوزيع تونس ١٩٧٤م، ص ٢٦١.

٢- إيليا الحاوي: الشعر العربي المعاصر، ص ١١.

٣- مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري: دورة، أبو القسم الشابي، ص ٢٢٦-٢٢٩.

هل شاعرنا العلم منذ صغر سنه، وتابع دراسته في جامع الزيتونة ، وأكب على كتب الأدب والكتب الدينية ، ودواوين الشعراء قديمها وحديثها على حد سواء ، وظهرت موهبته الشعرية ، وأخذ ينظم القصائد وهو في أول الشباب ، كان يحمل روحا شاعرية مرهفة ، ونظر بعين بصيرته النافذة إلى أعماق واقع البلاد وواقع العباد، فوجد التخلف وعدم الأخذ بالأسباب ، و سما بنفسه عن الدنيا والصغائر فترك مغريات الحياة ، وتعلق بفنه ، وأخلص له ، وجعل هدفه في الحياة بعث الحياة في القلوب ، الحياة التي تدفع الذل والخنوع<sup>١</sup>. لذلك نراه:

أ- يتطرف في موقفه تجاه الشعب الذي لم يلتفت إلى صفاء نهجه وسمو رسالته ، فكان يلجأ إلى النقمة عليه لسقوطه في ظلام الجهل وخنوعه لآراء تجره إلى الظلم والظلام، وفي ذلك يقول في إحدى رسائله لصديقه الحليوي : (( شكوت يا صديقي من جمود الشعب ، وركود الأدب ، وموت أحلام الأديب وشكوت من قسوة هاته الحياة التي تجبر الواحد منا على أن يحيا حياة السوق والرعا ، حياة السخافة والجمود حياة المادة الصماء الضيقة التي لا ترحم فكرا ولا عاطفة ولا خيالا ،<sup>٢</sup> ) ، إن الشاعر دائما يبحث عن الحياة ، حياة الروح فالحياة الحقيقية صراع بين الحق والباطل، ولا قيمة للفن بدون رسالة يساهم الفنان من خلالها بنشر الأفكار الخيرة وبث الحياة التي تتبنى القيم الفاضلة قيم الخير والحق والجمال ، لذلك يرى الجمود وموت القيم عند الذين وجدوا حياتهم في المادة التي تقتل الفكر والعاطفة ، فيبتعد أصحابها عن الحياة .وهو في صراع مستمر مع الذين وقفوا في الصف المعادي لأفكاره ، الذين لم يسلموا من غضبه .

ب - وكان تواقا للتغيير (( وقد التقت حينذاك مدرسة الديوان بمدرسة المهجر ، على تصحيح معنى الشعر ورسالته )<sup>٣</sup> ) فاخذ يقرأ شعراء المهجر ، وخاصة جبران خليل جبران في ثورته على القديم والتمرد على الجمود والركود ، وظل طيلة حياته يستمد قوته لمواجهة

١- المصدر السابق نفسه، ص ٢٤-٣٠

٢- محمد الحليوي: رسائل الشابي ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين ، ط١ ، دار المغرب العربي - تونس ١٩٩٤م ، ص ٩٨ .

٣- خليفة محمد التليسي: الشابي وجبران ، ط٤ ، دار العربية للكتاب - بيروت، ط٤ ١٩٧٨م ، ص ١٨٩ .

خصومه من ذلك النبع الصافي الرقراق . وقد أصيب الشابي كما أصيب جبران بنتائج هذه الثورة ، فاتهم بالخروج على الدين".<sup>١</sup>

ج - بدأت رحلة التشاؤم والحزن تظهر جلية بعد فقد الوالد الذي كان الحصن الدافئ الذي يلجأ إليه بعد أن نهل من معينه الصافي دروس الحياة الأولى من صدق وإيمان . ويواجه مصيره الذي وقف في وجه أمانيه العذاب ، فيكون صوته واضحا وأمانيه قمر من بين يديه ، ولم يكن التشاؤم والانكسار طريقه الذي انتهجه بل فرض عليه فرضاً مما دفع الكثيرين إلى البعد عن الصواب ، حيث لم يروا سوى الجانب السلبي في حياة الشاعر ، وكأنهم يتصيدون اللحظات التي سادت فيها مظاهر الألم والحزن ، فصب غضبه يمينا ويسارا الغضب على الباطل ، ولكنه ينهض من جديد ويقف نسرا قويا محاولا نشر مفهوم الحياة الذي تمنى وأحب ، ويبدو ذلك واضحا في قصائده الأخيرة فرغم الأسى والعذاب والمرض ، يكتب قصيدة (نشيد الجبار) ، وقصيدة (الصباح الجديد) ، وأظهر فيهما تفوقه وبعده عن الأحزان ، وأصبح الانتصار والتحدي أقوى من الألم والعذاب ، والشاعر في ذلك يتحول عن موقف التشاؤم والانكسار تجاه ظروف الحياة إلى التفاؤل والانتصار ، ويذكر ذلك في رسالة لصديقه محمد الحليوي بتاريخ ١٩٣٣/١٢/١٩ حيث قال فيها : (( وإنما الفرق بيني وبين نفسي الأولى أي كنت أتقبل آلام الحياة ، وأتحسس أشواكها بنفس ضارعة ، وقلب دامع باك ، أما الآن فإنني ألقاها ببسمة الساخر ونظرة الحالم المنتشي بجمال الوجود ))<sup>٢</sup> هكذا نرى شاعرنا بنفسه الأبية ، يحمل الجراح بقوة واقتدار ، ويؤمن بالحياة والحب والوجود ، ويرى عالم الأحزان عالماً طارناً ، رغم أنه كان يبحث أبداً عن خيوط النور والأمل في أحلك اللحظات .

د - يحمل رسالة الحياة والنور ، فالحزن الحقيقي عنده لا لفقد مال أو جاه أو منصب؛ بل الحزن الحقيقي لأنه لم يستطع تأدية رسالته ، تلك الرسالة التي عاش لها ، ومات وهو ينادي بها ، إنها الدعوة للحياة حياة الروح والعقل حيث يقول لصديقه الحليوي: (( إنه لا يحزنني شيء في هذه الدنيا أكثر مما يحزنني التفكير في أنني أموت قبل أن أؤدي رسالة الدنيا التي أحس أنني لم أخلق لغيرها في هذا العالم ))<sup>٣</sup>

١- أبو القاسم محمد كرو : دراسات عن الشابي ، طبعة جديدة ، الدار العربية للكتاب - بيروت ، ١٩٨٤م ، ص ٣٥ .  
٢- محمد نبيل طريفي: ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله ، ضبط ، د ، المكتبة العصرية ، ط ١ صيدا - بيروت ، ٢٠٠٢م ، ص ٢١٦ .  
٣- المرجع السابق ، ص ، ٢٤٥ .

هـ - نتج عن الصدام بين عالم المثال عالم الحب والخير والجمال عالم الحياة الذي نذر حياته له وبين الواقع الفاسد والجاهل الذي أفسد آماني وأحلام الشاعر مشاعر متناوبة من القلق والغربة والأسى ، وظهر ذلك جليا في أشعاره و مذكراته و رسائله ، دفعته إلى ذلك آلام جسدية تنذر بالموت ، وآلام روحية أصابته لفقد الأحبة، وصدام بينه وبين أعداء الجديده ، وغفلة يغط بها المجتمع والشعب ، كل ذلك جعله يتناوب بين التحدي والمواجهة ، والهروب إلى عالمه الذي يجد فيه الحياة عالم الغاب. و ظهرت في أشعاره وأفكاره ملامح لترعة صوفية تجاه الحياة وعالم النور عالم الخلود ، الذي يرى نفسه نزع منه قسرا لذلك كان يرى الحياة الحقيقية في الموت ، لأن ذلك يعيده إلى عالم النور الذي جاء منه إلى عالم المادة التي قيدت روحه بأغلالها ، وكان فاعلا في مجتمعه وعصره ، ولقد تأثر تأثرا شديدا بكفاح شعبه ضد الاستعمار وأعوانه، وناصر الحركات التحررية في وطنه ، السياسية والعمالية والفكرية ، وكما ناصر دعوة تحرر المرأة التي دعا لها صديقه الطاهر الحداد ، ونجد صدى لذلك كله في شعره الذي اتسم بمستوى إنساني رفيع ، وكان الشابي ينهل من معين إنساني صادق ، ويدافع عن وطنه تونس وقد ثار في وجه الجهل والمستعمر، و نادى بإصلاح التعليم الزيتوني في عصره ، كما كان أحد المؤسسين للنادي الأدبي في تونس<sup>١</sup> ، وعبر عن حبه لتونس في رسالة وجهها لصديقه محمد الحليوي : (( أقول إن كانت تونس فقيرة إلى مثل هذا النوع من أبنائها يجب على نفر القليل منهم ، أن يبذلوا كل ما في جهم من عزم وقوة وحمية وشباب ، حتى يستطيعوا أن يكونوا نشئا حيا مخلصا شاعرا يواجهه لأتمته وللوجود بأسره ))<sup>٢</sup>.

و — كان محبا لأصدقائه الأدباء والشعراء ولغيرهم ، وفيها لهم يدفعهم إلى العمل ، ويبارك أعمالهم النيرة ، ومن أهم أصدقائه : محمد البشروش ، محمد الحليوي ، إبراهيم أبو رقعة ، أحمد ذكي أبو شادي ، وغيرهم داخل تونس وخارجها وقد ((بادلهم الشابي ودا بود وفكرا بفكر وإخلاصا بإخلاص))<sup>٣</sup> ، وهاهو يقول لصديقه الحليوي وهو يحثه على الكتابة : (( إذن فلتكتب ولتطرد عنك خواطر الراحة والسكون ، فإن شعبك بحاجة إليك ))<sup>٤</sup> ، فالشابي رجل الحياة لأنه لم يتوقف لحظة عن الكتابة بعمق وصدق للحياة وعن الحياة التي

١- أبو القاسم محمد كرو : نثر الشابي ومواقفه من عصره ، ط١ ، دار المغرب العربي- تونس ١٩٩٤م ص ١٧٦-١٨٨.

٢- محمد الحليوي : رسائل الشابي ، ط١ ، دار المغرب العربي - تونس ص ٤٥.

٣- أبو القاسم محمد كرو : نثر الشابي ومواقفه من عصره ، ط١ ، ١٩٩٤م ص ١٦٨.

٤- محمد نبيل طريفي : مصدر سابق ، ص ٢٢٢ .

اتسمت بها روحه السامية التي لم تعرف الراحة والهدوء ، روحه التي أحبت الإنسان الحر الصادق الأمين .

### ٥- أبوالقاسم الشابي والشعر:

كان لمطالعاته في كتب الأدب وسواها دور مهم لشغفه بالشعر ((ثم ظهر نبوغه الشعري وهو ابن خمسة عشر عاما ،فابتدأ ينظم على الطرائق المألوفة ))<sup>١</sup>، وبعد تعمقه بمصادر الثقافة والأدب والفلسفة قديمها وحديثها وجد الفراغ بين الواقع والطموح النبات بتلك النفس الباحثة عن الحياة ، وولد التآلف بين الانفعال والخيال، ((والشابي لم يكن لاهيا ،بل معانيا ،تسيل مآقيه وجراحه ، حتى أن معظم شعره لم يكن إلا دموعا ودما.))<sup>٢</sup> ولذلك نرى أن الشابي امتلك روحا شاعرية، خاطبت الضمير الحي، وصارعت وجه الباطل بكل أشكاله، وكانت أشعاره تصدر عن فهم عميق لحقائق الكون عبر فلسفة واضحة في بحثها الدؤوب عن صورة الحق والخير والجمال ، ولم يتوقف شاعرنا لحظة واحدة في حياته القصيرة رغم ما ملأ حياته الداخلية ومحيطه الخارجي من أمراض وأوضاع صعبة ،أخذ يصارعها بقوة واقتدار، ليرسم صورة لغد يتمنى أن يكون أجمل وأرحب، وتوصل إلى شاعر يته التي تتغذى على ما في الماضي من جمال لغوي وفلسفي وموسيقي ، وما قرأه عن شعراء العصر الحديث في الشرق والمهجر، ((ونمت فيه بذلك روح الملاحظة والاعتبار حتى تربت فطرته العقلية على المنهج الفلسفي فكان ينظر إلى الوجود من خلال المناظر الطبيعية ، وإلى المجتمع الإنساني من خلال الصور المرتسمة منه في مادة مطالعاته وتأملاته ))<sup>٣</sup> ، وتشربت ذلك روحه الصافية ، وخرج شعره إلى النور متشحا بالطبع الصافي؛ الذي يصدر عما في القلب بلا تكلف ولا تصنع ، ويبدو ذلك واضحا عند الشاعر في قوله في رسالة لصديقه محمد الحليوي : (( إن الفنان يا صديقي لا ينبغي أن يصغي لغير ذلك الصوت القوي العميق الداوي في أعماق قلبه ..... ))<sup>٤</sup> يعطي الشاعر رأيه بالفنان الحقيقي ذلك الفنان الذي

١- محمد الفاضل بن عاشور :مرجع سابق ،ص١٩٤ .

٢- إيليا الحاوي : الشعر العربي المعاصر ، ص١٦ .

٣- محمد الفاضل بن عاشور :مرجع سابق،ص١٩٥ .

٤- د- محمد نبيل طريفي :مصدر سابق ، ص٢٥٩ .

يصدر منه عما في الوجدان بعيدا عن التكلف ، ولا يجعل منه من أجل التكسب بل يرتقي به ويجعله في خدمة الأغراض الإنسانية الكبرى باعتبارها فيه عوامل الحياة والاستمرار .

جعل شعره هادفا بعيدا عن التكسب ، ورأى الشاعر الحق هو الذي يحمل رسالة كبرى تجاه الحياة رسالة تقوده إلى الخير والحق والصدق والجمال ، وتصدر عن نفس أبيية . ((فقد تخلص من رق المديح وما يتصل به واتجه إلى نفسه وعصره وأمته ، وشعر شعورا واضحا بالحق والجمال والكمال ، وظل هذا الشعور يجري في شعره تيارا مندفعاً لا ينقطع ولا يفصل عن أي قصيدة أو أي مقطوعة ينظمها ))<sup>١</sup> ويؤكد موقفه من الشعر حيث يقول في قصيدة (شعري)<sup>٢</sup>:

لا أنظم الشعرَ أرجو	به رضاء الأمير
بمدحة أو رثاء	تُهدى لرب السريـر
حسبي إذا قلتُ شعراً	أن يرتضيه وجودي
ما الشعرُ إلا فضاء	يرفُ فيه مقالي
فيما يسرُّ بلادي	وما يسرُّ المعالي
وما يثير شعوري	من خافقات خيالي

فالشاعر صاحب مذهب آمن به وعمل على ترجمته بصدق وإخلاص .

وكما يحدثنا الشاعر في مقدمة ديوان الينبوع لأبي شادي فيقول: (( كذلك يصنع الشاعر الفنان ، وكذلك ينبغي أن يصنع ، فهو لا يستطيع أن يخرج عن نفسه التي بين جنبيه ، وما في هذا العالم من سحر و لذة وألم ، وما خلفته الإنسانية من فن ورأي ودين ، ولكنه حين يتحدث إلينا بذلك في آثاره لا يتحدث إلا بعد أن يحيا في قلبه ، ويتوهج في حياته

١- د - شوقي ضيف: دراسات في الشعر العربي المعاصر ، ط٧، دار المعارف القاهرة ١٩٧٩م، ص١٤٣

٢- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ط١، تحقيق وتقديم نور الدين صمود، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين، دار المغرب العربي - تونس ١٩٩٤م ص ٢٦.



، ويتضرج بأضواء نفسه المشرقة ، فتبرز آثاره إلى الدنيا موسومة بوسمه ، ومطبوعة بطابعه الذي لا يزول. وذلك هو التجديد بمعناه الواضح الصحيح<sup>(١)</sup> فالشاعر بذلك يرى التجديد أن تفهم الحياة وأن تعيش مع قضاياها، ولكن بعد فهمك لما تركته الإنسانية تخرج ذلك إلى النور بعد أن يجيا في داخلك . ويتفق في ذلك مع ما نادى به الرومانسيون ، ((ولكن الوعي بالرومانسية واختيارها كمذهب ظهر جليا عند ظهور (مجلة العالم الأدبي) واتصال الشابي و الحليوي بمجلة أبوللو<sup>(٢)</sup> ، ومن خلال النظرة السريعة لقصائده ، نستطيع أن نتبين رأي هذا الشاعر الفذ ، ومذهبه الشعري ، إنه مذهب الحياة بما تحمله هذه الكلمة من دلالات وظلال وقيم وأخلاق ، عاش عليها ومات بها ، ليرتفع صوته مدويا في أذن الإنسانية جمعاء ، وقد بين موقفه من الشعر في مواضع مختلفة من قصائده مبينا فيها مذهبه الذي نذر نفسه لأجله، و من ذلك قصيدة ((قلت للشعر<sup>(٣)</sup>) :

أنتَ يا شعرُ فلذةٌ من فؤادي      تتغنى ، وقطعةٌ من وجودي  
فيك ما في جوانحي من حنينٍ      أبديٍّ إلى صميمِ الوجود  
فيك ما في عوالمي من ظلامٍ      سرمديٍّ ومن صباحٍ وليد

فهو ينقلنا من صورة إلى صورة جديدة؛ يرسم فيها مذهب الذي سعى إليه ، وأحلامه التي آمن بها. ((أما بواكير شعره فقد أخذت تظهر في الصحف التونسية منذ عام | ١٩٢٦ | ولقد لفتت الأنظار إليه لما تحمله من نهج ثوري و شاعرية مجنحة، وكما تأثر كثيرا بالأدب الغربي المترجم، وظهر تأثره في آثاره الأولى ، لكنه بعد العشرين من عمره استقل بشخصيته الأدبية المستقلة ، وارتفع عملاقا في سماء الشعر العربي الحديث<sup>(٤)</sup>.  
وظهرت أكبر مجموعة من أشعاره في كتاب ، الأدب التونسي في القرن الرابع عشر الهجري ، في عام ١٩٢٧ ، وكان الشابي دون العشرين من عمره . و في عام ألف وتسعمئة وتسعة وعشرين ألقى محاضرة بعنوان : الخيال الشعري عند العرب ، وقد طبعت في كتاب مستقل ، وكان لها صدى في الصحافة في أقطار الشرق ، وبذلك أصبح الشاعر في مقدمة الشعراء في تونس . وكان الشاعر من أنصار المجددين في بلاده

١- أبو القاسم محمد كرو: نثر الشابي ومواقفه من عصره ، ط ١٩٩٤م، ص ٣٠ .  
٢- محمد صالح الجابري : الشعر التونسي المعاصر ، ب ط ، الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧٤م، ص ٢٢٥ .  
٣- أبو القاسم الشابي: اغاني الحياة ، ط ١٩٩٤م ، ص ، ١٢٧ .  
٤- أبو القاسم محمد كرو: آثار الشابي وصداه في الشرق ، ص ١٥ .

الذين تجمعوا في ((جمعية قدماء الصادقية)) ، وكان يقدر فكرة الواجب ، ويعلم واجبه تجاه الآخرين، وهو من الشعراء السابقين إلى المناداة بفكرة التجديد، وقد ترك الشاعر موضوعات الشعر التقليدية من هجاء ومدح وغيرها ، وحمل في قلبه وروحه صورة لمستقبل قضى عمره يلهج به باحثا وسط الظلام عن النور والحياة مواجهها للتخلف<sup>١</sup> .

---

١- د، عبد المجيد الحر: مرجع سابق، ص. ١١٨

## ٦- أبو القاسم الشابي ومتاعب الحياة

ولكن يد القدر أخذت تزيد في متاعبه وأعبائه، فلقد توفي والده في سنة ألف وتسعمئة وتسع وعشرين، وصار بذلك مسؤولاً عن أسرة من أم وأخوة صغار وأملاك . وكان الشاعر ضعيف القلب، ونصحه الأطباء بعدم الزواج، لكنه أتم الزواج من ابنة عمه التي كان قد تمت خطبتها في حياة أبيه، وقد تم زواجه منها عام ألف وتسعمئة وثلاثين وأنجبت له ولدين هما "محمد" و"جلال"، وبعدها بدأت نوباته القلبية تزداد، وذلك منذ عام ألف وتسعمئة وواحد وثلاثين للميلاد، ونصحه الأطباء بالابتعاد عن كل إرهاق جسدي أو عقلي، وأن يعيش بين أجمل المصائف والمشاتي التونسية، ولكنه لم يستطع الامتناع عن الكتابة والتفكير الجهد، ولقد أنتج أروع قصائده خلال السنوات الثلاث التي قضاهها متنقلاً بين الأرياف ومنها : الجنة الضائعة، نشيد الجبار، صلوات في هيكل الحب، أغاني الرعاة، إرادة الحياة، الصباح الجديد.

وسرعان ما اشتد عليه المرض، فعاد إلى العاصمة وذلك - يوم ٢٦/٨/١٩٣٤م و دخل المستشفى الإيطالي وذلك بتاريخ ٣/١٠/١٩٣٤م، وكانت وفاته بتاريخ ٢٩ جمادى الثانية ١٣٥٣هـ الموافق ٩/١٠/١٩٣٤م ودفن في اليوم التالي في مسقط رأسه في بلدة الشايبة.<sup>٢</sup>

١- أبو القاسم محمد كرو: آثار الشابي وصداه في الشرق، ص ١٦.  
٢- أبو القاسم محمد كرو: نثر الشابي ومواقفه من عصره، ط١ ١٩٩٤م، ص ٩.

## ٧- أبو القاسم الشابي في ضمير العرب :

رحل الشابي بجسده وبقيت روحه تسري في كل مكان طاهر، يبحث عن الحياة ، أخذ ذكره ينتشر في كل أنحاء الوطن العربي والعالم الإسلامي ، حيث يقول في ذلك محمد كرو: (( وكان شعر الشابي الوطني الثائر يتلاءم بشكل حاد مع الثورات القومية الزاحفة )) وكان الشباب يرددون قوله :

إذا الشعب يوماً أراد الحياة  
فلا بد أن يستجيبَ القدر  
ولا بدّ لليل أن ينجلي  
ولا بدّ للقيد أن ينكسر

وجاء في جريدة لاكسيون (L, ACTION) التونسية باللغة الفرنسية ، عدد ١٩٥٦/١/٢ م ((وكم من مرة كتب هذان البيتان على الشعارات التي يحملها المتظاهرون من كاراتشي في الباكستان إلى الخرطوم في السودان. بل لقد ترجم البيتان إلى اللغة اليابانية وجملا شعارا في طوكيو عاصمة اليابان ))<sup>١</sup> ولقد كثر الاهتمام بالشابي في المجلات والصحف ، وكثر نشر المقالات التي تحلل شعره، ولحن الفنانون شعره وتغنوا به ، وهذا دليل قاطع على مدى مكانة الشاعر عند العرب في الشرق والغرب<sup>٢</sup> ، وظهر الاهتمام بالشاعر في المهرجانات والاحتفالات في العالم العربي سواء في النوادي أو الإذاعات .

تناول الأدباء والشعراء سيرة شاعرنا ، وكانت أغلب مواقفهم تشهد بعبقريته وسبقه وتفوقه ، ومنها رأي للدكتور شوقي ضيف يفضله فيه على جميع شعراء الشرق في الشعر الوطني والسياسي<sup>٣</sup> . ولنستمع إلى قول الأديب اللبناني الكبير ميخائيل نعيمة من رسالة شخصية بتاريخ ١٠ / ٣ / ١٩٥٣ م (( جدير بأن يعرف العرب في كل أقطارهم أين نبت وكيف عاش ، وعمادا تفتقت قريحته الجياشة بالثورة على الظلم والبشاعة ، والتواقفة إلى العدل والحرية والجمال ))<sup>٤</sup> ويقول أبو شادي من بحث له بمناسبة صدور كتاب الأستاذ الأديب التونسي أبي القاسم محمد كرو عن الشابي : ((... ونحن شخصيا أولعنا بالشابي لا لعبقريته الفنية فحسب. بل لإنسانيته الرفيعة ولوطنيته السامية أيضا...))<sup>٥</sup> . وإن هذه الآراء وغيرها تدل على المكانة المرموقة والمميزة التي احتلها الشاعر عند الأدباء والشعراء معاصرين له ومحدثين الذين وجدوا فيه علما نهل من معين عذب وأخذ يعبر عما في نفسه من آمال ورؤى تتراعى على أطراف الوجود.

١- أبو القاسم محمد كرو: نقلا عن آثار الشابي وصداه في الشرق ، ص ، ٤٥

٢- من ذلك أغنية إرادة الحياة غنتها سعاد محمد ، وكاظم نديم المطرب الليبي غنى قصيدة صلوات في هيكل الحب ، وكارم محمود يا ابن أمي وغيرهم .

٣- د - شوقي ضيف : دراسات في الشعر العربي المعاصر ، ص ٥٨

٤- أبو القاسم محمد كرو : رسائل حول الشابي ، ط ١ دار المغرب العربي - تونس ١٩٩٤م ، ص ٤٠٦

٥- د- محمد عبد المنعم خفاجي: الشابي ومدرسة أبوللو ، ط ١ ، مؤسسات عبد الكريم عبد الله- تونس ١٩٨٦م ، ص ٢٧٦

ترك آثارا كثيرة ومتنوعة ، رغم السنوات القصيرة التي عاشها ، مما يدل على عبقريته الفذة .

أ- ديوان أغاني الحياة :

لقد جهز الشابي ديوانه أغاني الحياة وعزم على طبعه في مصر لكن المصير المحتوم نقله عن دنيا البشر ، قبل أن يحقق حلمه في طباعة الديوان؛ الذي ضاع منه فيما بعد تاريخ القصائد ، كما ضاع ترتيب القصائد ، و طبع الديوان فيما بعد ، ولكن بطريقة مشوهة ، بعد ذلك تعددت الطبعات ، وما تزال الأيدي والقلوب هنا وهناك تبرز أجل أعمال هذا الإنسان المبدع ، ولاسيما الديوان من طباعة ونقد في مختلف المحافل الأدبية .

ب - الخيال الشعري عند العرب :

محاضرة ألقاها الشاعر في قاعة الجمعية الخلدونية يوم ٢٠ / شعبان ١٣٤٧ هـ —  
١٩٢٩ / م وطبع في العام نفسه ، ولقد أثار ضجة كبيرة في تونس ، وذهب معظم النقاد إلى معارضة الشابي في رأيه الذي ضمه كتاب الخيال الشعري عند العرب.<sup>١</sup>

ج- مقالات ودراسات: وله بعض المقالات والدراسات؛ التي ظهرت في الجرائد، والمجلات التي كان تصدر في الوطن العربي . ومنها: النفس التائهة ، اليقظة الإسلامية الحاضرة ، الشعر : ما يجب أن يفهم منه وما هو مقياسه الصحيح ، أيها القلب ، أغنية الألم ، صفحات دامية من حياة شاعر ، روح ثائرة ، يقظة الإحساس وأثرها في الفرد والجماعة ، تعليق على مقال الشعر في تونس ، الشعر والشاعر عندنا ، رد على نقد مختار وكيل لكتابه (الخيال الشعري )، دراسة قدم بها ديوان الينبوع لأبي شادي، لصوصية الشعر ، الفنون، والنفس العربية.<sup>٢</sup>

د- رسائل الشابي : ارتبط الشاعر بعدد من الأدباء والشعراء في تونس وفي البلاد العربية ؛ حيث كان يرأس لهم من أمثال محمد الحليوي ، محمد البشروش ، مصطفى خريف ، محمد

١- أبو القاسم الشابي: الخيال الشعري عند العرب، إعداد الدكتور عبد السلام المسدي ، ط١، دارالمغرب العربي - تونس ١٩٩٤م ص٧-١٤  
٢- أبو القاسم محمد كرو : نثر الشابي ومواقفه من عصره ط١ ١٩٩٤ تونس ص ٢٣-١٦٠

الصالح المهدي وكلهم من تونس ، أحمد زكي أبو شادي ، إبراهيم ناجي ، عبد العزيز عتيق من مصر. والدكتور علي الناصر من سوريا وغيرهم .

هـ - يوميات الشابي:

مجموعة تبدأ يوم ١/١/١٩٣٠م وتنتهي ١٢/٢/١٩٣٠م. وقد نشر جانباً منها في المجلات . ووردت مجموعة في المجلد الأول بإشراف مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، إعداد الدكتور كمال عمران ، ط ١ دار المغرب العربي - تونس ١٩٩٤ م .

و - المحاضرات : للشابي مجموعة من المحاضرات منها : الهجرة الحمديّة ، جميل بثينة ، شعراء المغرب الأقصى .

ز - كتب أخرى :

في المقبرة رواية أو قصة على غمط قصص جبران ، السكير ، ويذكر محمد كرو في كتابه آثار الشابي قوله: (( ولاشك من أن له آثاراً أخرى غير معروفة ))<sup>١</sup>. ولكن قد جمع ونشر أغلب ما كتبه عند وما قيل عنه عندما عقدت مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين دورة خاصة بالشابي ١٩٩٤م ، التي تم فيها ((إعادة نشر كافة مؤلفات الشاعر بتقديم جديد وتحقيق جامعي...))<sup>٢</sup> .

١- أبو القاسم محمد كرو: آثار الشابي وصداه في الشرق، ص١٣٢.  
٢- أبو القاسم الشابي : المجلد الأول، ط١ مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين، دار المغرب العربي - تونس ١٩٩٤، ص جـ.

# الفصل الأول

## موضوعات الصورة عند الشابي

- ١ - تمهيد.
- ٢ - المبحث الأول : فلسفة الحياة .
- ٣ - المبحث الثاني : الهموم والطموح والمستقبل.
- ٤ - المبحث الثالث : الطبيعة .
- ٥ - المبحث الرابع : تطور صورة الحب .
- ٦ - المبحث الخامس : الوطن والوطنية .

## تمهيد:

للصورة الدور البارز في رسم عالم الشاعر الداخلي، ونقل مشاعره وأفكاره التي نضجت تحت وطأة نار الخبرة والتجربة، وامتلكت على الشاعر حياته، وتفاعلت في أعماقه، حتى جاءت لحظة الولادة عبر المؤثرات النفسية والتوترات الوجدانية التي عايشها الشاعر، وتفاعل معها، واندفعت للظهور إلى عالم الحياة والنور عبر الصورة الفنية التي عبرت عن مواقف الشاعر، والشاعر يخرج مكونات النفس مصورة، لأن قوة الشعر تتجلى في عبقرية التصوير الذي يستطيع عبر إمكاناته الفنية التعبير عن أبعاد التجربة الشعورية التي يكابدها الشاعر في أعماقه، فتتجلى بصور ترتسم فيها ومن خلالها أبعاد التجربة والإيحاء بظلالها ليوقظ في المتلقي تلك الدهشة التي تأخذه إلى ما رمى إليه في رصد ظاهرة إنسانية أو اجتماعية نضجت في أعماق الذات عبر الصور التي عاشت في الوجدان، وخرجت للنور بعد أن حملت نسقا جديداً اصطبغ بما استقر في نفس الشاعر من رؤى وأحلام .

ولقد انتقلت الصورة الفنية من إطارها البلاغي القديم حيث كانت تعتمد على المشابهة والمنطقية والجمود إلى الوحدة والرؤية والإسقاط الروحي والتطور، وصارت الصورة الفنية تقوم بدور التعبير عن وجدان الشاعر وعمله بعد أن كانت مقتصرة على الناحية الشكلية والتزيين، وارتبطت الأشكال البلاغية بالصدق والانفعال<sup>١</sup> . وبقدر ما يستطيع الشاعر خلق علاقات التواصل من خلال صورته الفنية، بين الأفكار والأحاسيس، ويحقق التواصل المنشود من قبل المتلقي الذي يستطيع - من خلال ذلك - التواصل مع موضوع التجربة الذي يريده الشاعر أن يكون بينا وواضحا فيضعه في عالم جديد من الصور الفنية المتعاضدة، فيه نبض الحياة ودفؤها، ويحقق الشاعر بذلك ما أرادته وما استقر في أعماق نفسه تجاه موضوع التجربة الشعورية التي ينقلنا إلى عوالمها، بعد أن صورها لنا من خلال عواطفه ووجدانه.

وبذلك تبدو مهمته تنسجم مع مهمة المدرسة الرومانسية ((الشائرة بكل النظم والتقاليد في سبيل نظم أسمى وتقاليد أصح<sup>٢</sup>)، و الموضوعات في داخلنا و تنتشر حولنا،

١- نعيم البياني : مقدمة لدراسة الصورة الفنية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٨٢، ص٦٦-٦٧.  
٢- د - حلمي مرزوق: الرومانتيكية والواقعية في الأدب، د ط، دار النهضة العربية، ١٩٨٣، ص ٢٦ .



ولكن الشاعر الحق هو الذي يجعلنا نتفاعل مع ما ينقله إلينا من عوالم مصورة غنية بالعواطف، وكأننا نتعايش معها للمرة الأولى رغم وجود أطرافها في أعماقنا ؛ وفي إطار هذه الرؤية الجمالية يمكن الزعم أن الأساليب الشعرية — من حيث كونها قيما تعبيرية — محاكاة ذاتية لما تزدهم به نفس الشاعر ، وما يرتسم في كيانه من خواطر وأحاسيس ، ونقلها في صور مؤثرة ؛ على أن يكون التعبير حيويا فاعلا يقوم بتشكيل البناء الفني للقصيدة من خلال مجموعة من التقانات الجمالية المتبدعة...<sup>١</sup> وشاعرنا كما عبر في أشعاره ، شاعر الحياة والمشاعر شاعر الأفراح والآلام بل شاعر الإنسانية ، فهو يخاطب من خلال موضوعاته الإنسان وأمه الحياة ، فتنتقل بين ما تبدى له من موضوعات التأمل والقيم الإنسانية ، والحب كقيمة عليا ، وتدلت الطبيعة في صور تنسجم لتطلع علينا بثوب ألبسها إياه شاعرنا ، كما تصافرت أجزاؤها لتتقل صورا ترفل بأثواب تنهض بحياة أمل وإشراق نفسي، يوحى بعبقرية فذة من خلال تناغم فريد ، وفي كل ذلك يصدر من نبع رقرق صاف ولد في مهد الطبع الصادق ، واللغة القريبة من نبض القلب ودفء المشاعر.

ويلفت إلى ما حوله فيهوله المنظر لأن أصحاب الحق نجاج ما لهم سوى إرضاء من أكل حقوقهم وقيدهم بأغلال الجهل والخوف ، فالظلم قادم مع أجنبي مجرم ، ومهادن سكت على الباطل وزرع الجهل والمرض ، فدوت صورته وعودا كالرعود لتقتلع الوحش الذي سيندحر لأنها إرادة الحق ، وترقبت وعيا وثورة تدب في عروق البشر رؤى الصور تتجاوز محيط الزمان والمكان لتصلح لكل زمان ومكان ، إنها إنسانية الأحن ، تخاطب الإنسان ، واضحة صافية .

عالم الشاعر عالم مليء كالحياة نفسها فصوره الصادقة موافقة للطبع تترجم نفسه التواقة أبدا إلى المجد رغم الموت النابت في جوف الفرح رغم الرضا يتقد الغضب ، إنها المبادئ والقيم بما نرضى ولها نغضب .

١ - د - عدنان حسين قاسم : التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية ، الدار العربية للنشر والتوزيع ، ص ١٦-١٧

## المبحث الأول

فلسفة الحياة:

١- آراء ونظرات بين الفرح والحزن :

أخذ الشاعر يغرف من نبع عواطفه المتدفق ، لينقلنا عبر لغة الحياة بصور بكر، تمتزج بالمشاعر الفياضة، لتسكب الحياة في منهل الطبيعة ، ولترتوي في شوقها الدائم إلى عالم الصفاء الذي ينشده الشاعر أبداً، والصورة عنده تأتي بجناحيها التوام الفرح والحزن ، لقد كان الشاعر بحق شاعر القلب والحب والوجدان ، حلق في سماء الحياة قادما من عالم النور عالم الخير والجمال الذي اتقد بشعلة الأمل، فأراد أن يجري الأمور في نسق جديد نسق مليء بالحياة مفعم بالصدق والأمان العذبة. فالشعور يهب صور الحياة بريقا ونماء ما بعده نماء ترفل بأثواب قدسية رائعة الجمال ، فهو يرى الدنيا قائمة على المشاعر النابضة، ولا قيمة للحياة بدون المشاعر ، والحياة بأبهى صورها قائمة على أجنحة الشعور ويقول في ذلك من قصيدة فكرة الفنان:<sup>١</sup>

عش بالشعور وللشعور، فإنما دنياك كون عواطف وشعور

شيدت على العطف العميق ، وإنما لتجف، لو شيدت على التفكير

فصورة الحياة قائمة على عالم المشاعر المتقدة ، و تجف ينابيع الحياة بدون نار العواطف

ويصور الشعور قائدا فذا في فهم أعماق الطبيعة ومكونات الحياة وأسرارها .<sup>٢</sup>

واجعل شعورك في الطبيعة قائداً فهو الخيرُ بتيهها المسحور

ويترك العنان لخياله، لينقلنا في صور الحياة للوصول من خلال ذلك لاكتشاف العالم بأحزانه وأفراحه، بل لنرحل عبر صورته للوصول إلى أسرار الكون والحياة، إنها دعوة للمشاعر التي تزخر بنبض الحياة ، بل إنها رحلة صوفية تتكشف بها أسرار الحياة حيث عجز عن اكتشافها العقل ، وتفتحت أبوابها أمام القلوب . ويختتم قصيدته بقوله:

فنعيش في الدنيا بقلب زاخر يقظ المشاعر ، حالم مسحور

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ن ط ١٩٩٤، ص ١٨٤

٢- المصدر السابق نفسه، ص ٢١٤

في نشوة ، صوفية قدسية هي خير ما في العالم المنظور

فالحياة في أجمل صورها تعانق للمشاعر في أحضان الطبيعة البكر .

و يتابع في قصائد شتى محاولا الإجابة عن سر الوجود وغاية الحياة ومن ذلك صورته في قصيدة ( في ظل وادي الموت ) حيث يبدي فيها موقفه من أسرار الحياة والموت ، و يطرح الشاعر أفكاره في هذه القصيدة التي أنتجها الوجدان الذي أنزلته أحزانه ليحفر بصمات الأحلام على لوح الآلام حيث تصير الحياة عبثا ورحيلا ، والتجربة الجديدة جاءت نتيجة لليأس الذي جناه من أبواب الحياة الموصدة أمام أمانيه ، تعبر عنها صور ترفل بالحياة ، وتتسم بالصدق في نقل الصراع الدائر في نفس الشاعر في رحلة البحث والاستكشاف ، فيغرف من نبع الطبيعة ليعبر عن مواقفه التي آمن بها ، ونظرته إلى عالم الأمل الذي ينقضي بما فيه من رؤى تزوي تحت وطأة الواقع والزمن ، وتصادمت الصور الصادرة مع صور الواقع ، صراع مرير دعا قلبه بعده لتجربة الرحلة المناقضة ، فهو يستشرف نهايته حيث كتب هذه القصيدة وهو يصارع المرض ، ويقول في المقطع الأول :<sup>١</sup>

فنحن نمشي ، وحولنا هاته الأكوان تمشي ، لكن لأية غاية؟

نحن نشدو مع العصافير للشمس ، وهذا الربيع ينفخ نايه

نحن نتلو رواية الكون - للموت ولكن : ماذا ختام الرواية؟

يتساءل عن سر الكون فصور الحياة وفرح الإنسان والطبيعة في غنائها و تجميعها صورة الموت التي تنتظر الإنسان فالكون لغز محير، ولا قيمة للفرح ولذلك دعا الشاعر ليحرب رحلة الموت التي تتبدى أمام ناظره فيستحضر قلبه ويناديه قائلا :<sup>٢</sup>

جفّ سحرُ الحياة يا قلبي الباكي فهيا نجرب الموت .. هيا..!

فصورة الجفاف جفاف معاني الحياة، والقلب في بكائه يدعوه ليخوض تجربة الموت ، والشاعر لا يجب الأحزان كهواية ولكن لكثرة ما أصابه من مصائب الحياة.

والحقيقة تظهر هذه الصور الراجبة في نزعة الموت للخلاص من الحياة التي يصارعها كما يبدو ذلك في قصائد أخرى منها : (حديث المقبرة ) التي يتساءل الشاعر فيها عن فناء

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ط١ ١٩٩٤م، ص٢٠٢  
٢- المصدر السابق نفسه، ص ٢٠٤

الكون وما حواه من آيات الحياة والجمال والحب والأمل محاولاً عبر صورهِ المتدفقة  
الإجابة على لغز الحياة وسر الفناء ، وتأتي صور الفناء المتلاحقة ، فيجعل الكون يسير في  
ركاب رحلة البشر حيث تتغير الأشياء التي حواها الكون من الحركة إلى العدم والفناء  
حيث يقول :<sup>١</sup> أيسطو على الكلّ ليلُ الفناء ليلهو بها الموتُ خلفَ الوجود

فلا يلثم النورُ سحرَ الحدود و لا تبتُّ الأرضُ غضَ الورود

فصور الشاعر تتسم بالتشخيص والتجسيم لعناصر الصورة التي أنتجت في بيت الطبيعة  
والكون ، وهي تحمل آفاقاً جديدة وحركة متميزة، بما يضيف عليها الشاعر من حياة وتفاعل  
لنقل ما يعتمل في ذاته من مشاعر وأحاسيس ، أحاطت به حقاً وصدقاً، فبرع في تصويرها  
واستنطاقها ، وسرعان ما تحضر روح فيلسوف من بين الأموات ، استحضر روحه ليلخص  
على لسانه رحلة الحياة ويضع إجابات لتساؤلاته حول الحياة التي يطمح إليها الإنسان  
لتحقيق الأماني التي لا يصل إلى نهايتها لأنه محاصر بالمصير المحتوم ألا وهو الفناء ، والشاعر  
يرى الأشياء بنقائضها وتختفي طموحاته خلف سرده لأشياء بعيدة عن أحلامه الكبرى وعن  
صور الحياة التي أحب ، النفس البشرية تواقفة لبلوغ الخلود ، وتصده صورة الفناء ، فيبقى  
معلقاً بين الحزن والسعادة قطبا الحياة ، وتضيع الحياة في رحم الفناء ليعود بذلك يرى الدنيا  
خواء حيث يقول في ذلك :<sup>٢</sup>

وهل ينطفي في النفوس الحنين وتصيحُ أشواقنا في خمود  
فلا تطمح النفسُ فوقَ الكمال ، وفوق الخلود لبعض المزيد؟  
إذا لم يزُل شوقُها في الخلود ، فذاك لعمرى ، شقاء الجدود  
و حربٌ ضرورٌ، كما قد عهدتُ ونصرٌ ، وكسرٌ ، وهمٌّ مديد  
وإن زال عنها فذاك الفناء ، وإن كان في عرصات الخلود

و يتابع هذا الصراع الإنساني القديم الجديد الدائر في نفسه حول سر الوجود، ويجد قيمة  
الإنسان في الطموح والخلود فلا قيمة للإنسان بعيداً عنه حتى في الآخرة.

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص ١٩٨ .  
٢- المصدر السابق نفسه ، ص ٢٠١ .

ويقف عند موضوع السعادة في قصيدة ( السعادة ) فيراها وهما باطلا ، ويستسلم للحياة ويدعو لقبولها كما هي ، ويتطلع إلى رحلة السعادة في الغاب بعيدا عن الناس وعن أحزانهم .<sup>١</sup>

ترجو السعادة يا قلبي ، ولو وجدت في الكون لم يشتعل حزن ولا ألم فيرى صورة الآلام والأحزان تشتعل بين بني البشر ، أما السعادة فلا وجود لها في هذه الدنيا ، ولا يصل إليها من يرحوها فكلما اقترب منها تفر إلى درجة أعلى وتبقى السعادة في عالم الأمان والأحلام.

و يتابع في مقطع جديد مستسلما للحياة بفرح في كل الأحوال :<sup>٢</sup>

خذ الحياة كما جاءتك مبتسماً ، في كفها الغار ، أو في كفها العدم يصل إلى نتيجة يقررها لقلبه ، ويفضي بها للإنسانية ، لتكن نهج الإنسان في مواجهة الحياة بفرح وسرور فيتساوى عنده الفوز والخسران ، ثم يتابع صورة الهروب من الحياة من بين البشر ، إلى الحياة في الغاب حيث الحياة التي أحب ، حياة الصفاء والرجاء :<sup>٣</sup>

واجعل حياتك دوحاً مزهراً ، نضراً ، في عزلة الغاب ينمو ، ثم يندم إنه يحاول الإجابة على أسرار الكون ؛ على سر الوجود ، وعلى حال الإنسان وسط حتمية الحياة وصيرورتها وتتساوى عنده المتناقضات ، فيدعو إلى تقبل الحياة بجميع أحوالها بسعادة ، ويرى الخلاص في عالم الغاب الذي يتعلم منه حكايات الموت التي لا تكون إلا للولادة من جديد .

ويتطرق في قصيدة ( صوت من السماء ) لصورة العدالة في الأرض ، حيث يظهر آلامه لفرط ما حل في الدنيا من خذلان واستلاب وضياع حقوق واغتصاب ، فيشكو السماء ربما يجد جوابا شافيا مستخدما في صورته ضروب الإيحاء والرمز والكناية والاستعارة ، يستنطق الكواكب ، فيأتيه الجواب من السماء يغلب فيه الأمل على الألم ، ويطلع الفجر

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص ٢١١ .

٢- المصدر السابق : ص ٢١١

٣- المصدر السابق نفسه ، ص ٢١٢ .

من قلب الظلام، فالشاعر رغم المرض يرغب في البقاء وربما يلتفت إلى الفجر الذي يطلع  
وسط الظلام ليكون معادلاً كونياً لأمانيه المحاصرة حيث يقول :<sup>١</sup>

((وعرائس الغاب الجميل ٥٥ هزيلة ظمأى لكل جنى ، وكل شراب))

وبعد ظهور صور الاستلاب من قبل قوى الظلام والشر يأتيه جواب رآه في الفجر :

((الفجر يولد باسماء، متهللاً في الكون، بين دجنة وضباب))

وبذلك أخذت الصورة بيد الموضوع ليصلنا من خلال تفاعل الشاعر معه ، وبدا النور  
ومضة الإيمان ، ورجاء لانقضاء عالم الأحزان والأسى .

والشاعر لا يقف عند القشور بل يريد اللباب والجديد ، إنه شاعر الحياة حقاً ، حيث  
وقف يدير المفاتيح لفك طلاسم الحياة وأسرا رها بنبض جيش وحس مرهف وصدق  
وعفوية، تحضنها مشاعر فياضة تأخذ بألباب المتابعين لصوره الممتدة الآفاق، كما تأخذك  
صوره إلى عوالم تتجدد كلما جددت وقفتك أمامها لتفضي لحنا جديداً لم تصل إليه في  
المرات السابقة وفي ذلك يقول أبو شادي : (( كذلك شأننا نحن ، فكلما درسنا شعر  
الشابي ودونا خواطرننا فيه ساقنا التأمل إلى الجديد من الخواطر والمشاعر ، وتفرعت من  
نشوتنا نشوة أخرى.. ))<sup>٢</sup> ومن هنا تبدو صورته نابضة بالحياة والمشاعر الصادقة .

والشاعر في ( قصيدة المساء الحزين ) يعبر عن صورة الحياة من خلال رحلة المساء  
القادم من عالم الصباح عالم الحياة والفرح إلى عالم الأحزان ، وينقل صورته في رحم  
الاستعارات التي يدور فيها موضوع الموت والحزن ، الذي أفضى به الكون للمساء ، ولكن  
الفرح والأمل ينبت رغم الظلام إنها صورة التفوق والتحدي الذي تميز به الشابي عن  
شعراء الرومانسية الغربية ، فهو بحق شاعر الحياة ، شاعر الأمل ، رغم الأحزان التي تحيط به

<sup>١</sup>-أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ص ٢٢٠.

<sup>٢</sup>- د- محمد عبد المنعم خفاجي : الشابي ومدرسة أبوللو ، ص ٢٧٨.

<sup>٣</sup>-أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ١٠١ .

، يبقى الأمل بذرة يولد منها الفرح وسط الظلام لذلك يعد بحق شاعر الحياة لأنه يبحث عنها ويدعو لها أبدا :<sup>١</sup>

أظَلَّ الوجودَ المساءَ الحزين ،      وفي كَفِّهِ معزف لا يُبينُ  
وفي ثَغْرِهِ بسمات الشجون      وفي طرفه حسرات السنين

ولننظر إلى هذه الصورة التي ترتبط بها عرى الفرح والحزن في خيط واحد كالحياة في حقيقتها رحم الموت والولادة بلا توقف :

ضحوكٌ وقد بلّته الدموع ،      طروبٌ وقد ظلّته الشجون

فيجعل المساء الذي غالبا ما تأتي صورته لتدل على الرحيل والأحزان ، رحما للولادة والفرح والأمل ، وبشهر عنصر الحياة والتحدي أمام الأحزان لترتسم صورة الفرح في قلب الحزن ، رابطا بذلك نشيد الحياة في قلبه الفياض في صور صادقة لطيفة تقبل عليها النفوس وتفتحها الضمائر، حيث نراها في أعماق نفوسنا وضمائرنا، وهاهو يدعو قلبه للتجلد مظهرا بذلك تفوقه في نظره إلى الكون عبر قطبي الحياة الفرح والحزن حيث يقول :<sup>٢</sup>

ولولا غيومُ الشتاء الغضابُ ،      لما نضدَ الروضُ تلك الورود  
ولولا ظلامُ الحياةِ العبوسُ ،      لما نسجَ الصبحُ تلك البرود

إنها نظرة المتأمل الخبير بديدن الحياة الباحث أبدا عنها حتى عند دنو وقت الرحيل عنها ، والشاعر يحاول في أغلب قصائده تغليب الحياة والفرح على الحزن الذي يتحداه تارة أو يستسلم له تارة أخرى ليرسم بذلك صورة واقعية عن الحياة ذاتها ، ويتكى في حججه التي يقدمها كبراهين لما يتحدث عنه ، على عناصر الطبيعة والكون ، والإنسان نفسه فمن يحزن أو يكون ضعيفا لن يقدر على مواجهة الحياة التي لا ترحم الضعفاء أو الجبناء ، وقدم لنا صورته التي امتزجت بروح الطبيعة وعناصرها، حيث أخذت تنمو نمو الحياة ذاتها كما يبدو ذلك في قصيدة ( أكثرت يا قلبي .فماذا تروم ؟ ) التي يخلص فيها إلى الروح الإيجابية .كذلك نجد هذه الروح الإيجابية تظهر في قصيدة ( الصباح الجديد ) وبصير سحر الحياة خالدا ، ويرسل الشاعر فيها فلسفته التي عاش عليها فأحبها ولا يريد أن يتركها، فيحول

١- أبو القاسم الشابي :أغاني الحياة ،ص ١٠١ .  
٢- المصدر السابق نفسه ، ص ١٠٣ .

الموت حياة والحزن فرحا ويتفوق على الأحزان الدنيوية التي تتراءى راحلة أمام ناظريه، وهو في أيام مرضه ووقت وداعه للدنيا، فبكاها بلغته التي تفوقت على البكاء العادي لتبرز رأيه في الحياة والفرح الذي يتجاوز الحياة الدنيا وكأنه اتحد مع الربيع الذي يذهب ويعود ولا يغيب عن الحياة بل يرحل ليعود من جديد حيث يقول متحديا الألم والموت :<sup>١</sup>

إنَّ سحرَ الحياة                      خالدًا لا يزولُ  
فعلام الشكَاة                      من ظلام يحول  
ثم يأتي الصباح                      وتمرُّ الفصول ؟  
سوف يأتي ربيع                      إن تقصّي ربيع .

هكذا الشاعر يرى الرحيل حياة والحزن فرحا منتصرا لمبدأ الحياة الذي يتجاوز فيه ما تعارف عليه الناس ، وما وجد في حياة الناس ، ويرى في الطبيعة معادلا لما ألم به من مصائب ، حيث تبعث بعد موتها من جديد ، وهكذا يرى الشاعر رحيله ( الموت ) عن الدنيا حياة مرجوة في أخرى ، فيها الصباح وفيها الربيع ، ويقول في ذلك :<sup>٢</sup>

من وراء الظلام                      وهدير المياه  
قد دعاني الصباح                      وربيعُ الحياة  
يا له من دعاء                      هزَّ قلبي صداه !  
لم يعد لي بقاء                      فوق هذي البقاع

فالشاعر يغادر الحياة ، وهو يجد في رحيله انتصاراً على الحياة الدنيا ومصائبها ، مخالفاً بذلك طباع الناس ليكون بذلك قد اقترب في رحيله إلى عالم التصوف ، إنه الرحيل إلى عالم من سعادة ونور ، فصورة الرحيل الموت ولادة، إنه الأمل الذي لم يترك الشاعر حتى في أحلك الأوقات ، إنه استعداد لرحلة جديدة وصباح جديد في عالم جديد . ونرى الموقف المشابه من خلال الصور التي تمر في قصيدة (زوبعة في ظلام) وبعض القصائد الأخرى في ديوانه، حيث يرى تفاهة الحياة الدنيا وما فيها من آلام ومآسي الأولى بها أن تلقى في العدم ، إنها دعوة للخروج من حدود الحياة الدنيا إلى آفاق أرحب وأوسع .

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص ٢٢٦ .

٢- المصدر السابق نفسه، ص ٢٢٧ .



والشاعر يجيب عن تساؤلات تحيره عن حقيقة الحياة والموت في قصيدة ( الأبد الصغير )  
فموضوع الصورة فيها يتجاوز الواقع ، ويخرج منه ليجيب عن تساؤلاته، وتأتي الإجابة  
من عمق الرؤية التي تخلص فيها الروح لتكون عنصرا من عناصر الطبيعة متطلعا إلى الخلود  
خارجا من دائرة الصراع بين الفرح والحزن، ليتجاوز الفناء إلى رحلة البقاء ويعبر عن  
دهشة الإنسان أمام أسرار الكون حيث يقول :<sup>١</sup>

يا قلب! إنك كونٌ مدهشٌ عَجَبٌ،      إن يُسألُ الناسُ عن آفاقه يَجْمُوا  
كأنك الأبدُ المجهولُ ، قد عَجَزَتْ      عنك التُّهَى ، واكفهرت حولك الظُّلْمُ

وتظهر الصورة وهي تمتد خلال مقوماتها من تشبيه وكناية واستعارات ، لتقل ما بداخل  
الشاعر من مواقف تتصارع محاولة الوصول إلى أسرار الحياة، ولا يخرج في صورته عن  
عادته، وهاهي الثنائية بين عناصر الحياة تبدو صارخة في هذه القصيدة :<sup>٢</sup>

يا قلب! كم قد تملَّيت الحياة ، وكم      رقصتها مَرَحًا ، ما مَسَّكَ السَّأْمُ  
وكم توشَّحتَ من ليلٍ ومن شَفَقٍ ،      ومن صباحٍ توشِّي ذَيْلَهُ السُّدْمُ

وهكذا يعبر الشاعر من خلال صور تتصافر لتعبر عما في قلبه ، وتعبر عن فرح قادم  
من وسط الأحزان ، ويتنسم عطر الحياة في درب الفناء ، الرماد ، وتأتي الولادة في رحم  
الموت ، إنها الروح التي امتزجت مع الكون ، وسارت في خطاه ، فالرحلة رحلة إنسانية  
تتجاوز حدود الإنسان ، وتمتد لترتسم مع عناصر الكون ، فتخرج من دائرة الزمان والمكان  
، إنها آراء تخرج من فلسفة الحياة عند الشابي التي تتعاقب في آفاقها المتناقضات التي تبثها  
حياة ودفنا وحيوية ، وها هو يريد الخروج من آلامه التي أحاطت به ، فينظر في رحلة  
الكون إلى الفناء ، ويلتفت ثانية إلى قلبه ويخاطبه بمصيره الذي ينتظر الرحيل ، الرحيل  
الذي يتساوى فيه الفرح والحزن ، إنه ربما يريد بهذه الصورة أن يتجاوز آلامه الجسدية التي  
يرزح تحت وطأها ، فيبحث عن معادل لها في الكون ، حيث يقول :<sup>٣</sup>

تمضي الحياة بماضيها ، وحاضرها ،      وتذهب الشمس والشيطانُ والقَمَمُ

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص ١٥١ .

٢- المصدر السابق نفسه ، ص ١٥٢ .

٣- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص ١٥٢ .

وأنت، أنت الخِضْمُ الرُحْبُ ، لا فرحٌ يبقى على سطحك الطاغي ، ولا ألمٌ  
و يتابع رحلة الكشف في الحياة التي عاشها وهي مقبلة، ويتصارع معها من أجل أن  
يرسم فيها آماله التي تتجاوز آمال ونظم الحياة، بل تتجاوز ما جاء في هذه الدنيا لتقترب  
من حياة الفردوس، وتهرب الصورة لتتلاشى تحت وطأة حقيقة الحياة والموت وتبقى الحياة  
وترحل الأحلام: <sup>١</sup>

وكم رسمت رسوما، لا تشابهها هذي العوالم ، والأحلام والنظم!  
كأنها ظلُّ الفردوس ، حافلةً بالخور، ثم تلاشت، واختفى الحلم

وكان الشاعر يريد أن يمزج آلامه بحقيقة الحياة التي تمشي إلى الزوال ، وسرعان ما يأتي  
الأمَل وتطلع صورة الحياة الخالدة مع الأيام المتمتعة بالشباب والحيوية والمتجددة بالربيع،  
ويجد في ذلك مخرجا من عالم الأسي فيمتزج مع الكون، ويصير قلبه متجددا في حياة  
مستمرة وفي صور مختلفة كالطبيعة حيث يقول في ذلك: <sup>٢</sup>

تبلو الحياة فتبليها وتخلعها ، وتستجدُّ حياةً ، ما لها قدمٌ  
وأنت أنت شباب خالد ، نَصْرٌ مثل الطبيعة: لا شيبٌ ولا هرم

يحاول الشاعر أن يتعمق في أسرار الحياة ليستخلص منها البراهين والأدلة على توافق  
بينهما فيتجاوز في طريقة تناول مشاعره وأحزانه ما تعارف عليه البشر، ليتفوق على الآلام  
والأحزان، ويمتزج في رحلة أبدية مع الكون الذي يتجدد مع مطلع كل يوم جديد إنها  
الصورة الجديدة للحياة .

٢ - كآبة وأحزان:

لقد اتضحت صورة الألم والكآبة والأحزان في أشعار الشابي منذ بدايات كتابته للشعر  
، فالشاعر اصطدم بمحيط متخلف ، أجهد نفسه للخروج به إلى ما يراه من آفاق جديدة  
رحبية ونيرة ، ولكن دون جدوى ، فظهرت تلك التشاؤمية في أشعاره على عادة الشعراء  
الرومانسيين ، رغم صراع دار بين الأمل النابت في وجدانه المتطلع دائما إلى حياة من نور  
، ولكنها تصطدم بالواقع الذي يفسد أحلامه ويحارب آماله التي تتهاوى عبر مسيرة الأيام

١- أبو القاسم الشابي أغاني الحياة، ص ١٥٢ .

٢- المصدر السابق نفسه، ص ١٥٣ .

نحو الغروب والزوال ، ولعل من أبرز الدواعي إلى الألم نظرة الشاعر للحياة وما فيها من ظلم وظلام أطبق على البشرية ، وأخذ ينهش بربيعها ، ويهدم الأحلام التي تطلع كالنجوم في نفوس أحبب الحياة فأحببتها بفطرتها ، لأنها بعيدة عن وحشية المدنية ، واستغلال الإنسان لأخيه لذلك نجد الشابي في قصيدة ( الكآبة المجهولة ) التي كتبها سنة | ١٩٢٦ | م ، يرى الألم فهجا يسير عليه ، فالكآبة عنده تختلف عن صورتها المعروفة عند الناس .

حيث يقول:<sup>١</sup>

كآبة الناس شعلةً ، ومتى  
مرّت ليالٍ خبّت مع الأمد  
أما اكتتبي فلوعةً سكنت  
روحي ، وتبقى بها إلى الأبد

فصورة الكآبة لوعة انطوت في روح الشاعر إلى الأبد، لوعة لا تعرف الهدوء أو الانقضاء، ويتابع في قصيدة -الدموع - التي كتبها / ١٩٢٧ م/ باحثاً عن أسباب الألم الذي يجد صورته وقد تجسدت في عناصر الحياة التي أحاطت به من ذلك:

أ- العنصر الأول صورة الزمن الذي ينقضي دون أن يحقق الشاعر أمانيه التي ضاعت بين الألم والصبر حيث يقول:<sup>٢</sup>

ينقضي العيش بين شوق ويأس ، والمنى بين لوعة وتأس

ب- والعنصر الثاني: يجده في فساد المجتمع :

هذه سنّة الحياة . ونفسي لا تودُّ الرحيق في كأس رجس

ملى الدهر بالخداع ، فكم قد ضلّ الناس من إمام وقس

ج- والعنصر الثالث من عناصر الألم يتعلق بنفسية الشاعر وحظه ، حيث صار الباطل حقاً في الحياة ، باطل يصطدم به لأنه ينظر إلى الحياة بمنظار صادق يطمح من خلاله لتحقيق

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ط١ ١٩٩٤، ص٤٥.

٢- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ط١ ١٩٩٤، ص٧٠.

٣- المصدر السابق نفسه، ص٧١.

الخير والحب، ولكن واقع الحياة يخالف آماله فيرتد عنه ليتجرع كؤوس الحزن والخيبة والمرارة التي لا تنقضي، حيث يقول في ذلك:<sup>١</sup>

فسئمت الحياة، إلا غراراً، تتلاشى به أناشيدُ يأسِي  
وسقتني من النعاسة أكواباً تجرعتها، فيا شدّ تعسي!

و يتابع مبينا أسباب كآبته وحزنه:<sup>٢</sup>

تلك أوجاع مهجة، عذبتها، في جحيم الحياة أطيافُ نحس .

تضافرت العناصر الثلاث لتوضح صورة الألم في نفس الشاعر وحياته، وهو في ذلك يحدد عوامل الألم، الذي لم يكن صدوره ناجم عن التقليد لما ظهر في الشعر الرومانسي فحسب، بل تبدو أسبابه في تربيته الدينية التي ترباها في مدرسة والده التي كانت تدعو إلى قيم الحق والخير والجمال .

٣- (البكاء):

يؤكد الشاعر على عناصر صورة الألم الذي اتخذهُ هُجاء، ويعلل أسباب تلك النظرة في الديوان، وتظهر المسحة الإيمانية في أعماقه حيث يرى الدنيا دار بلاء وليست دار عبث ولعب وهو، ويرى الشاعر البكاء هدفا ساميا في الحياة، نابعا من أعماق نفسه التي استقر عليها الإيمان، وذلك يتفق مع صفات المؤمنين حيث ارتبط البكاء بالإيمان وبالخشية من الله تعالى فالذين هداهم الله ييكون من خشية الله خوفا وطمعا وشوقا إلى لقاء الباري بقلوب خاشعة مطمئنة، وجعل الله سبحانه صفة البكاء عند النبيين وعند من هداهم الله إلى الحق والصواب من عباده المحبتين الأخيار حيث يقول الله سبحانه وتعالى: (( أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم ومن حملنا مع نوح ومن ذرية إبراهيم وإسرائيل ومن هدينا واجتبتنا إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا ))<sup>٣</sup>، والبكاء والحزن عند الشابي جاء بعد خبرته بحقائق الحياة الفانية التي لا تعادل في مغرباتها الزائفة والزائلة ما ينتظر في الحياة الأخرى حيث البقاء والسعادة الحقيقية، تلك الحقائق الناجمة عن إيمانه العميق في

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ص ٧٠.

٢- المصدر السابق نفسه، ص ٧١.

٣- سورة مريم، الآية ٥٨.

نيل المنى في الدار الآخرة . ولنستمع إليه يعرض علينا صورته التي قادتة إلى معرفة نهج البكاء  
حيث قال :<sup>١</sup>

سدّدتُ في سَكينة الكون ، للأعما ق ، نفسي لحظاً بعيدَ الرُسوب  
نظرةً مزقتُ شغافَ الليالي ، فرأت مهجة الظلام الهيوب  
ورأت في صميمها . لوعة الحزن ن وأصغت إلى صُراخ القلوب  
لا تحاول أن تنكر الشجو ، إني قد خبرت الحياة خُبْرَ لبيب

حقائق الحياة تظهر وتتكشف أمام تجربة الشاعر، فيعبر بصور تناسب طبعه، لذلك يقرر تركه  
لرخارف الدنيا ، والسعي إلى طريق الخلاص الذي يتبعه أهل الحكمة والإيمان :<sup>٢</sup>

فتبرمتُ بالسكينة والضجّة ، بل قد كرهتُ فيها نصيبي ...  
كن كما شاءت السماء كئيِّباً أيُّ شيءٍ يسر نفس الأريب ؟

إنه ارتضى نهج المؤمنين سبيلاً ، فخرجت آلامه إلى ساحة الدموع ، وجعل البكاء صورة  
حقيقية لعناصر الكون ، وهاهي الأيام والليالي في الدار الدنيا سبل دموع وأحزان وبذلك  
يلتقي مع نهج الرومانسيين الذين يقدرسون الألم ، و سار في نهج وافقه واطمأن إليه ولنظر في  
هذه الصورة حيث يقول :<sup>٣</sup>

خضّب الاكتابُ أجنحةَ الأيا م بالدمع ، و الدم الأسكوب  
وعجيب أن يفرح الناس في كهــــــــف الليالي ، بجزئها المشيوب!

نسمع ونرى صور الحزن التي ترامت على عتبات الليل وكأنه ملجأ العذاب و صدر البكاء ،  
و كأنه مسرح لمن فقدوا أحبّتهم وأصيبوا بأرزاء الدهر ، وهاهو الشاعر يقف بين يدي  
الطبيعة والكون ، و هو يدفع صور أحزانه ، فيأخذ الليل يعول بأناشيده الحزينة التي راح  
يسطرها باحثاً عن الأمل في الحياة في نهاية النفق المظلم الذي وضعه القدر فيه ، فأخذ ينفخ  
ببوق الأحزان ترانيمه التي لا تهدأ ولا تستقر ؛ (( وقد يظهر لنا في مسوح الفيلسوف  
الناسك الذي خبر الحياة عن قرب فوضح له المبهم منها على الآخرين وافترع سرها

١ أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ص ٧٤.

٢- المصدر السابق ، ص ٧٤.

٣- المصدر السابق ، ص ٧٤.

ولمس ما فيها من أذى وألم))<sup>١</sup> وأخذ يبين لنا نظراته الفلسفية ويلخص رحلة الكون من خلال صور الحزن التي تتراءى له في قوله:<sup>٢</sup>

نظرة مزّقت شغاف الليالي  
ورأت في صميمها ،لوعة الحزن  
فَرأت مهجة الظلام الهَيُوب  
ن ، وأصغت إلى صُراخ القلوب

ويتابع نظراته وفلسفته التي رأى فيها الحياة أحزاناً بأوقاتها ،فقلب بنظراته تلك مفاهيم الحياة التي استقرت في النفوس ، وأجرى لغة جديدة أزاح بها الستار عن مكونات نفسه الحزينة ،وتركنا أمام عالم من صور الحزن التي تفوق التصور والوصف والخيال، ولنستمع إليه يتابع أناشيد أحزانه في عالم من الصور التي لم تتوقف وهي تدور في فضاء من الحزن السرمدى:<sup>٣</sup>

ما سكوتُ السماء إلا وجومٌ  
ليس في الدهر طائرٌ يتغنى  
ما نشيد الصباح غير نحيب  
في ضفاف الحياة غير كئيب  
يا لقلب تجرع اللوعة المرة  
من جدول الزمان الرهيب!

عالم من الأحزان والألم والبكاء تشربته روحه واستولى على مظاهر حياته .  
الشاعر قرر حقيقة قبل وقوعها ، وصدق حدسه حيث أحاطت الكآبة به وترامت الأحزان حوله من كل حذب و صوب في سني عمره الأخيرة ، و هو في ريعان الشباب،

وأخذت الأحداث ترجه رجا فمن فقد الحبيبة إلى فقد الأب الرؤوف ، كل ذلك مع غربة فرضت عليه وسط مجتمع يحارب أي بقعة نور أينما كانت فألقت هذه الظروف القاهرة بظلالها على حياة الشاعر ، وشرعت تمزقه ، وتمزق أحلامه الغضة ، وأخذ يبحث عن مخرج ولكن بلا أمل، فالحياة إلى زوال ومظاهر الألم تحاصر الإنسان دون تمييز بين غني أو فقير حيث يقول في قصيدة شكوى ضائعة:<sup>٤</sup>

فإنما الموت ضرب من حبائله ، لا يُفَلت الخلقُ ما عاشوا ، فما النظر؟  
فالدنيا في أيامها ولياليها موطن للحزن والألم الممتد إلى زوال الحياة الدنيا وبذلك يقرر مبدأ البكاء الذي توصل إليه من خلال نظراته للحياة .

١- أبو القاسم محمد كرو: دراسات عن الشابي ، الدار العربية للكتاب ، طبعة جديدة ، ١٩٨٤م ، ص١٨٠.

٢- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ٧٤.

٣- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص٧٤-٧٥.

٤- المصدر السابق نفسه ، ص٢٦٢.

#### ٤ - مواقف إنسانية:

ترصد صورة الشاعر بعض المواقف الإنسانية ، فمنها صورة اليتيم الذي يبث شكواه لعناصر الطبيعة عله يجد حذبا أو شفقة بعد يتم ، ولكن دون جدوى فيرتد إلى نفسه يتجرع قسوة الحياة وظلمها ، وهو الصغير اليتيم ، ولا مجير ولا مجيب. الشاعر يبحث عن عالم من القيم التي انكفأت خلف المظاهر المادية التي جعلت الحياة تغفل عن جوهرها ، فيتمسك أبناءها بالقشور، لذلك يهزم الإنسان ، ويجد الغربة تحاصره حيث يقول :<sup>١</sup>

و لما ندمتُ ، و لم ينفع  
وناديتُ أمي ، فلم تسمع  
رجعت بجزي إلى وحدتي ،  
ورددتُ نوحِي على مسمعي ،  
وعانقتُ في وحدتي لوعتي  
وقلتُ لنفسي ألا فاسكتي!

يريد الشاعر برؤيته الإنسانية من خلال الرؤية الرومانسية أن يبحث في مشكلة القيم والعلاقات الإنسانية ، التي يتوقف نبضها عند حدود النفع ، والمصلحة ، وتتوقف بل تنقطع عندما تكون الحاجة ماسة لرفع ظلم ، أو مسح دمعة . وينظر في بعض القيم الهدامة لبناء الإنسانية المشيد على النقائص والنقائص والمفاسد والشرور التي أراد الشاعر أن يفضحها من خلال صور الباطل المتفوق في المجتمع الإنساني ، الذي تحدى كل إصلاح من السماء أو الأرض ، موضحا تلك الصور في قصيدة ( أبناء الشيطان ) منها:<sup>٢</sup>

والقويُّ الظلوم يَعْصِرُ من آلامها السود لذةً و مداما  
يتحسَّاه ضاحكًا.. لا يراها خُلِقَتْ في الوجود إلا طعاما!

ثم ينظر في فساد انتشار ، وافتضح الأمر للعيان ، ولا أمل في تغيير ، بل مظاهر خادعة تطوي عناصر الفساد والرذيلة بلا هوادة أو توقف :<sup>٣</sup>

وفتاة حسبتُها معبدَ الحبِّ ، فألفيت قلبها ماخُورا!  
ونبيلٍ وجدته في ضياء الفجر قلباً مدنساً شريرا !

١- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ٤٨ .

٢- المصدر السابق نفسه ، ص ١٧٦ .

٣- المصدر السابق نفسه ، ص ١٧٦ .

وزعيم أجله الناس ، حتى ظنَّ نفسه إلهًا صغيرًا !

عناصر لصورة الفساد الخلقي والاجتماعي، وعناصر أخرى في القصيدة يرصد حالاتها ليرسم صورة السقوط الإنساني في أحوال التدني والطمع والرذيلة التي لوثت الحياة البشرية بالمفاسد والشرور.

ولم يقف الشاعر في رصده لقيم السقوط عند حدود عصر أو أمة بل وجد الإنسان أينما كان موطنًا للفساد يزرع الشر وهو يدعي الخير والفضيلة حينما يتمكن من ذلك ، والشاعر بذلك تنطلق صورته إلى آفاق أرحب ، وجوانب أخصب تتعدى حدود المكان والزمان ، ولنحاول أن نعيش في أجواء الصور التي رصد فيها فلسفة القوة المثقفة التي تفرض سيطرتها في كل مكان في قصيدة ( فلسفة الثعبان المقدس ) التي صدرها بقطعة نثرية يقول فيها : (( فلسفة الثعبان المقدس هي فلسفة القوة المثقفة في كل مكان ، وكما تحدث الثعبان في القطعة التالية إلى الشحرور بلغة الفلسفة المتصوفة حين حاول أن يزين له الهلاك الذي أوقعه فيه ، فسماه (( تضحية )) وجعله السبيل الوحيد للخلود المقدس..))<sup>١</sup> يعرض الشاعر لصورة الثعبان في مكره وحيلته ، ولصورة الشحرور الذي يحاول استنكار واستهجان سياسة الثعبان الذي يريد أن يقضي عليه فقط، لأنه يريد أن يعيش فرحًا ، محبا صادقًا. ويرى الشاعر أن العدالة في الدنيا محض افتراء ، ولا مفر من وجه القوة ولا حامي لها سوى التعادل والمواجهة حيث يرصد هذا المنطق في قصيدته قائلا :<sup>٢</sup>

((وسعادة الضعفاء جرمٌ ، ما له عند القويِّ سوى أشدَّ عقاب!))

((ولتشهد الدنيا التي غنيتُها حلمَ الشباب وروعةَ الإعجاب))

((أن السلام حقيقة مكذوبة ، و العدل فلسفة اللهب الخابي))

((لا عدل ، إلا إن تعادلت القوي ، وتصادم الإرهاب بالإرهاب ))

فيرد الثعبان مبرهنا للشحرور الصيرورة التي لا مفر منها ولا مهرب ولا بد له إذا أراد البقاء أن ينضوي تحت رايته ويطيعه فيما يأمر، ولنشاهد صورة الشحرور الضعيف وهو يقضي مستسلما للثعبان ولفلسفة القوة التي لا ترحم الضعفاء ، حقائق لا تتغير ترصد

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ص ٢٦٦ .

٢- المصدر السابق نفسه ، ص ٢٦٧ .



صورة الوحش الإنسان عندما يملك أسباب القوة ينقض بلا رحمة ويجهز على البراءة ويستلب حق الضعيف ويجهز عليه ، ولنقرأ ذلك في قوله :<sup>١</sup>

فأجابه الشحرور ، في غصص الردى ، والموتُ يخنقه : "إليك جوابي" ..  
(لا رأيَ للحقِّ الضعيف ، ولا صدى ، والرأيُّ ، رأيُّ القاهر الغلاب ))  
(فافعل مشيئتك التي قد شئتَها ، وارحمْ جلالك من سماع خطابي))  
وكذاك تتخذ المظالم منطلقاً عذبا لتخفي سوء الآراب

انتصر الشر في صورته الطاغية، ولكن هذه سنة الطغاة في الحياة، التي لا ترحم الجبناء ولا الضعفاء ، أرى في ذلك دعوة للأخذ بأسباب القوة لمواجهة العتاة والظالمين .

و لتتابع صورة جديدة صورة رحمة في رحم الإنسانية، صورة الأم التي رصدها الشاعر فوجد فيها هالة القداسة والرحمة والاطمئنان التي لا تنضب في قصيدة ( حرم الأمومة ) حيث يرى الطهر والأمان يتدفق من ذلك النبع العذب:<sup>٢</sup>

الأمُّ تلثمُ طفلها وتضمُّه ، حرمٌ سماويُّ الجمال مقدسٌ  
تتأله الأفكارُ وهي جواره وتعود طاهرةً هناك الأنفس  
حرمُ الحياة بطهرها وحنانها، هل فوقه حرمٌ أجلُّ وأقدس ؟  
بوركتَ يا حرمَ الأمومةِ والصبا كم فيك تكتملُ الحياةُ وتقُدُّس !

يقف الشاعر في هذه الأبيات عند صورة الرحمة التي أرادها الله سبحانه وتعالى في الأرض وقد تجسدت في صورة الأم مع طفلها .

هذه بعض من صور إنسانية تدفقت من قلب ينبض بالحب والإنسانية تتغنى بقيم الخير والجمال وتدعو إليها ، وتفصح بلا خوف عناصر الشر وترفضها داعية لإعلاء شأن الحق والخير والجمال موافقا بذلك ما أراد الله لعباده وهذا دليل آخر على عمق الإيمان في قلب الشاعر حيث يصدر في دعواه من تلك المشكاة التي تشربتها روحه منذ الصغر.

١- المصدر السابق نفسه، ص ٢٦٨.

٢- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ٢٦١.

## المبحث الثاني :

صورة الهموم والطموح والانتصار :

### ١- الطموح هموم الأسرة :

تقاطرت أنواع الهموم حول الشاعر منذ نعومة أظفاره ، وأخذت تجر روحه المتقدة حبا وأملا وإيمانا فمن وفاة الوالد إلى فقد الحبيبة إلى مفاسد وجهل يحيط به من كل جانب ، لكنه لم يستكن فرغم حياة الشباب ، وثقل المسؤولية عن العائلة بعد رحيل والده، راحت الأحزان تحاصره ، يقول في رسالة إلى صديقه محمد الحليوي معبرا عن حالته عند وفاة والده : ((إن استمعت إلى نفسي لم أَلف إلا الأسي يبكي أو أصخت إلى قلبي لم أسمع إلا النحيب ، أو قلبت طرفي فيما حولي لم أبصر إلا ظلمات تتدجى من فوقها ظلمات ))<sup>١</sup> نفس مليئة بالأسي ومحيط مليء بالظلمات أي عذاب هذا الذي يلف هذا الإنسان الذي لم يهدأ رغم كل الأحزان التي تأتيه تلو الأحزان والآلام تحيط به كالظلام فلا مخرج من وطأة الأحزان يردد صورته الحزينة يندب حظه العاثر بآهات تخرج من قلب طفح بالحسرة والألم والحزن ، ما برق في أوائل الصبا وفي كنف والده من صفاء وحب وآمال، أخذت تذوي سريعا في لجج الظلام المحيط به، وويلات الألم لفقد الأحبة ، ولنستمع إلى أنات قلبه في تساؤله واستغرابه وحيرته لما حل به من ضياع لا يضارعه ضياع ، وذلك بعد وفاة والده ، فصارت حياته بلا معنى حيث فقد مستودع السر والأمل الباسم ، وغرق في ظلام الأسي يصف حالته تلك في قصيدة ( يا موت ) قائلا:<sup>٢</sup>

يا موتُ قد مزّقت صدري                      وقصمت بالأرزاء ظهري

ويتابع صور الأسي والفجيجة لفقده والده :

وفجعتني في من أحب ، ومن إليه أبثُّ سري

ثم يحدثنا عن علاقته بوالده ، ويتحاور مع الموت مستعجلا دوره ليترك الحياة :

يا موت ! نفسي ملت الدنيا ، فهل لم يأت دوري ؟

يعبر الشاعر عن ضعفه أمام رحيل والده في صورة المهزوم أمام الفجيجة اليائس المستسلم للرحيل، ولكن لم يدم ذلك طويلا بل أطلت صباح الحياة ليأخذ التغيير يدب في نفسه

١- محمد الحليوي : رسائل الشابي ، دار المغرب العربي - تونس ، ص ٣٦ .

٢- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ١٣٩-١٤١ .

حسب الظروف المتجددة وحسب سنة الحياة التي لا تعرف التوقف على حال بعينه ،  
وتتحول صورة الحداد على أبيه إلى صورة الإقبال على الدنيا ، التي خلق لها ابن آدم وهذا  
ما نجد في قصيدة (الاعتراف) :<sup>١</sup>

ما كنت أحسب بعد موتك يا أبي ، — ومشاعري عمياء بالأحزان —  
أني سأظماً للحياة ، وأحتسي من نهرها المتوهج النشوان  
ثم يقرر في نهاية القصيدة علاقة ابن آدم بالدنيا :

إن ابن آدم ، في قرارة نفسه ، عبدُ الحياة الصادقُ الإيمانِ  
وتبقى الحياة ممراً للإنسان يصنع فيها حياته ويصارع لبلوغ المنى ، وأنى له ذلك؟ فالشاعر  
يريد حياة الصدق والفضيلة وهذا طموح للخروج عن دائرة الحياة العادية ، ولكن كيف  
يترك الأسرة التي تعلق به بعد وفاة الوالد ، والتي وقفت عائقاً أمام طموحه ، حيث يرى  
الشاعر الحياة الحقيقية حياة سامية يسعى وراء عليائها كل من يسمو بنفسه وفنه فوق  
مغريات الحياة اليومية ، وتبدو تلك الصورة في قصيدة ( قيود الأحلام ) حيث يقول فيها:<sup>٢</sup>

وأود أن أحيا بفكرة شاعر ، فأرى الوجود يضيق عن أحلامي  
ويعدد مغريات حياة الفن ولكن الواقع والواجب أولى وفي ذلك صورة رائعة للتضحية  
والإيثار :

لكنني لا أستطيع ، فإن لي أما ، يصدُّ حنائها أوهامي  
وصغارَ إخوان ، يرون سلامهم في الكائنات ، معلّقاً بسلامي  
ويتابع صورته التي يرى فيها أن الحياة بمصائبها تقف سداً أمام فنه :<sup>٣</sup>  
فطحمتُ نفسي على شطآنه وتأججت في جوّه آلامي

٢- همس (الحياة): (الكل) وآمال

أ- مذهبه في الحياة:

عرفنا أبو القاسم الشاب الطموح المحب المخلص لأهله ولشعبه ، والرافض للقيم  
البالية ، التي استبدت بشعبه ، وأغرقت في متاهات الردى والحرمات ، فشاعرنا يرى  
ببصيرته قبل بصره ، حقائق الأمور التي تدور بها الأقدار التي تأتي بالويلات والعذاب ،

١- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ٢٥٢.

٢- المصدر السابق نفسه، ص ١٦٩.

٣- المصدر السابق نفسه، ص ١٧٠.

وذلك بسبب الجهل والظلم الذي خيم على حياة تونس كلها ، مما جعله يشعر بالحرز والألم لهذا الواقع البغيض ، المليء بالجهل والخنوع ، والخاص من أدياء العلم والمعرفة الذين وجهوا إليه سهامهم التي تريد منه أن يتزل إليهم وهو الذي ارتقى بفنه وبنفسه إلى الأعالي حيث السؤدد والمجد الحقيقي . ((فقد تخلص من رق المديح وما يتصل به واتجه إلى نفسه وعصره وأمته . وشعر شعورا واضحا بالحق والجمال والكمال ، وظل هذا الشعور يجري في شعره تيارا مندفعاً لا ينقطع ولا يفصل عن أي قصيدة أو أي مقطوعة ينظمها))<sup>١</sup> وحدد صورة الشعر الذي يصدر عن العواطف والروح ، ويرى الشعر ينطلق من ذات الإنسان ووجدانه، ويسير الشاعر بذلك في موكب دعاة المذهب الرومانسي الذي أعلى من شأن الفرد والروح ، وابتعد عن نمط الشعر الكلاسيكي حيث كان الشعر حكراً للقصور والسادة الأغنياء ، ويصور لنا هدفه من الشعر، فهو تعبير عن وجدانه وعن أفراحه وأحزانه ، وشعره ينظمه لهدف نبيل لأجل رفعة البلاد ويبدو ذلك في ( قصيدة شعري) التي يقول فيها :<sup>٢</sup>

شعري نُفائة صدري ، إن جاش فيه شعوري  
ولولاه ما انجاب عني غيمُ الحياة الخطير  
به تراني حزينا أبكي بدمعٍ غزير  
لا أنظمُ الشعرَ أرجو به رضاء الأمير  
حسبي إذا قلتُ شعراً أن يرتضيه ضميري  
ما الشعر إلا فضاء يرف فيه مقالي  
فيما يسرُّ بلادي ، وما يسرُّ المعالي

فالشعر عنده نبع يصدر عن القلب ، ليخاطب الحياة ، ليخاطب الإنسانية ، ليرفع به ظلما عن بلاده، وليث من خلاله شكواه وهمومه . وتأتي قصيدة (يا شعر) التي يحملها الشاعر نفحاته الإيمانية التي تتغلغل فيها عناصر الجمال وتحمل الطبيعة عناصر الصورة ، وتنطق بظلالها على الكون أعذب الألحان وأنبها وأصدقها :<sup>٣</sup>

١- د - شوقي ضيف : دراسات في الشعر العربي المعاصر ، ط٧، دار المعارف في القاهرة ١٩٧٩م، ص١٤٣

٢- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص٢٦

٣- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص٥٢

يا شعر، أنت فم الشعور ، وصرخةُ الروح الكئيبُ  
يا شعر أنت جمال أضواء الغروب الساحرة  
فيك انطوت نفسي، وفيك نفخت كل مشاعري

والقصيدة طويلة يتحدث فيها الشاعر عن الليل والموت والصمت ، حيث يجري الزمن والشاعر في غربة وحنين ، فيرى الشعر ضرورة لإضاءة الحياة ، وليكون سبيل تغيير نحو الأفضل ، وجاءت الطبيعة لتحمل ما يجري على البشر، وكان الشعر حاضرا لينقل في صورته الرائعة الرسالة التي آمن بها الشاعر .

ب - أحلام الطفولة:

بدأت رحلة الطفولة بالطمأنينة التي منحها أب عطوف محب ، وحياة مليئة باللهو والفرح الذي لا يتوقف ، الدنيا مليئة بصور الفرح والسرور وتتضافر الصور التي يرسمها من عناصر الطبيعة ليعبر عن تلك الأيام التي امتلأت حبا وهوا ووداعة ويظهر ذلك واضحا في قصيدة اللجنة الضائعة<sup>١</sup>:

أيام لم نعرف من الدنيا سوى مَرَحِ السرور  
وتتبع النحل الأنيق وقطف تيجان الزهور  
وتسلق الجبل المكلل بالصنوبر والصخور  
وبناء أكواخ الطفولة تحت أعشاش الطيور  
مسقوفةً بالورد، والأعشاب، والورق النضير

تلك بعض من الصور التي عاشها أيام طفولته البريئة البعيدة عن التكلف القريبة إلى القلب ، وهي ترسم أطياف عالم الطفولة المسحور ، ونلمح هذه الصورة في قصيدة (الطفولة) والتي يقول فيها<sup>٢</sup>:

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص ٢٠٧

٢- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص ٩٧

إنّ الطفولة زهرة تَهْتَرُ في قلب الربيع

ريانةً من ريق الأنداء في الفجر الوديع

فصورة الطفولة فيها الفرح والأمل الذي تضحك فيه الطبيعة وتبتسم له الحياة.

ج - صور الطموح الآمال والآلام:

الآمال والطموح سر الوجود يتعلق بها الإنسان ، وتطلع الآلام تصد من عزم وتبدد مشاعر وتقيم أخرى على أنقاضها، ولنتابع تلك الصورة التي يريد بها أن يترك الأحزان ونوح النفوس وعبوس الكون فيرى في قصيدة ( أغنية الشاعر ) الخلاص في يد ربة الشعر التي عندها مفاتيح الحياة ، وجلاء الهموم ونسيان شقاء نفس بين أناس ما ناله منهم إلا المصائب :<sup>١</sup>

يا ربة الشعر ! إني بئس تعس

عدمت ما أرتجي في العالم الدُّون

وفي يديك مزاميرٌ يحالجها

وحي السماء ، فهاتيها و غيبي

وما وجدته في الواقع من فساد قاده المستعمر وأعوانه جعله يرى هذه الصورة القائمة لمستويات الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية الفاسدة ، التي تصادم معها لمخالفته بطبعه لقيم الفساد وثورته عليها ، لذلك رأى في الشعر عزاء وسلوى يفيض بها على نفسه ، فالشعر صلة وصل بين الشاعر والطبيعة ، ومصدر كل إلهام بعناصر صورة الحياة :<sup>٢</sup>

لولاك في هذه الدنيا لما لمست

أوتارَ رُوحِي أصواتُ الأفانين

ولا تغنيتُ مأخوذاً ..، ولا عذبتُ

لي الحياةُ لدى غضّ الرياحين

وهاهو يذكر سبيل الأمل ، الذي اتخذ منهجاً على أمل في بقعة ضوء وسط الألم والأسى ، في رسالة خطها لصديقه محمد الحليوي حيث يقول : (( سأظل سائراً في سبيلي وأظل ناثراً في هاته الحقول الجرداء بذور الأسي ، على أن يبدو القمر الجميل ))<sup>٣</sup>

ونجده في أغلب قصائده في تلك الفترة يسير في عالم الأحزان والآلام الذي صار إليه، ولا يقدر على التخلي عنه، فلنستمع إليه في قصيدة السامة قاتلاً:<sup>٤</sup>

١- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ١٠٨ .

٢- المصدر السابق نفسه ، ص ١٠٩ .

٣- محمد الحليوي : رسائل الشابي ، ط ١ ١٩٩٤ م ص ٢٧ .

٤- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ٦٣ .

سئمتُ الحياة ، وما في الحياة      وما إن تجاوزتُ فجرَ الشبابِ  
سئمتُ الليالي ، وأوجاعها      وما شعّعتُ من رحيقِ بصاب  
فحطّمتُ كأسِي ، وألقيتها      بوادي الأسي وجحيم العذاب  
وألقى عليها الأسي ثوبه      وأقبرها الصمتُ و الاكثاب

ويتابع حديثه عن الأمانى التي صارت إلى السراب إلى الظلام والجهول واصفا وحدته:<sup>١</sup>

كئيب      وحيد بآلامه      وأحلامه ، شدوه الانتحاب  
ذوت      في الربيع أزاهيرها      فمنن ، وقد مصّهنّ التراب

يتابع الشاعر رصد الألم الداخلي، وينتقل به إلى الخارج، فتلبس الطبيعة ثوب الحزن والأسى على عادة الرومانسيين فتأقّي الصورة موحية بالحزن النابت في نفسه.

ويزداد الحزن ويصور لنا قلبه فيراه وقد رمت به الرياح أغنية للفجر في لج الظلمات، وكأن الشاعر يتلمس مصيره، وفي قصيدته يرجو نوالا، ولكن دون تحقق، ويحصد هروبا لآمال لم يجدها، والروح أخذت تتحسس ما فقدت مما تطمح، ولكن عبثا إنها تجري وراء السراب ، وأخيرا يعلق أمله في لقاء سماوي متمسكا بالصلاة التي يجد فيها الخلاص مما هو واقع فيه، و يتكئ الشاعر في صورته على الطبيعة فيحوّلها إلى صور تنطق بالألم والفجيجة لما أصابه فيقول من قصيدة (إلى قلبي التائه)<sup>٢</sup>:

ما لآفاقك يا قلبي سودًا ، حالكات ؟  
ولأورادك بين الشوك صُفْرًا ذاويات ؟  
ولأطيارك لا تلغو ؟ فأين النغمات ؟  
ما لمزمارك لا يشدو بغير الشهقات ؟  
ولأوتارك لا تخفق إلا شاكيات  
ولأنغامك لا تنطق إلا باكيات

نرى الصور ترزح تحت وطأة الألم والحزن الذي أحاط بالشاعر كزناز الظلمات ، إنه يتدخل في عناصر الطبيعة التي كانت صباح الأمس بين النسمات ، ويقلب طبيعة الأشياء ،

١- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ٦٤ .

٢-المصدر السابق نفسه ، ص ١٣٣ .

فالأحلام صورة للظلمات ، والورود ذبلت واصفرت بين الأشواك ، أما الأغاني فقد صارت شكوى وأحزانا وبكاء ، هذه الصور التي توالى لتؤلف فيما بينها صورة تتضح فيها معالم الغصة التي لا تنقطع . و حمل الشاعر عناصر الطبيعة شكواه على عادة أتباع المذهب الرومانسي؛ و يتابع بحثه عن أمل يراه مفقودا ، و يسير دون توقف ، و يتابع مخاطبته لقلبه الذي أراد الحياة التي تهرب منه لذلك تبدأ الصورة بالإشراق الذي سرعان ما يذوي ويذبل ، وكأن الشاعر يشفق على قلبه من كثرة الأحزان ومن ضياع الفرح الهارب خلف بحار من الديجور والظلمات:<sup>١</sup>

هو ذا يا قلبي البحر، وأمواج الحياة !

هو ذا الشاطئ لكن أين ربانك ؟ مات!

يعرض الشاعر صورا أمام قلبه تغريه بمشوار الحياة، إنها دعوة للحياة صورة تشرق في أعماق الشاعر يرى فيها الأمل الذي سرعان ما يتبدد تحت وطأة النبا الذي يزلزل ذلك القلب الطامح ، ويضعه أمام واقع هربت منه الحياة إلى غير رجعة ، فالصورة الجميلة طوفا يد الأحزان ، وأحالت الأحلام والأفراح والآمال إلى حزن ضارب في أعماق نفس الشاعر ووجدانه ، و يتابع بثه وشكواه قائلا:<sup>٢</sup>

أنت صرّح ، شاده الحب على نهر الحياة

لبنات الشعر... لكن قوضته الحادثات

أنت قبر، فيه من أيامي الأولى رفات

يقرر الشاعر حقيقة وجوده تلك الحقيقة التي بنيت على العطاء والحب والخير فما أبدع هذه الصورة التي يرى الشاعر فيها قلبه بنيانا شامخا على نهر الحياة، صورة مشرقة يبين فيها مذهبه في الحياة، فهو يرى إن الفن يجب أن يكون في خدمة الأخلاق والقيم والحياة، وأرى في تلك القيم التي حملها الشاعر سببا في استمرار قيمة إبداعه الذي يصدر كما يتضح عن خلجات النفس والوجدان . ولكن سرعان ما تغرب الأحلام خلف حادثات الأيام، التي تقوض الصرح، حتى تحوله إلى قبر موحش ، لا يحوي من الماضي الجميل سوى

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ص ١٣٣ .

٢- المصدر السابق نفسه ، ص ١٣٤ .

٣- المصدر السابق نفسه، ص ١٣٤ .



بقايا رفات، ويتابع الشاعر حديثه لقلبه الذي امتلأ ألماً لما حل به ، وينتظر مصيره المحتوم  
المصير الذي ينتظر كل كائن حي ، ويخاطب قلبه قاتلاً<sup>١</sup> :

تهمت في الدنيا ، وما أبت بغير الحسرات  
صلّ يا قلبي إلى الله ، فإن الموت آت  
صلّ فالنازعُ لا يبقى له غير الصلاة

بعد رحلته التي تاه بها في الدنيا ، بقي له أمل واحد، وهو الصلاة والدعاء، ذلك الأمل  
الذي سيخرج من خلاله عن دائرة الحزن إلى دائرة التحدي تحدي الأحران  
والمرض والظلام، العناصر الثلاث التي قوضت باجتماعها أحلام الشاعر الذي لم يتوقف  
لحظة

واحدة عن البحث عن كل جميل حتى آخر لحظة من حياته لقد كان الشاعر ينشد الحياة  
وسط الحزن، الحياة التي هجرته في صراعه مع الألم والفراق ، وتنكرت له بعد ذلك الدنيا  
تنكرت بناسها الذين حاربوه وبعامّة الناس الذين لم يفهموه فعاش الغربة والحزن دفعة  
واحدة (( فالدنيا من حوله ليس فيها إلا أشباح الموت وبصره يشاهد هذه الأشباح جامحة  
على صدر كل شيء ))<sup>٢</sup> ، وتبدو صورته ، التي تحاول تفسير مظالم الحياة ، وهمومها في قصائد  
كثيرة من مثل ، يا رفيقي ، و نشيد الأسي ، في فجاج الأيام ، الجنة الضائعة ، وفي غيرها ،  
حيث تتفق مع ما أسلفنا من صور تعبر عن طرفين متناقضين في الحياة هما الأمل والألم .

#### د - الطموح وتحدي الآلام والانتصار:

ولكن الشاعر لم يبق على هذه السلبية فرغم الآلام التي تبرح جسده لم يأبه بما بل  
سار فوقها وارتفع وهاهو يعلن ذلك صراحة في رسالة بعثها إلى صديقه محمد الحليوي يقول  
فيها : (( أما الآن فإني أشعر بانقلاب عميق قوي في نفسي كل القوة ، وستدرك هذا التطور  
في نفسي حينما تطلع على قصائدي الجديدة ، وقد عبرت عن هذا الانقلاب الروحي  
بقصيد ( الصباح الجديد ) الذي أرسلته إلى - أبوللو - وقصيد (نشيد "الجبار" ) هو  
صورة صادقة لنفسي في طورها الحاضر الجديد .))<sup>٣</sup> بتلك الرؤية المتفائلة يخرج شاعرنا

١- شوقي ضيف: دراسات في الشعر العربي المعاصر ، ص ١٤٣ .  
٢- محمد الحليوي : رسائل الشابي ، ط ١ ١٩٩٤م ص ٢٤٨ .

بروحه الشامخة الطامحة إلى الحياة الراضية للموت الذي أخذ يدب في جسده، ويحيط به في ظلمات لا قرار لها وسط ذلك كله ينبلج النور وقوة التحدي، وتصدق نبوءته بأنه سيبقى يتغنى بالأحزان، ييث لوا عج الأسى للطبيعة، التي تحيط به من كل حذب وصوب، حتى يبرز فجر من جديد، وتبقى أغاني الحياة تترنم في قصائده وهو يجري خلف ما أحب منها في درب مليء بالحب والصدق والإخلاص، طامحاً أبداً إلى السؤدد والأعالي، وأصبحت الصور تنقلنا إلى أجواء جديدة، استطاع الشاعر أن يحملنا إليها، ويدخلنا إلى عوالمه لنتبع معه الصور العفوية التي تجعلنا نقف باحترام وإعجاب عند شاب حاربتة الظروف داخلها وخارجها، والموت يدنو منه، وينصحه الأطباء بالراحة، ولكن كيف يتأني ذلك والنفوس تواقه للأعالي، والأعالي درهماً مليء بالأشواق، هكذا النفوس الكبيرة تضيق بما أجسادها، فنتشر كالضوء وتستطع عبر الأجيال إنها لا تموت أبداً لأنها توحدت في رسالتها التي تجاوزت حدود المكان والزمان، ولنتابع صور التحدي والانتصار:<sup>1</sup>

سأعيش رغمَ الداءِ والأعداءِ      كالتسر فوق القمةِ الشماءِ  
أمشي بروحِ حالمٍ متوهجٍ      في ظلمةِ الآلامِ والأدواءِ

وفي القصيدة تتبدد مخاوفه وتطغى روحه الأصيلة التي أبت إلا أن تثير رؤياه التي لم تحفل بالداء ولا بالأعداء، تلك الرؤيا التي فطر عليها وطفحت نفسه بها، إنها قمة التحدي الذي لا يستكين، بل يهزأ بالأعداء والظلم.

تحول الشاعر من عالم الأحزان والظلام إلى عالم النور والجمال والفرح، وبذلك يكون قد انتصر على أحزانه التي ازدادت عليه، فجاء الفرح وسط الحزن والأمل وسط الألم، وتبدل الضعف والاستسلام قوة وتحدياً وانتصاراً، وكأن في ذلك دلالة على طبيعة الحياة ذاتها، فلا بد أن تنقلب المعادلات وتتغير الحسابات التي تجري عبر الزمان الذي لا يعرف التوقف، فانتصر للحياة التي أحبها على الرغم مما يحيط به من مآسي وأحزان، وهذا دليل واضح على قوة الشاعر، حيث انتصر لمذهبه مذهب الحياة والفرح.

وبدأ يصارع هذه الأحزان والمآسي حتى انتصر عليها عندما خرج من دائرة المألوف، ووجد الموت المخيف تجربة لذيدة يشواق إليها ويجد فيها الراحة والاطمئنان الذي يصبو إليه، وتبدو هذه الصورة المفردة في قصيدة (الصباح الجديد) التي كتبها في أخريات حياته

٢ - أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ص ٢٤٨.

في نيسان إبريل ١٩٣٣م أما في هذه القصيدة فيترك الآلام التي عاشها ليحرب رحلة جديدة في عالم جديد ، فالحزن والموت في هذه القصيدة يخرجان عن المألوف حيث يرى الموت حياة يريد أن يعيشها ويترك الدنيا وآلامها حيث يقول: <sup>١</sup>

اسكتي يا جراحُ واسكتي يا شجونُ  
مات عهدُ النواحِ و زمانُ الجنون  
وأطلَّ الصباحُ من وراء القرونُ

الحياة عند الشاعر امتداد متصل من الأزل من عالم النور إلى عالم النور رحلة يتوسطها العذاب الدنيوي الذي لا يهدأ به الشاعر رغم حبه له ، ولكنه لا يفرار له ولا استقرار فيه، فهو عالم مشوب بالكدر عالم يبحث فيه الشاعر عن مواطن الخير والجمال، فلا يجد سوى الصور القائمة القادمة من عالم الكدر، و الأحزان وآلام المرض، ورغم ذلك يتخلص الشاعر من السلبية التي انتشرت في قصائده حتى تصير في أخريات حياته صوراً إيجابية تصدر عن روح تأبى الأسى والأحزان بل تسعى إلى المجد والعلواء، ترتقي لتمتد إلى الحياة الأبدية في عالم النور.

إن الباحث المتأني في نمو الصورة الفنية في شعر أبي القاسم الشابي ، يقف بوضوح جلي على نظرة الشاعر إلى الحياة؛ تلك النظرة التي تعد الأقرب إلى آراء الفلاسفة والمتصوفة ، فهو يرى الحزن والأسى والظلام يرشح من صورة الفرح ، وتتعانق الصور المتضادة لتدفع الحياة إلى صورها النابضة بالحركة والدفء والظلال ، صور تحمل ما استقر في نفس الشاعر من عواطف وأفكار وأحلام وآمال وأحزان، تتاضفر مكونات الطبيعة لتحمل كثيراً من العواطف والطاقات التعبيرية التي تملأ نفسه ووجدانه ، ويكشف ذلك عن نظرتة إلى الحياة من بعدين: أولهما: ما استقر في نفسه من حب ، بدأ من النور الأول فكان عالماً مثالياً؛ سرعان ما اصطدم بالبعد الثاني: الذي يجري في الواقع المليء بالجهل والغدر والحرمات والسلب المادي والروحي والفكري ، حيث تحولت فيه الحياة عن فطرتها التي خلقها الله سبحانه وتعالى ، فجاءت الصور لترصد ذلك الصراع النابت في نفس الشاعر ، وأخذ يحمل على جناحي صورته تلك الأفكار التي رسخت في نفس عالية ؛ مما خلق ذلك التوتر

١- المصدر السابق نفسه، ص ٢٢٥.

الخاطف عبر صور تلم في أطرافها صور الحياة ذاتها ، تلك الصور التي جمعت الأضداد ، ولا معنى للفرح دون حزن كما عبر عن ذلك عبر التاريخ الإنساني المترامي الأطراف ، وكما جاء في مآثور العرب (وبضدها تتمايز الأشياء ) وهذا ما أضفى على صور الشاعر نماء وحركة .

## المبحث الثالث:

أولاً: صورة الطبيعة:

الكون والطبيعة مكونان أساسيان في الصورة الشعرية لدى الشاعر ، فالطبيعة هي الملاذ عند الهم ، وهي المؤنس عند الوحشة ، فيها الرحمة والعطف والحنان ، تحمل المفاهيم والقيم ، تعطي ولا تنتظر مقابل ، تفرح وتخزن ، لذلك نجد أنه من النادر ، أن تخلو قصيدة من صور الطبيعة في أحوال الشاعر جميعاً عند الفرح وعند الحزن وفي الرضا ووقت الغضب ، حيث تظهر روحه من خلال صورة الطبيعة ، نقرأ فيها أحواله المختلفة والشاعر (( يجد خلاصه الروحي في الطبيعة ، لذلك فهو يعيش بخياله وحواسه ومشاعره كلها في الطبيعة ، ويستمد صورته الفنية من الطبيعة قبل أن يستمدّها من أي شيء آخر ))<sup>١</sup>

فالطبيعة هي المصدر الأول والأهم لصور الشاعر، تارة تحمل معه الهموم والأحزان ، وتارة أخرى ترفل بأثواب الحياة القشبية ، والباعث على ذلك التضاد في صور الشاعر عوامل داخلية بسبب حالته المرضية، وعوامل خارجية بسبب غفلة الناس عن الصواب ، عوامل لا يستطيع الشاعر أن ينفك من قيودها، لكنه عندها يلجأ إلى الطبيعة ، لأنها الأم الحانية ، التي تحمل همه، فيبثها أشجانها ، ويجد فيها الدفء والعافية ، فيرتاح لها ويطمئن معها ، قد منحها روحاً ، وبث فيها الحياة، واستمع إليها ، وتأمل فيها ، فكانت مصدر إلهام ونبعا ثرا لحقائق الوجود والإنسانية (( إن الشاعر يقوم باستمرار بخلق الطبيعة خلقاً فنياً . إنه يصوغها حسب المنحى النفسي الذي يكون فيه . ولذا فإن المعرفة في الشعر هي معرفة ذاتية فكل ما في الكون يعيش في أعماق الشاعر . وتكون صور الطبيعة حسب الشكل الذي ترسمه النفس ... ))<sup>٢</sup> ومن الصور عند الشاعر:

أ - صور الفرح الأمان والاطمئنان :

عندما تهدأ النفس وتطمئن تسري الحياة والضحكات في أوصال الطبيعة ، وتتدفق بما في أعماق النفس من جمال ورؤى وأحلام، فتنهض الطبيعة بالحياة ، وتأتي الصورة مشرقة تبث الفرح والحياة في أطراف الوجود . و الأمل والفرح والسعادة تشكل أساساً هاماً

١- رجاء النقاش : أبو القاسم الشابي شاعر الحب والثورة ، ط ١ ، دار القلم - بيروت ١٩٧١م، ص ٤٩ .  
٢- حنا عبود : النحل البري والعسل المر ، دراسة في الشعر السوري المعاصر ، د ط ، وزارة الثقافة دمشق ١٩٨٣م، ص ٩٥

لعناصر هذه الصورة عند الشاعر، و يبدو ذلك واضحاً في قصيدة (من أغاني الرعاة)، التي ينقل لنا من خلالها الأمان والبراءة هارباً مما حملته الحضارة البشرية، من قتل لقيم الخير والرحمة و الجمال ، وهذا ما درج عليه شعراء الرومانسية، الذين وجدوا في الطبيعة ملاذاً لهم من تردي القيم في المجتمع الإنساني، ولنصغي ونتبع مما جاء في القصيدة<sup>١</sup>:

أقبلَ الصبحُ يغني للحياةِ الناعسةُ  
والرُّبى تحلمُ في ظلِّ الغصونِ المائسةُ  
والصِّبا تُرقصُ أوراقَ الزهورِ اليابسةُ  
وتهادى النورُ في تلكِ الفجاجِ الدامسةُ

لقد جاءت الصور في ثوب أنيق ، فعناصر الطبيعة تشكل هذه الصور لتعطيها حياة رائعة غنية ، صور ترفل بأثواب السعادة والهناء والفرح إنها صورة الصباح الرائعة تجعلنا نقرأ آيات الكون فالصبح مقبل ، والربا تحلم تحت ظلال الغصون التي تداعبها والصبا ترقص أوراق الزهور ، والنور يتهادى ، صور رائعة للطبيعة في الفجر تزخر بعناصر الحياة ، والشاعر في حضن الطبيعة يجد السعادة والرحمة والجمال. ولنتبع صورته الرائعة عن جمال الطبيعة وسحرها الخلال حيث يقول<sup>٢</sup>:

وشذاً حلواً، وسحراً، وسلاماً، وظلالاً  
ونسيمًا ساحرَ الخطوةِ، موفورَ الدلالِ  
وغصونًا يرقصُ النورُ عليها ، والجمالُ  
واخضرارًا أبدياً، ليس تمحوه الليالُ

إنه عالم الجمال ، والطهر ، والأمن ، والراحة ؛ عناصر هذه الصور مفقودة في الحياة فالجمال في أقصى صورهِ ، والسعادة والطمأنينة تتدلى من الصور التي أرادها الشاعر ، صوراً للعالم الذي يحلم به ذلك العالم الذي تحقق له في الطبيعة الرائعة فكانت تخرج صفاء الروح وعذوبتها عند الشاعر، لتغرس بأنغامها الحلوة الصافية صوراً مليئة بالحياة والفرح والصدق والأمان، تلك الصور التي صدرت عن روح عشقت الجمال والفرح.

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص، ٢١٣

٢- المصدر السابق نفسه، ص ٢١٥

والشاعر دائم السعي للحصول على السعادة، وتحقيق الراحة والأنس بجمال الحياة، فيعبر عن ذلك في صورة الغاب ، وهو بيت الشاعر ، وفي البيت الأمن والراحة والهدوء، وفيه ينسى أسباب حزنه وآلامه ، ويصور هذه الحالة في سنته الأخيرة في قصيدة الغاب التي يقول فيها :<sup>١</sup>

بيتٌ بنتُهُ لي الحياةُ من الشَّدَا والظِّلِّ والأضواء، والأنغامِ  
بيتٌ، من السحر الجميل ، مشيدٌ للحبِّ ، والأحلام، والإلهامِ  
في الغابِ سحرٌ ، رائعٌ متجددٌ باقٍ على الأيام والأعوامِ

فصورة البيت الذي شيده الطبيعة تبعث على الدفء والفرح الذي هبط على الشاعر وسط الغاب وتحت ظلاله التي تحكي قصة الفرح الحقيقي، والشاعر في قصيدته أشبه بعاشق هام في حب الحبيب ، فنسي بقربه العنت الدنيوي والظلم الممتد بين الناس:<sup>٢</sup>

في الغاب، في الغاب الحبيب، وإنه حرم الطبيعة والجمال السامي

الغاب موطن الفرح، والشاعر استطاع في ظل الغاب أن ينسى العالم المليء بالأوهام والآثام والشور ، ويظهر في هذه القصيدة دوران للغاب والوجود :

أ- الدور الأول : نجد عالم الطبيعة مطهر للشاعر ، لأنه استطاع أن يملاً حياته فرحاً وغبطة ، وأن يترع الأحزان ويبعد وحوش السقم .

ب- أما الدور الثاني : فالطبيعة معلم بامتياز، وصارت الحياة تحمل ألواناً جديدة تتكئ في ظلالها على عناصر الطبيعة الرائعة ، التي ملأت عليه حياته بألوان البهجة والحبور ، فسحر الكون وجماله الأبدي ، أسمى من عالم الأحزان والآلام التي يريد الشاعر أن يتعد عنها:<sup>٣</sup>

طَهَّرْتُ في نار الجمال مشاعري ولقيتُ في دنيا الخيال سلامي

إنها صورة جديدة للمشاعر بفعل تأثير الطبيعة ، ويتابع ليصور علاقته القائمة على الدروس المستفادة من الطبيعة وعالمها الرائع:<sup>٤</sup>

وقبست من عطف الوجود وجهه وجمال قيسا ، أضاء ظلامي  
فرايت ألوان الحياة نضيرة ، كنضارة الزهر الجميل النامي

١ - أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص ٢٥٦ .

٢ - المصدر السابق نفسه ، ص ٢٥٩ .

٣ - المصدر السابق نفسه ، ص ٢٥٩ .

٤ - المصدر السابق نفسه ، ص ٢٥٩ .

فالشاعر يترك الأفكار والوساوس التي جاءت وسط ظلام عالم الأحزان الذي كان قد اتخذه لنفسه، إنه يريد أن يترك ذلك العالم وتلك الصور التي يقرر خطأ تصوراتها وأوهامها إنها نهاية رائعة نهاية يندمج فيها بعالم النور المليء ضياءً وشدًا . فالجمال الطبيعي نقله إلى عالمه وارتبط به بوثق الحب الرائع الذي أحدث الانقلاب في حياة الشاعر، فانتقل من حياة الآلام والأحزان إلى عالم الفرح النامي أشبه ما يكون متصوفاً في حبه لعالم امتلاً جمالاً ورحمة ربانية ، وأخذ يهتف بروح الجمال لتملاً حياته أناشيد فرح دائم :<sup>١</sup>

وهتفتُ : "يا روحَ الجمالِ تدفّقي كالنهر في فكري ، وفي أحلامي"  
"وتغلغلي كالنور ، في روعي التي ذبَلتُ من الأحزانِ والآلامِ"  
أنتِ الشعورُ الحيُّ يزخرُ دافقاً كالنار ، في روح الوجودِ النامي  
"ويصوغُ أحلامَ الطبيعةِ ، فاجعلي عُمرِي نشيداً ، ساحرَ الأنغامِ"

فلنحظ بوضوح انتقال الصور من عالم الاستسلام والأحزان والخوف إلى صور مليئة بالحياة ناطقة بالجمال والحب والأمان التي تدفقت عبر الزمان والمكان؛ إنه التحول الجميل الذي قرر فيه الشاعر أن يترك عالم الأحزان ، ويقضي أيامه في عالم أجدر وأجمل، إنه الطريق الجديد ، طريق مليء بالحياة الزاخرة بالصور المفعمة بعالم السحر الحلال، العالم الذي ينشده الشاعر ويتمناه فيتعانقان وسط أحضان الطبيعة التي ترمز إلى حياة الصفاء والنقاء ، لذلك خاطب الطبيعة ، لتوقظه من عالم الأحزان ، وتنقله إلى عالم النور عالم الفرح والسرور

فالطبيعة هي الملاذ لعالم الشاعر الذي يجد فيه أقصى درجات الفرح والسعادة، إنه معادل لعالم النور الذي يحلم به ويتشوق إليه ويطلبه ويتمناه ، فيه ينسى عالم الكدر الذي ملأه ألماً وحزناً ومرارة وقساوة فاضت بها نفسه التواقفة إلى عالم الجمال والروح فغرقت بدموع لا تنتهي ، ولكن سرعان ما تسري الحياة بجمالها وجلالها عندما يأتي إلى عالم الطبيعة التي تتدفق عليه عطفاً وحناناً، فتمتلئ حناياه بحب مليء بالأمان والحياة وصور الفرح ، (( وصار يستمتع بالحياة والأحياء في أعراس الحب الدائمة ))<sup>٢</sup> إن الشاعر يرى الحياة الحقيقية وسط الطبيعة التي حملت صورها الرامزة تشوق الشاعر إلى عالم الروح ، عالم النور الذي وجدته في الطبيعة التي هي المخلص من سموم الحضارة المعاصرة التي تحاصره ، وتحاصر

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص ٢٥٩ .

٢- جان نعوم طنوس : ملامح الموت والحياة في شخصية أبي القاسم وشعره ، ط١ دار علاء الدين ، ٢٠٠١م ، ص ١٥٢ .



الإنسانية كلها ليقترب بدخولها من عالم النقاء والصفاء، وتبدو هذه الصورة في قصيدة (مناجاة عصفور) التي يرى فيها صورة الطبيعة كأم تحنو على ابنها التعب من مصائب الحضارة الهارب إلى الأمان، تاركا الغربة التي وجدها بين الناس: <sup>١</sup>

فإذا سكتُ تضرَّجُوا ، وإذا نطقتُ تدمروا من فكري وشعوري  
ما منهم إلا خبيثٌ غادرٌ متربصٌ بالناس شر مصير  
وإذا دخلتُ إلى البلاد فإنَّ أفـ كاري ترفرفُ في سفوح الطُّورِ  
حيث الطبيعة حلوةٌ فتانةٌ تختالُ بين تبرجٍ و سفورِ

ويبدو تأثيره بابن الرومي واضحا، فالطبيعة تخفف الأحزان عن الشاعر، فينسى بأنسها وجمالها غدر الناس وطمعهم ويبت لها أفكاره فترتقي به إلى عالم متسام طاهر.

ب - صور الحزن:

والطبيعة تحمل المشاعر الحزينة، وتحمل الهموم، ونقع على مثل هذه الصورة في قول الشاعر في قصيدة الغاب: <sup>٢</sup>

وَلَكَمْ أَصَحَّتْ إِلَى أَنَاشِيدِ الْأَسَى ، وتنهَّدِ الْآلَامِ وَالْأَسْقَامِ  
وإلى الرياح النائحات كأنها ، في الغاب ، تبكي مَيِّتَ الْأَيَّامِ

ويحدثنا عن صورة الحزن التي تملكته، فتصير لنا مناسبا لما في قلبه من ألم وحزن، فيشدو بها: <sup>٣</sup>

فشدوتُ باللحنِ الغريبِ مجنحا ، بكآبةِ الأحلامِ والآلامِ

ومن الصور الحزينة ما جاء في قصيدة (بقايا الخريف): <sup>٤</sup>

وحيث الفضا شاعرٌ، حالمٌ يناجي السهول بوحى ، طريف  
وقد دثرتُه غيومُ المساءِ بظلٌّ حزين ، ضريحٌ ، شفيف  
وبين الغصون التي جردتها ليالي الخريف القوي العسوف  
وقفتُ وحولي غديرٌ مواتٌ ، تمادتُ به غفواتُ الكهوف

هذه بعض صور الحزن والألم، وقد تجسدت في عناصر الطبيعة التي استطاع بها الشاعر نقلنا إلى أجواء الكآبة والأسى عندما عبر بها عن تجربته.

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ص ١١٠.

٢- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ص ٢٥٦.

٣- المصدر السابق نفسه، ص ٢٥٧.

٤- المصدر السابق نفسه، ص ١٠٦.

## المبحث الرابع:

\* تطور صورة الحب :

أ - تطور صورة مفهوم الحب عند الشاعر :

نجد تلك الصورة في شعر الشباب يتحدث في هذه الصورة عن أثر العيون وما يصيب الإنسان ، في قصيدة : كهرباء الغرام ، وقصيدة إياك ، وغيرها ، ومنها ماجاء في قصيدة (إياك ) التي يجذر فيها من الحب ونتائجه :<sup>١</sup>

إِيَاكَ وَالتَّحْدِيقِ مَنِّ خَلَلِ الْبَرَاقِعِ لِلْحَوْرِ  
فَالْحُبُّ فِي طَغْيَانِهِ ، كَالسَّيْلِ إِذَا يَنْهَمِرُ  
فَلَقَدْ حَسَوْتُ زُعَافَهُ وَخَبَرْتُ مِنْهُ الْمُسْتَرَّ

فتلك كانت البداية وبعدها تغيرت الصورة ، وتطاولت واندمج فيها الذاتي بالعام ، وظهرت صورة العالم ومعرفة الحياة ، فاتسعت صورة الحب كما يبدو في قصيدة (أيها الحب) :<sup>٢</sup>

أيها الحب! أنت سر وجودي ، وحياتي ، وعزّي ، وإبائي  
وشعاعي ما بين ديجور دهري ، وألفي ، وفُرتي ، ورجائي

ثم تطور مفهوم الحب ، وامتزج بالمعرفة العميقة للكون ، ليداني بذلك شعر المتصوفين ، نرى مثالا لذلك في قصيدة: (الحب ) حيث يرى الحب نورا ساطعا ، يزيد الحياة حسنا

وبهاء :<sup>٣</sup> الحبُّ شِعْلَةٌ نُورٍ سَاحِرٍ هَبَطَتْ مِنْ السَّمَاءِ ، فَكَانَتْ سَاطِعَ الْفَلَقِ  
الْحُبُّ رُوحٌ إلهِيٌّ ، مَجْنُحَةٌ أَيَّامُهُ ، بَضِيَاءُ الْفَجْرِ وَالشَّفَقِ  
لَوْلَاهُ مَا سُمِعَتْ فِي الْكُونِ أَغْنِيَةٌ وَلَا تَأَلَّفَ فِي الدُّنْيَا بَنُو أَفْقِ

يستمر تطور مفهوم الحب لدى الشاعر ففي قصيدة ( إلى عذارى أفروديت ) و (الجمال المنشود) يرى الشاعر جمال الروح أسمى من الجمال الأنتوي الذابل ، فهو لا يجد قيمة لجمال الجسد ، بل الجمال الحقيقي مقصور على الروح والأخلاق فهي الجوهر والجد العرض الزائل :<sup>٤</sup>

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص ٢١ .

٢- المصدر السابق نفسه ، ص ١٧ .

٣- المصدر السابق نفسه ، ص ٢٠ .

٤ - المصدر السابق نفسه ، ص ١٥٨ .

وربيع الشباب يُذبله الدهر، و يمضي بحسنه المعبود  
غير باق في الكون إلا جمال الروح غصاً على الزمان الأبيد

وهكذا يجتم قصيدته بهذه الأبيات التي تظهر فيها المسحة الإيمانية ، ويغلب هذا المعنى  
الروحي السامي على المعنى المتبدل الذي يقرب النفوس من السقوط في الخطيئة التي  
لا تجلب إلا الندم والدم .

والشاعر يدعو إلى الحب الحقيقي ، ويبين أثره الجميل في النفوس ، ومبيناً دور المرأة في  
رعايته وحمايته حتى يأتي بالصورة المرجوة ، حيث يقول :<sup>١</sup>

وسبيل الحياة رحبٌ ، وأنتن اللواتي تفرشنه بالورود  
إن أردتن أن يكون بهيجاً، رائع السحر، ذا جمال فريد

وهنا الصورة تتمثل في دعوة المرأة إلى الفضيلة كي تجعل الحياة مليئة بالفرح ، فالحب  
الحقيقي يبني المجتمع ويمتد أواصر القربى ويحقق السعادة .

ب- تطور مفهوم صورة الحب والحبيبة :

١- الصورة التقليدية : أبرز الشاعر الصورة البيانية على عادة القدماء إثباتاً لشاعرية  
فذة وامتلاك لنواصي البناء الفني ، ومن ذلك قصيدة (وعود الغواني) وتقرب الصورة في  
هذه القصيدة مما جاء عند القدماء وكذلك نجد مثل تلك الصورة في قصيدة ( الفتنة  
الساحرة ) التي يقول في مطلعها :<sup>٢</sup>

قلبي تردى من على سهوات خيل الهوى فغدا أسير فتاة  
معطار غاسقة الفروع ، عليلة الأ جفان ، ساحرة بعين مهارة

يبدو الشاعر في ذلك أنه أراد أن يثبت وجوده وسط جماعة علقته بالقديم ، وأنكرت كل  
حديث فجاءت صورته تقليدية لا حياة فيها ولا روح .

٢- الصورة الصادقة الحية :

جاءت صورة الحبيبة تحت ازدحام عناصر الطبيعة التي حملت لنا بإيجائها ما اعتمل في  
نفس الشاعر من أمل وحب ، وحسرة ولوعة وأحزان ، على حب قضى ، وترنو في جانب  
آخر إلى الأمل المنتظر ، والحلم الباقي وسط زحمة الرحيل المنتظر ، فتكون الحبيبة في صورتها  
الجديدة الملاك الطاهر ، والروح التي تبعث الحياة من رقاد فتضحك الأشياء وتبسم الزهور

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ص ١٦٠ .  
٢- المصدر السابق نفسه، ص ٢٠ .

وتمتلى الأرض والسماء بالغناء ، والحزن رفيق يرف بأجنحته ليوشي مذاق الحب بنكهة  
نفس الشاعر التي ابتلت بالأحزان وبشعور بدنو لحظة الوداع ، ولنقرأ الحب صورة ناطقة  
بأحاسيس الشاعر ليهمس لنا بأثر الحب على النفس فيأتي حبه بصورة المشاعر والأحاسيس  
لينقل الحب إلى مرتبة سامية ويخرج بها من النظرة التي رأت المرأة جسدا ، وتبدو هذه  
الصورة الصادقة في قصائده . ولنقرأ صورة الحب الحزين ، في قصيدة الزنبقة الزاوية :<sup>١</sup>

أصيخي! فما بين أعشار قلبي      يرفُّ صدى نوحك الخافتِ  
معيداً على مهجتي ، بحفيف      جناحيه ، صوت الأسي المائتِ  
وقد أترع الليلُ بالحب كأسي      وشعشعها بلهب الحياة

فصورة الحب اتشحت بالأسي والأحزان لأن الأمامي لم تتحقق والأحلام قصر عنها الواقع  
، ونرى صورة الأسي لما ض رحل تقف غصة مرة في حلق الشاعر ، وها هو يدفع الطبيعة  
إلى عالم الأحزان فتكتسي مشاعره وتشاركه آلامه وأحلامه ، وتبدو هذه الصورة جليلة في  
قصيدة (الذكرى):<sup>٢</sup>

ملاً الهوى كأس الحياة لنا، وشعشعها الفتون  
حتّى إذا كدنا تُرشفُ خمرها ، غَضِبَ المنون!  
وأراق خمر الحبّ في وادي الكآبة والأنين

ويتابع واصفا صورة للحب في الزمن الراحل وفي الوقت الحاضر الواقع تحت رحمة الأسي  
والأحزان لفراق الأحبة:

وشدا بلحن الموت في الأفق الحزين المستكين

وتبقى الصور ترصد حالة الألم لفراق مضى وعلى حاضر تخلى عنه ، نلمس ذلك أيضا  
بوضوح في قصيدة (صفحة من كتاب الدموع) وقصيدة (رثاء فجر) التي يجمع فيها بين  
الماضي المشرق السعيد الراحل والحاضر القاتم الحزين :<sup>٣</sup>

آه! لقد غنّى الصباحُ ، فدمدمَ الليلُ العتيد  
وتألقَ النجمُ الوضيءُ ، فأعتمَ الغيمُ الركود  
ومضى الردى بسعادتي، وقضى على الحب الوليد

١- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ٥٠ .

٢- المصدر السابق نفسه ، ص ٨٩ .

٣- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ١٧٢ .

وتتجاوز صورة الحب الحزين التي عبرت عن حالة الألم والأحزان لتنتقل الصورة في قصيدة ( صلوات في هيكل الحب ) لتأخذ نسقا تعبيريا جديدا تبسم معه أطياف الصورة وتشرق الطبيعة ، و تكتسي الصورة حلة جديدة من نفس اطمأنت لنغمات الحياة التي جاءت بعد مرحلة قنوط مضى، ولنتتبع الصور الجميلة التي أخذت تعبر عن الحب الجديد<sup>١</sup>:

آه يا زهري الجميلة ، لو      تدرينَ ما جدّ في فؤادي الوحيد  
في فؤادي الغريب تُخلق أكوانٌ      من السحر ، ذاتُ حسن فريد  
وشمسٌ وضاءةٌ ، ونجومٌ      تنثر النورَ في فضاءٍ مديد  
وربيعٌ كأنه حلمُ الشاعرِ      في سكرةِ الشبابِ السعيد

الصور ترفل بأثواب الحبور والسرور ، إنها تصور فرح الولادة ولادة الحياة الجديدة التي أضفت على الشاعر نورا أضاء الجوانب المظلمة في قلبه ، وخرجت بها إلى عوالم إشراقية تتجاوز الواقع ، وهكذا أصبحت صورة الحب الصادق نعمة فريدة تخالف الواقع وتسمو عليه ، فيلوذ بها ليفوز بالراحة والطمأنينة .

والشاعر في مرضه يتداخل عنده الطهر والإيمان فيرى الحب السامي أرقى من أن يعيش بين البشر العاديين بل يرتقي إلى مراتب قدسية وهذه الصورة الجديدة تقع عليها في قصيدة: ( أيتها الحاملة بين العواصف )<sup>٢</sup>:

أنت تحت السماء روحٌ جميل ،      صاغه الله من عبير الورود

تظهر الصورة التي ينشد فيها الراحة والاطمئنان والتفوق على حالة اليأس والقنوط وهو يقترب من الرحيل في قصائده الأخيرة ، والتي منها أيضا ( ذكرى صباح ) فالحيبة أمل ورجاء لذلك يراها في أهبى صورة ، وتقوم الطبيعة بثوبها الجديد لتعبر بما تحوي من عناصر في تشكيل ملامح الحبيبة التي صارت أقرب إلى التوحد مع الطبيعة الأم<sup>٣</sup>:

و دَعي الشمس والسماء تسوي      لك تاجا من الضياء الجميل  
و دَعي      مزهر الغصون يغشيك بأوراق ورده المطلول  
يا عروس الجبال ، يا وردة الآ      مال ، يا فتنة الوجودِ الجليل

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص ١٨١ .

٢- المصدر السابق نفسه ، ص ٢١٧ .

٣- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص ٢٢٢ .

ونجد هذه الصورة في قصيدة: ألحاني السكرى ، وقصيدة ، تحت الغصون ، حيث يرى فيها سمو المحبوبة ، الذي يترافق مع غنى الطبيعة التي أعطت من جمالها وجلالها لصورة المحبوبة و كانت الملجأ الأخير والمؤنس الذي يطغى على ما يحيط به ، وقد اتكأ عليه الشاعر كموطن جميل وهو يرتقب ساعة الرحيل.

## المبحث الخامس:

### \* صورة الوطن والوطنية وصورة الخلاص والحرية

تتمثل صورة الوطن والوطنية في موقف الشاعر، من تونس، ومن الشعب التونسي، ومن المستبد الظالم، ومن أعوانه، والصورة تتناوب بين يأس من الشعب الغافل وبين ثقة بيقظته وبمقدرته على تحقيق الحرية، وبين نقمة عارمة على المستبد وأعوانه، وكعادته ولدت الصورة في رحم الطبيعة والكون، لتحمل فيض المشاعر الصادقة النابضة أبداً بالحياة والأمل، ولأن تكون صوتاً للإنسانية، رغم الظلام والظالمين، فصورة الغد المشرق قادمة لا محالة.

#### ١- صورة الشعب

لقد عاش الشابي سنوات عمره القصيرة وهو يحمل في داخله حلم الخلاص، خلاص الشعب من الظالم المستبد؛ الذي سلب الحياة من شعب تونس، ومن الجهل الذي يرعاه أدعياء الحق، على حد سواء، وقد لاقى العنت من شعبه، لكنه لم ييأس رغم المصائب التي كانت تحيط به من كل جانب، ورغم الغربة التي أحاطت به وسط شعبه بقي يحمل لواء الحق، ويزرع الأمل والحياة التي لا بد أن تخرج يوماً وترى النور، ويعبر عن ذلك في إحدى مذكراته فيقول: ((الآن أدركت أني غريب بين أبناء بلادي؛ وليت شعري، هل يأتي ذلك اليوم الذي يعانق فيه أحلامي قلوب البشر فترتل أغاني أرواح الشباب المستيقظة وتدرك حنين قلبي وأشواقه أدمغة مفكرة سيخلقها المستقبل البعيد))<sup>١</sup> فهو يتنبأ بالخلاص الذي يأتي مع الوعي القادم وصدق نبوءة الشاعر وجاء الخلاص وزحف الشعب على الجهل وعلى الظالم.

#### أ- صورة النعمة والألم:

تطالعنا صورة النعمة على الشعب في قصيدة (خله للموت) التي كتبها في بداياته

الأدبية بلهجة خطابية تحمل الفكرة مباشرة، يلامس فيها الداء وينقم من الغفلة:<sup>٢</sup>

كلُّ قلبٍ حملَ الخسفَ ، وما ملَّ من ذُلِّ الحياة الأُرذل

١ - أبو القاسم محمد كرو: آثار الشابي وصداه في الشرق، ط١، ١٩٦١، ص ١٥٠.

٢ - أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ص١٨.

كلُّ شعبٍ قد طغت فيه الدما      دون أن يثأر للحقِّ الجلي  
خله للموتِ يطويه .. فما      حظُّه غيرُ الفناءِ الأنكلِ

إن وجود المستعمر الذي ينشب أظفاره في روح الشعب وينهشها حمل الشابي إلى أن يصرخ في وجه الشعب ، صرخة لاشك فيها من القسوة الناتجة عن الغفلة التي يغط بها الشعب ، ورغم الجور والظلم والظلام يرى استمرار حياة الناس تحت تلك الوطأة المزروجة ، دفعه ذلك إلى أن يصرخ في الشعب ويدعوه للاستيقاظ من غفلته التي طالت، وتمادى أهل الباطل في النيل من كرامته ، ولكن الشاعر يرى ببصيرته النافذة ، تلك البصيرة التي أضاء بها للشعب الذي لم يتحرك من ثباته ولم يتزحزح عن غفلته عن الحق والنور، وفي ذلك دعوة واضحة للثورة في وجه أعداء الشعب ، فلا قيمة لشعب قبل الذل والهوان ، وسكت على سفك الدماء فلا معنى لحياته ، فالموت صورة للشعب الذي لا يثأر ، وصورة الثأر نابضة بالحياة يتمنى الشاعر أن يرتقي إليها شعب تونس . والشاعر يرى صورة الذل تحيط بقلب وروح من استكان للظلم ، ويرى صورة الموت في كل شعب دون تحديد فنظرة الشابي نظرة إنسانية تمتلئ حبا لكل إنسان إنه حقا صاحب رسالة حملها معه حيث كان دون أن تنقل كاهله ، أو أن يتخلى عنها لحظة واحدة في أي حال من أحواله المليئة ألما وحبا وحياة . وهما هو يصب غضبه على الشعب الغافل متمثلا في صورة غضب عناصر الكون والطبيعة :<sup>١</sup>

أيها الشعب! ليتني كنتُ خطاباً      فأهوي على الجذوعِ بفأسي!  
ليتني كنتُ كالسيولِ، إذا سالت      تهدُّ القبورَ رمساً برمس!  
ليتني كنتُ كالشئاءِ أُعشِّي      كلَّ ما أذبل الخريفُ بقرسي!

تلك القصيدة التي عبر فيها عن صورة الشعب الغافل و التي يقدم فيها الشاعر لشعبه كل المعارف التي استطاع أن يصل إليها عبر قراءاته التي لم تتوقف، وإطلاعه على التراث القديم عند العرب واليونان، وما جاء من أشعار وآراء نطقت بها حكمة السماء عبر الأنبياء أو الفلاسفة والحكماء، فيض أنار تلك الروح التي لا تهدأ ولا تجزع مما نبت في كينونتها من مبادئ وقيم سامية يقف تحت عتابتها كثير من معاصري الشاعر، الذين رموه بالكفر حينما

١ - أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ص ١٤٦ .



وبالحياة عن طريق الصواب حيناً آخر. ويصف الدكتور شوقي ضيف موقف الشاعر من الأبيات نفسها بقوله: (( ولا يمكن أن تفسر هذه الثورة على شعبه إلا بأنه كان يستقبل شعره استقبالا فاترا فصب جام سخطه عليه ، حين رآه لا يعرف مواهبه ، ولا يستقبل أناشيده بالحرارة التي ينبغي أن يستقبل بها ٥ وربما كانت ثورة خاصة وعممها (...))<sup>١</sup> ويرى تلك الثورة العابرة التي سرعان ما تزول يقف في صف واحد من الشعب ذلك الصف الذي لم يتخل عنه لحظة واحدة .

ولعله في قصيدته هذه يلخص هذه الحقيقة الباهرة كون من يعيش للنور سيواجهه أهل الظلام و جاءت نبوءة الشاعر تلك من خلال فهمه الحر للحياة ، ذلك الجانب الذي يقف فيه أصحاب الأفكار النيرة الذين يجدون الحياة والنور طريق الخلاص من الظلم. والشاعر يعتصر ألما لما حل بالشعب من مظالم ، وما فيه من جهل وتخلف ، فالشعب محروم من النور والجفاء قائم بين الشاعر والشعب ، والألم الذي أصاب الشاعر ناتج عن الجهل والعنت الذي يعامل به الشاعر من قبل الشعب ، و الظلم والظلام اللذان طغيا على الخير والجمال ، وأبعدا الشعب عن طريق الحق ، نجد هذه الصورة في قصيدة ( تونس الجميلة):<sup>٢</sup>

إنما عبرني لخطبٍ ثقيلٍ      قد عرانا ولم نجد من أراحه

كلما قام في البلادٍ خطيبٌ      موقظ شعبه ، يريد خلاصه

أحمدوا صوته الإلهي بالعسفِ ،      أماتوا صداحه ونواحه

إن الشاعر منقذ للشعب ولكن جولة الباطل قوية الآن فصورة الشاعر المخلص من الجهل والظلم هي الحل القادم وهي الرؤية الصادقة .

ونرى صورة النقمة على ما حل بالشعب من تفرقة و جهل حيث كان ذلك سببا في النيل منه، وكذلك صورة الألم والعذاب لكل من يملك حس وشعور لما صار إليه الشعب من عبودية وذل وخنوع ، وما صار إليه الشعراء والعلماء الذين عاشوا للهوان والذل ، فوضع الشعب معهم هوانا و ذلا ، ونراه يعبر بصوره عن ذلك قائلا:<sup>٣</sup>

إني أرى. . ، جموعاً جمّةً ،      لكنّها تحيا بلا ألبابِ

١- د- شوقي ضيف : دراسات في الشعر العربي المعاصر ، ص ١٥٥ .

٢ - أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ٢٤ .

٣- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ٢٦٤ .



ويرى الشاعر الأخذ بالأسباب ومواجهة الظالمين طريق الخلاص والانتصار ولن يأتي إلا بالإصرار والعزم ، والحب كما يرى الشاعر، يرفع الشعب إلى الأعالي ، ومن أحب يضحى في سبيل كرامة من أحب ويريد بذلك أن يفتح طريق الخلاص أمام الأحرار والمحبين.

وينظر إلى الشعب فيراه في صورة طفل لا يملك معنى للحياة ومرد ذلك ظلام توارثه من عهود ماضية أقفلت على عقله وبصره بالخرافات والأباطيل ، فانحرفت القيم وصار الحق باطلا ، ونجد مثالا على ذلك في قوله <sup>١</sup> :

أيها الشعب أنتَ طفلٌ صغير ،      لآعبٌ بالتراب والليلُ مُغس !  
أنتَ في الكونِ قوَّةٌ ، لم تُسَسِّها      فكرة عبقرية ذات بأس  
أنتَ في الكونِ قوَّةٌ ، كبلثها      ظلمات العصور ، من أمس أمس  
والشقيُّ الشقيُّ من كان مثلي      في حساسيَّتي ، ورقَّةٍ نفسي

الأم شديد وباد في صور قائمة ، ولكنها أقرب إلى البوح مع تلك الحروف المهموسة التي تقطر دما .

والشاعر يرى نفسه مخلصا في شعبه لأنه يبصر الناس وينير لهم طريق الهدى والرشاد ، أليس هذا يدل على الموروث الذي يتكى عليه الشاعر في أعماله وقصائده؟ فالشعب في غفلة والشاعر يجذره مما هو فيه لكنه يرفض ويأبى ويبقى متعلقا بقيود الجهل والظلام ، فهو رحل عن الشعب مكرها لا حبا في حياة الغاب بل هروبا من حياة الظلام التي ينقاد تحت لوائها شعب ألف الظلام والخضوع والخنوع ، يدل ذلك على مهارة الشاعر ورهافة حسه وسمو نفسه في اعتبار رسالته رسالة كشف وتنوير تتقاطع خطوطها العريضة مع ما أراد الله سبحانه وتعالى لأنبياؤه أن يبشروا في الأرض ، وأن يزرعوا الخير والحياة وأن يجعلوا النور الذي هو هبة الله للإنسانية حق لكل أفراد الجنس البشري وإن ذلك لا يتعارض أبدا مع مفهوم الدين ، فواجب المتعلم أن يعطي العلم لاحتاجيه وصاحب الخير أن ينشر عطائه النبيل في كل مكان بلا قيود أو حدود أو هوى ، والشاعر في إباته في حمل رسالة النور

١ - أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ص ٤٧.

الذي أرادته مغيرا ذلك النور الذي أقلق الجهلة من أدياء العلم ، فرموه بحجارة قاسية ظالمة ولكنها لم تثن من عزيمته ورباطة جأشه ، ولعل المتابع البصير لأبيات القصيدة قد لا يقف عند سواحل الكشف هذه التي توصل إليها الباحث من خلال نظراته التي قد يظهر من خلال دراسة أخرى جوانب كشف جديدة تستند إلى عزائم أقوى قد تطاول عنان ذلك الطود الباذخ بنبض الحياة وبصيرورتها، جامعا أطرافها الحب الذي لا يتوقف، والأمل الذي دفع بصاحبه نحو الأعالي حتى ارتقى إلى عوالم الحب الأبدي الذي وجد فيه لذة الخلود، والطمأنينة التي ما فتئ يبحث عن دفئها في قلب الحياة الواسع بصور تتسم بالحياة وتحف بالجمال الذي لا يقاوم ولنكمل أبيات القصيدة :<sup>١</sup>

ليت لي قوة العواصف، يا شعبي	فألقي إليك ثورة نفسي
ليت لي قوة الأعاصير، إن ضجّت	فأدعوك للحياة بنبسي !
ليت لي قوة الأعاصير..! لكن	أنت حيّ ، يقضي الحياة برمس
في صباح الحياة ضمختُ أكوابي	وأترعْتُها بجمرة نفسي
فتألمتُ ... ثم أسكتُ آلامي	وكفكفتُ من شعوري وحسي
ثم قدمْتُها إليك ، فمزقتَ	ورودي ، ودستها أيّ دوس
ثم ألبستني من الحزن ثوبًا	وبشوك الجبال توجتَ رأسي

إن تلك الصور المتلاحقة التي يتزف فيها قلب الشاعر حبا للشعب وأما عليه لا يضاھيه ألم على الواقع المفجع الذي يزرح تحت وطأته شعب قست عليه السنون ، وربما ينظر إلى موقف أصحاب الشأن الذين كان لهم دور بارز في إطفاء النور نور الحق والحرية والفضيلة حيث وجد الشعب يسير في طريق الظلام ، والشاعر يقف مع الشعب ينير له الدرب ويبث بين أبنائه الحكمة ، الشاعر الذي أراد أن ينير الطريق أمام أبناء شعبه إن من يدعي بعد الشاعر عن الشعب يكون أبعد عن فهم الشاعر وقصر في الوصول إلى مراميه ، واللحاق بأنفاسه التي تنتشر في كل مكان وفي كل آن ، جعل قلبه وردة ، يا لها من صورة تزخر بالحياة من وردة لا تقدم إلا من محب مخلص إلى حبيبه الذي لا يتمنى له إلا الحياة

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ص ٤٦.

الكريمة ، وتبدو روعة الصورة التي جاءت في البيت السابق إلى صورة الحزن الذي ألبسه الشعب للشاعر ، وإلى صورة التاج من شوك الجبال كم هذا التاج سيدميك أيها الشاعر! وكم سيكون النوم الهانئ بعيدا عن عينيك اللتين لم تعشقا إلا النور والخير! وكيف ستسلو حبك الذي أدمى رأسك؟! أوجه سؤالي إلى كل الذين غفلوا عن طريقكم المضيء هذا الذي أحببتك به أبدا ويتابع<sup>١</sup>

إنني ذاهبٌ إلى الغابِ يا شعبي      لأقضي الحياةَ وحدي ، بيأس  
إنني ذاهب إلى الغابِ ، عليَّ      في صميم الغابات أدفن بؤسي  
ثم أنساك، ما استطعتُ، فما أنتَ      بأهلٍ خمـرتي ولكأسي

الشعب يعيش في ضمير الشاعر ، فهو لا يستطيع أن يبعد عنه فيقرن بعده عن الشعب باستطاعته على الصبر والتحمل ، وكأن في ذلك عتاب الحبيب للحبيب الذي أحب وأخلص أيما إخلاص ، فهو يرى في الغاب من عناصر الطبيعة ومن طيورها ما يريح نفسه فهو أحبها كما أحب شعبه ووجد في اللجوء إليها تسلية له من عسف الحياة التي سامها بسبب التقاليد البالية، والقيم الفاسدة التي أطفأت شعلة الحياة عندما تفنن الساحقون لقيم الكرامة والحق في إبعاد الشعب عن سبل الحق والنور ، وليطغى عليه ظلام تراكم عبر عهود من الغفلة وضعت غشاوتها القاسية أمام عيني الشعب ، فما عاد يرى القيم الحقبة بل يغط في ظلام الجهل. ولربما أراد في هروبه هذا أن يبت أفكاره للطبيعة التي توحد معها ويتابع بعد ذلك محاولا أن يجد أسباب تخلف الشعب وأسباب بعده عن سبل الهدى التي أراد لشعبه أن يعيش في ظلها الطيبة الكريمة:<sup>٢</sup>

سوف أتلو على الطيور أناشيدي ،      وأفضي لها بأشواق نفسي  
فهي تدري معنى الحياة ، وتدرني      أن مجد النفوس يقظة حس

الشاعر آمن بقدرة الشعب ولكن الجهل أحاط به من كل حذب وصوب ، فأخذ يبين أسباب التخلف، ويوجه غضبه محاولا تخليص الشعب والأخذ بيده إلى شاطئ السلامة . ((وفي هذه الصيحات كلها لم ينس الشابي حقيقة شعبه النقية وجوهره الطاهر فكان يؤمن

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص١٤٧ .  
٢- المصدر السابق نفسه ، ص١٤٧ .

دائماً بأن في شعبه حياة زاخرة لكنها تحت الظلمات والسجوف ، وفي شعبه قوة خارقة لكنها غير موجهة نحو النور والزهور والصعود إلى أعلى )) لقد أصابت الشاعر حسرة حقيقية على الشعب المقهور المرزول الخانع المستسلم الذي دفع بأبي الشعب أن يتمنى تلك الأماني المرة التي تقضي على كل غث وورث فهو يتمنى أن يكون مطهراً ومنقذاً فهو يريد أن يهد القبور ويريد أن يكنس ما ذبل . وتظهر آمانيته التي يحملها لعناصر الطبيعة لنقل ما يعتمل في نفسه من مشاعر الولاء والود والوفاء تلك المشاعر التي لا تشبهها آلام ولا مصائب ، وحقيقة يشكو ضعفه ، ذلك ضعف ناتج عن استفحال الداء وانشغال الأطباء بأمور شخصية ، ويعقول تفوقعت في رؤوس ، أقفلت على أنفسها نور الحياة ، وعاشت في ظلام الخرافة والجهل ، وأضافت صورته للإنسانية رسائل حب لم تخرج قيد شعرة عن طريق الحق والصواب ، الذي نهل من معينه الأول عندما تتلمذ على نور القرآن الذي استقر في قلبه ، فعاش يسابق إلى الخيرات لم يسع إلى الدنيا والملذات بل ارتفع إلى مقام ونهج استقاه يلهام وصدق من نبع الإسلام الصافي الرقراق .

ج- صورة الإرادة والحرية:

الحب نور يطغى على الظلام والجهل، وعندما يؤمن الشعب بمبادئ الحياة سيأتي الخلاص، لأن الإنسان الحي لن يسمح بالطغيان ولا الجهل، ويقول في ذلك في قصيدة ( سر النهوض ) :<sup>٢</sup>

لا ينهض الشعب إلا حين يدفعه	عزم الحياة ، إذا ما استيقظت فيه
والحبُّ يخترق العبراء ، مندفعاً	إلى السماء ، إذا هبَّتْ تناديه
والقيدُ يألُفه الأمواتُ، ما لبثوا	أمَّا الحياةُ فيبليها وتبليها

وبهذه النظرة الفلسفية إلى الحياة التي يرى فيها ضرورة البحث عن الحق وصراع الباطل الذي يذهب بصورته السوداء ، التي يحوها سلطان الحق والحياة، يجسم الشاعر عزم الحياة ، فيراه المحرك للخلاص والنهضة ، والنوايا الصادقة تمب الحياة حقاً فالعزيمة المستيقظة الناهمة هي التي تدفع الشعب إلى الحياة ، وما دعوة الشاعر إلى الحب الذي صورته بآلة فريدة تلك الآلة التي تخترق الأرض لتصل إلى السماء. وإن امتداد الحياة في فلسفة

١- أبو القاسم محمد كرو: دراسات عن الشابي، طبعة جديدة ١٩٨٤، ص ١٥ .

٢- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ص ١٨٦ .

الشاعر يركز على نتائج التعاون الذي يبينه الحب الذي يراه الشاعر سبيل الخلاص ، ويرى القيد أهل للأموات، أما الأحياء فهم في صراع مستمر مع القيد، وقد أصاب حقيقة لا ينكرها ذو نظر، فهو يرى الجهاد ضرورة للخلاص الذي ما كان يوماً هينا، ولن يكون الخلاص إلا بالجهاد، ويتابع الشاعر تقصي أطراف الموضوع الذي تبناه موضوع رعاية الشعب وبعث الحياة فيه مؤمناً بقدرته وطاقاته التي لا تحدد.

نلاحظ صورة الحرية التي تقوم على الجهاد لتحقيق الخلاص، ولا بد من السير في طريق التحدي لتحقيق النصر والحرية ، الحياة تقبل مع القوة والنضال ، وظهر ذلك في قصيدة إرادة الحياة :<sup>١</sup>

إذا الشعب يوماً أراد الحياة  
فلا بد أن يستجيبَ القدر  
ولا بدَّ لليل أن ينجلي ،  
ولا بد للقيد أن ينكسر  
ومن لم يعانقه شوق الحياة  
تبحرَ في جوّها ، واندرثر

والشاعر قدم حقائق تخرج من دائرة وطن معين ، وتصلح لأن تكون رسالة خلاص للإنسانية من الذل والقهر .

٣- صورة الطاغية والظالم :

يصور غطرسة المستبد الظالم وجرائمه التي ستكون سبيل الخلاص ويهدده ويتوعده قائلا في قصيدة ( قالت الأيام ) :<sup>٢</sup>

يا أيها السادر في غيِّه !  
يا واقفاً فوق حطام الجباه!  
مهلاً ! ففي أناتٍ من دُستهم  
صوتٌ رهيبٌ سوف يدوي صداه

المستبد مجرم ، بنى وجوده على القتل والتنكيل والدماء ، والمستعمر بنى وجوده بوحشيته على جثث أبناء الشعب ، والشاعر مشى على خطا الرومانسيين في الخروج عن الإقليمية

١ - أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ٢٣١ .  
٢ - المصدر السابق نفسه ، ص ٩٩ .

الضيقة ليصبح صوتا للإنسانية جمعاء يصلح لكل زمان ومكان. ونرى صور الإجرام والظلم وسفك الدماء والموت الذي زرعه المستبد الظالم التي ستكون في المستقبل طريق الخلاص . نجد هذه الصورة في قصيدة (إلى طغاة العالم):<sup>١</sup>

تأمل ! هنالك.. أنى حصدتَ رؤوسَ الورى ، وزهورَ الأملِ  
ورويّتَ بالدمِ قلبَ التراب ، وأشربتهَ الدمعَ ، حتى ثمل  
سيجرفكُ السيلُ سيلُ الدماء ، ويأكلكُ العاصفُ المشتعل

الصورة تنهض بما زرعه المستبد من موت ودماء ، تصور بشاعة المستعمر وجرائمه ، التي قتلت أحلام الصغار وآمال الكبار ، فالأرض ارتوت من دماء الأبرياء ومن دموع الحزن ، هذه الصورة ستكون السبيل لصورة الخلاص من المستبد، وإيمان بقوة الشعب ، تلك القوة التي لا يقف في وجهها أي طاغ ، مهما استبد ومهما ظلم .

نلاحظ في الصورة الفنية في شعر أبي القاسم ، خلجات النفس ، ونبض القلب ، ودفء الحياة ، تلك الصور التي خرجت من الذات ذات الشاعر النابضة بالحياة، لتحتضن الإنسانية ، وتفترش الكون ، إنها أشبه بأحلام ممتدة خلف آفاق الزمان والمكان ، يمنحها الشاعر دفئا وحياة ، فنجد فيها ظلالا لمشاعرنا ، أو نشعر بها في وجداننا ، تأخذنا بعفويتها ، وتأسرنا بصدقها ، تدهشنا تارة ، ونأخذ نفتش عنها في داخلنا تارة أخرى .

١- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة، ص٢٥٥ .



# الفصل الثاني

مفهوم الصورة الفنية ودورها في شعر الشاعر .

١- التمهيد: الصورة الفنية بين التقليد والتجديد .

٢- المبحث الأول: مفهوم الصورة الفنية عند الرومانسيين.

٣ - المبحث الثاني: ملامح الصورة الفنية من خلال نثر أبي القاسم الشابي .

٤ - المبحث الثالث: اللغة الشعرية .

٥ - المبحث الرابع: بعض الصيغ والأساليب اللغوية .

٦- المبحث الخامس : مقارنة بين الشابي والتيجاني والهمشري.

## ١ - التمهيد : الصورة الفنية بين التقليد والتجديد :

إن الباحث في مفهوم الصورة الفنية في الشعر ، يجد للصورة الدور الأساسي في القصيدة ، و يعود ظهور الصورة إلى بدايات نشوء اللغة ، حيث عالم السحر والأساطير ، فالكلمة هي الرحم الحقيقية للصورة ، بما تحمل من طاقات معنوية وموسيقية وخيالية ، تتآزر مع سواها وفق سياق يعبر عن رؤيا الشاعر وغاياته ، ومن خلال الصورة حاول الإنسان أن يفسر الظواهر الكونية الغامضة والمدهشة ، وأن يضع حلولاً لها ، وعن طريق اللغة تطلق لفظة معينة تدل على موضوع جديد أو ظاهرة مادية أو معنوية، فتصير صورتها المرافقة لها، ((والبديهي كان دائماً في موقف الانفعال ،يلغي المسافة بين الذات والموضوع ودمجها معا في وحدة ، وكان ذهنه متصلاً اتصالاً وثيقاً بالموضوعات الخارجية ومرتبطة بها.. ولكي يعبر عن وقع هذا الحسي الجديد في نفسه كان يلجأ إلى الصورة))<sup>١</sup>، وجاءت الحكمة على لسان الأنبياء بالصورة ، كذلك كان التعبير عند الإنسان الأول عن طريق الصورة ، فالصورة في البدء كانت تدل على وحدة الوجود ، والصورة تعبر عن رؤية الفنان للنفس والحياة

٢ .

والتصوير موجود عند الأمم كلها ولكن بنسب متفاوتة، و منذ أن بدأ الفن يأخذ طريقه إلى عالم الإنسان ،بدأ مفهوم الصورة بالظهور إلى الوجود من خلال الدلالة الحسية في البدء ، ثم أخذت الدلالة المعنوية تظهر إلى حيز الوجود، ونشأت الصورة من خلال الاستعمال الاستعاري ،وانعقدت الصلة بين الإنسان والموجودات ، فخلع الشاعر على الطبيعة الإحساس والشعور الإنساني ، واتضح أهمية الصورة الفنية في الشعر، ولم يقتصر عليها عصر من العصور، أو يحتكرها جنس بشري ، بل رافقت الشعر منذ بداياته الأولى، ولو تفاوت الاهتمام بها بين أمة وأخرى .

وقد استخدم شعراء العربية الصور في أشعارهم عن طريق المجازات والنشبيه، وكانت صورهم صوراً جزئية، تتمثل بالصورة البلاغية التي تعتمد في الأغلب على

١- د - نعيم البياضي : مقدمة لدراسة الصورة الفنية ،ص ٢٢ - ٢٣ .

٢- المرجع السابق نفسه ص ٣٦ .

التشبيه ، وعلى الصحة اللغوية والوضوح . واستمر ذلك في الشعر العربي وباختلافات بسيطة ، وتحدث الجاحظ عن أهمية التصوير في الشعر حيث قال: (( وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج ، { وكثرة الماء } ، وفي صحة الطبع وجودة السبك . فإنما الشعر صناعة ، وضرب من النسخ ، وجنس من التصوير )) فالجاحظ في هذا القول عد الشعر جنس من التصوير .

وكانت تظهر بعض الطفرات المتميزة التي كانت تعتبر خروجاً على الذوق والطبع ، وقد ظهر ذلك واضحاً في شعر أبي تمام وابن الرومي ، حيث ظهرت حركة التصوير في شعرهما بصورة واضحة ، فأضفيا الحياة والحركة على الطبيعة ، بل تجاوزا ذلك إلى المعنويات ، التي تتجسم وتشخص ، لكن التصوير انحسر بعدهما وعاد الأمر إلى طبيعته وسابق عهده . وظهر الشعر التقليدي في العصر الحديث، مع بداية عصر النهضة ، حيث قامت الصورة في الشعر الإحيائي على التقرير، وكانت شكلية و وصفية ، ولا تغني الموضوع بل تلامس محيطه الخارجي ، وقامت بمهمتي الشرح والتزيين ، وجاءت الصورة في الشعر التقليدي صورة حسية ، وقد اتخذت من عناصر الواقع المنظور مصدراً لتشكيلها من الظواهر العارضة أمام الشاعر.<sup>٢</sup>

وقامت الصورة بدور المبالغة ، لذلك (( إذا كانت الصورة تساهم في عملية إقناع المتلقي ، والتأثير فيه ، عن طريق شرح المعنى وتوضيحه ، فإنها تحقق نفس الغاية عن طريق المبالغة في المعنى ، والصلة بين المبالغة والشرح والتوضيح صلة وثيقة ، ذلك أن المبالغة تعد وسيلة من وسائل شرح المعنى وتوضيحه ))<sup>٣</sup> ، وكانت الموسيقى صورة باهتة ناقصة الأثر في الصورة الفنية والتي استمرت في الشعر العربي رغم بعض الطفرات التي لم تتطور، التي بدأها أبو العتاهية وصولاً إلى ما ظهر في شعر الموشحات من خروج على المألوف في الوزن والقافية ، ولقد حافظ أتباع المدرسة التقليدية أيضاً على ما جاء في التراث من ضروب الموسيقى التي ظهرت في الوزن العروضي (( والوزن العروضي قالب خارجي أو نسب هندسية محددة يفرغ فيها

١- الجاحظ : الحيوان الجاحظ، ج٣، تحقيق عبد السلام هارون ، ط٣، دار إحياء التراث العربي بيروت ، ١٩٩٦م ، ص: ١٣٢.  
٢- د- نعيم اليافي : تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث ، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، ١٩٨٣م، ص( ٢٠ ، ٣٠).  
٣- جابر عصفور: الصورة الفنية (في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ) ، ط٣، المركز الثقافي العربي - بيروت ١٩٩٢ ص٣٤٣.

المعنى دون أن يكون لها أي تأثير في تلوين الصورة))<sup>١</sup> إذن توقف الإبداع الموسيقي بسبب الاعتماد على ما جاء به السابقين دون تغيير يذكر، وصار الوزن العروضي قالباً جاهزاً، يصب فيه الشاعر موضوعه دون تفاعل أو تعديل.

ولقد تطور مفهوم الصورة الفنية، في الشعر الرومانسي فظهر إلى جانب الصورة الحسية البلاغية، الصورة المعنوية، وانتقل الشاعر من التقرير إلى التعبير (( ولعل هذا التطور الذي أصاب الصورة ونقلها نقلتها الواسعة من المباشرة إلى الإيحاء يرد في الدرجة الأولى إلى التحول الذي أصاب علاقة الذات بالموضوع، ونقلها من الانعزال إلى التوافق، ومن الخارج إلى الداخل، ومن العقل إلى الشعور، وبكلمة أخرى نقلها من المنظور المادي الشكلي إلى جوهر الرؤية الانفعالية للحياة))<sup>٢</sup>، ولقد استطاع الشاعر الذي اعتمد على الصورة الفنية، وقام بدور هام في إضفاء الحياة على الموجودات والعوالم التي تحيط بنا إيجاد خصوصية لغوية من داخل اللغة يتميز بها عمله الفني في نقل الواقع كما يراه (( فصار خلقاً للواقع، وابتكاراً لعلاقات جديدة بين الإنسان والعالم، وتخطياً من الرتبة إلى الدهشة، ومن المؤلف إلى الخارق، ومن المتوقع إلى المفاجئ))<sup>٣</sup>، وهو بذلك يجعلنا ومن خلال الصورة في أجواء مفعمة بالحياة والحركة والظلال، تثير فينا الدهشة لما تحمله من دلالات كامنة في أعماقنا، فكأنه بذلك يفرض علينا طقوساً ومفاهيم جديدة، أضاف عليها من خياله وعالمه الخاص، (( فالصورة تشكيل لغوي، يكونها خيال الفنان من معطيات متعددة، يقف العالم المحسوس في مقدمتها. فأغلب الصور مستمدة من الحواس، إلى جانب ما لا يمكن إغفاله من الصور النفسية والعقلية ...))<sup>٤</sup>، والصورة الحسية، ليست دائماً الصورة المرئية، والشاعر لا يقبل صور الواقع الناجزة، بل يجعل للفكرة الأهمية الأولى، ومن هنا يقوم الشاعر بتشكيل الصورة نفسياً من داخله، ويعتمد على الواقع، ولكن بعد أن يدخل إليه، ويقيم فيه أنساقاً جديدة، تظهر أفكاره وعالمه الداخلي وما يطمح إليه، وغالباً ما تتداخل صور الحواس المختلفة وفق نسقه الخاص الذي ينقلنا

٤- نعيم اليافي: تطور الصورة الفنية، ص ١٧١.

١- د- نعيم اليافي: تطور الصورة الفنية، ص ١٠٤.

٢- أحمد فهمي محمد: رسالة دكتوراة السمات المستحدثة في بنية القصيدة وأدواتها الفنية، ص ٤٣.

٣- علي البطل: الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثالث الهجري ط٣، دار الأندلس-بيروت، ١٩٨١م، ص ٣٠.

إلى الصورة الشعرية التي يستطيع الشاعر من خلالها التواصل معنا ، ونقل أفكاره إلينا، فندرك الألفاظ إدراكا تصوريا جديدا وفق أفكار ووجدان الشاعر ، حيث تأتي صورته جديدة ، وتحمل عناصر جديدة ومختلفة عن الصورة المرئية في الواقع ، ونرى الصورة رؤية واضحة كما يقدمها الشاعر (( فالكلمة التي تدل على شيء ليس من الضروري أن يكون استخدامها في الصورة الشعرية مقصودا به استحضار صورة هذا الشيء في ((الذهن))<sup>١</sup>. والمشاعر والأفكار أمر مشاع ، وموجود بين الناس وبمستويات مختلفة ، ولكن الناس يختلفون في نقله إلى الآخرين ، ومن هنا فالشاعر يملك طاقات متفوقة ومقدرة عالية في التصوير الفني ، مما يدفع المتلقين إلى عوالم من السحر والخيال (( فالصعوبة إذن هي في التعبير عن الحالة الداخلية ونقل ذلك الغيب النفسي من الشعور إلى حيز الشكل في الألفاظ والصور ))<sup>٢</sup>، وبذلك نتوثق من أهمية الصورة ودورها في الشعر أوفي العمل الأدبي، فالشاعر الحق هو الذي يجعلنا ننفعل بتلك الصور، فينقلنا بها إلى عالمه الذي يعيشه ، ((الشاعر الأصيل يتوسل بالصورة ليعبر بها عن حالات ، لا يمكن أن يتفهمها ويجسدها بدون الصورة ، وتصبح المتعة التي تمنحها الصورة قرينة الكشف والتعرف على جوانب خفية من التجربة الإنسانية ، ويصبح نجاح الصورة أو فشلها في القصيدة مرتبطا بتآزرها الكامل مع غيرها من العناصر ، باعتبارها وصلا خبرة جديدة ، بالنسبة للشاعر الذي يدرك والقارئ الذي يتلقى ))<sup>٣</sup>.

وللصورة الموسيقية دور بارز في عالم الشاعر النفسي عند التعبير عما يعتلج في داخله من مشاعر وأفكار، يحاول الشاعر أن يوافق بينه وبين العالم المحيط به من خلال التشكيل الفني للصورة الموسيقية ، مما يجعل حالة من التوافق بين الشاعر والمتلقي ، وتكون قيمتها بمقدار تحقيق ذلك التوافق.

وتستطيع الصورة الفنية أن تضعنا أمام عالم أكثر وضوحا للأفكار والمعاني والمشاعر التي تزداد توهجا ونماء من خلال التصوير، فالصورة تستطيع أن تنقل المعنى إلى آفاق أرحب ، وتكسبه دلالات أقرب إلى نفس وروح المتلقي .

١- د عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية ط٥، المكتبة الأكاديمية- القاهرة ١٩٩٤م، ص١١٣

٢- إيليا الحاوي: النقد الأدبي الحديث ، ص ١١٨

٣- د - جابر عصفور :الصورة الفنية( في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ) ، ص ٣٢٨

وإن صور الشاعر تبرز تأثيرها في المتلقي عن طريق التخيل الذي يحمل ما اختزنه الشاعر في مخيلته ، حيث تعتبر النبع الذي يغذي جداول الصورة (( الخيال هو الملكة التي يستطيع بها الأدباء أن يؤلفوا صورهم ، وهم لا يؤلفونها من الهواء وإنما يؤلفونها من إحساسات سابقة لا حصر لها ، تختزنها عقولهم وتظل كامنة في مخيلتهم حتى يحين الوقت ، فيؤلفوا منها الصورة التي يريدونها ))<sup>١</sup>، والمتلقي يحتزن في داخله صوراً للأشياء المحسوسة وللمعاني العقلية على حد سواء ، هذه الصور التي يستطيع الشاعر عن طريق التخيل نقلها إلينا وإثارة مكونات أنفسنا وخلجات أرواحنا ، وينقلنا بذلك إلى عوالم مدهشة ورائعة حقاً .

فالصورة في الشعر والأدب تتجاوز في دلالاتها الصورة التجسيمية المحددة بمادة صنعها ، وتتجاوز المدلول الذي اتفق عليه أهل اللغة؛ لتنتقل عبر أجنحة الكلمات التي تحلق عالياً ، وتسمو إلى عوالم فريدة، تدهشنا من خلال خيال الشاعر بإيجاءاتها الممتدة في أعماقنا، وفي مقدرتها على شدنا إليها، و تعاطفنا معها، وانفعالنا بها ، وكأننا نتلقاها للمرة الأولى ، رغم أنها تعيش معنا<sup>٢</sup> . ويقول غيورغي غاتشف في حديثه عن أهمية الصورة الفنية في الشعر واختلافها عن الصورة الفنية التجسيمية المقيدة بمادة طبيعية ، والخاضعة لسلطان الزمان: (( لذلك فإن ما يصبح شكلاً ملائماً لما هو سام، ليس إلا صورة روحية ( لم تضعها يد البشر ) أي أنها تصور شعري وفكرة فنية معبر عنها بالكلمات . هذا النمط من الصورة هو وحده الذي يتخطى الزمان والمكان ))<sup>٣</sup>، ويدل بذلك على مكانة الصورة الشعرية بالنسبة للفنون الأخرى ، حيث تتفوق عليها و تتجاوز حدود الزمان والمكان عن طريق الكلمات ، والشاعر يأخذ الشكل المبدع للكلمة من خلال خلق علاقات جديدة تنقلنا وتنقل اللغة إلى عالم أرحب غني بالصور الحية و الظلال والإيجاء من خلال مرورها عبر عالمه ، فينقلنا بها إلى عوالم جديدة ، تجعلنا نهمز من الداخل ، وكأننا نشاهدها للمرة الأولى ، وكأنها جاءت من زمن يختلف عن زماننا وهذا يعتمد على الخيال الذي يعتمد عليه الشاعر في التعبير

١ - د شوقي ضيف : في النقد الأدبي ط٦ دار المعارف ، القاهرة ١٩٨١م ، ص ١٦٧ .  
٢ - د نعيم البياي : مقدمة لدراسة الصورة الفنية، د ط ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق ١٩٨٢م ص ٣٩ .  
٣ - غيورغي غاتشف : الوعي والفن دراسات في تاريخ الصورة الفنية ، منشورات عالم المعرفة - الكويت ، فبراير ١٩٩٠م ، ص ٦ .

عن الرؤيا خلال تجربته الشعرية ((ومن خصائص الخيال الشعري الأصيل أنه يحطم سور  
مدركاتنا المعرفية ، ويجعلنا نجفل لائذين بحالة من الوعي بالواقع ، تجعلنا نشعر كما لو  
كان كل شيء يبدأ من جديد ، وكما لو كان كل شيء يكتسب معنى فريدا في جدته  
وأصالته.))<sup>١</sup> ، والصور تترجم ما في داخله الخصب من تجارب عاشها أو تعاش معها  
، وبمزجها في خياله الذي يبعث فيها حياة أخرى، ويدفع بها إلى عالم الضياء والظلال،  
إلى عالم مليء بالحركة والدهشة الممتعة التي تسحر الآخرين وتدهشهم بحيويتها  
ورحابتها، (( فلا بد لنا ، إذا شئنا أن نفهم قيمة العمل ، من أن نرى كيف يعمل  
الفنان طوال ممارسته لنشاطه على تطوير الصورة الخيالية التي توحى بها المادة الحسية  
وتنويها ))<sup>٢</sup> .

يقوم الشاعر بتنويع الصورة من خلال تنويع الانفعالات ، وتداخل الأشكال  
والألوان باعتبارها عناصر مثيرة في الصورة الفنية مع المثيرات الأخرى كاللمس  
والطعم والرائحة ، وهذا ما يعرف بتراسل الحواس، وهي التي تساهم في تكوين الصورة  
وتحقيق الانسجام والتآلف بين الصور المتناقضة، ويقدمها الشاعر لنا دفعة واحدة  
فتنقلنا إلى أجواء التجربة الشعورية التي عايشها ، ونقل إلينا من خلالها عالمه المدهش  
والجديد، من خلال الحياة الجديدة للغة والعالم النامي من داخله والمرتبط بالواقع  
السابق للعمل الفني ، الذي جعله يخضع لعالمه الخاص الذي منحه حياة جديدة لها  
خصوصيتها المتفردة، (( وكثيرا ما تتلاحم الصور والانفعالات والأفكار التي يعبر عنها  
عمل ما ، كما يحدث حين ترمز صورة إلى فكرة معبر عنها ، ويكون لها في الوقت  
ذاته طابع انفعالي مميز خاص بها. وحين يكون العمل معبرا بالنسبة إلينا ، (تبعث فيه  
الحياة) ويصبح مشحونا بإثارة تخيلية إذ يوحي بأكثر مما يصوره صراحة. وهو يكتسب  
عمقا ورنينا من أصدائه الانفعالية ))<sup>٣</sup> وبذلك يتضح دور الصورة الفنية في التعبير عن  
العمل الشعري ، الذي يقوم الشاعر بنقله إلينا عبرها.

١- د - جابر عصفور: الصورة الفنية (في التراث النقدي والبلاغي عند العرب) ، ص ١٤ .  
٢- جيروم ستولنيتز : النقد الفني دراسة جمالية وفلسفية ، ترجمة د، فؤاد زكريا ، ط٢ ، الهيئة المصرية للكتاب، ص ٣٤١ .  
٣- المرجع السابق نفسه . ص ٣٧٧ .

## ٢- المبحث الأول:

مفهوم الصورة الفنية عند الرومانسيين:

الصورة الفنية تعبر عن التجربة الشعرية ، وتحملها عبر الألفاظ ، بعد أن تخرج من ساحة الوجدان حية نابضة بلحن الحياة المتوتر الفياض ، وتأتي وهي تنجز الواقع من جديد في لغة تتفوق على أمها ، ففيها الحيوية الفطرية ، وكأنها تولد من جديد في الخيال الذي أوقف فيها براءتها الأولى ، جاء العصر الحديث وجاء الشعر الغربي مترجما من خلال البعثات الدراسية التي جاءت بما أنتجه الغرب من آداب ونثر (( وعلى هذا النحو أخذ شعرنا يمتص القوى الخيالية المبتكرة التي أتته من الغرب ، وأخذت صورته تتجدد في نطاق واسع. ))<sup>١</sup> ونتيجة لذلك ظهرت المدارس الأدبية : كمدرسة الغربال، ومدرسة المهجر، وجماعة الديوان ، وجماعة أبوللو ، وصارت الصورة تعبر ؛ لتؤثر فينا؛ ونتفاعل معها ، وهنا برز بوضوح دور العواطف والانفعالات التي ظهرت حادة في أشعار الرومانسيين الذين ربطوا تفاعل النفس بعناصر الطبيعة ؛ لينقلوا صورهم التي اتكأت على الخيال للوصول إلى الغاية المنشودة ، ونقل العالم الداخلي الخاص والعالم الخارجي المحيط بالشاعر من خلال صور حية نابضة بحالة الشاعر ومواقفه المختلفة وصراعه المستمر في رفضه للقيم المؤذية والباطلة ؛ التي تحاول أن تدوس على قلب الإنسان ومشاعره وقيم الخير والجمال ، وهذا يؤدي إلى توترات حادة ، تظهر من خلال صور فنية، تحمل تلك الصور إلى حيز الوجود وعالم الحياة الجديدة عبر الرمز والخيال والأساطير؛ لتعبر عن أفكار وعواطف الشاعر الذي أبدعها، بعد أن عايشها في قلبه ووجدانه.

الصورة الفنية ، هي ما يقدمه الشاعر، هي القصيدة بأبعادها التي نكتشف بها أسراراً جديدة ، ولو كانت تعيش في أعماقنا ، فننفعل معها وتقودنا إلى اكتشافات مستمرة. (( لأن قوة الشعر تتجلى في عبقرية التصوير الذي يمتلك من الإمكانيات الفنية القدرة على رسم أبعاد التجربة الشعورية والإيحاء بظلالها ))<sup>٢</sup> ، ويذكر الدكتور

١- د- شوقي ضيف: دراسات في الشعر العربي المعاصر ، ص ٢٣٤.

٢- د- عدنان حسين قاسم : التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية ، الدار العربية للنشر والتوزيع، ص ١٦.



عبد القادر القط دور أصحاب الاتجاه الوجداني في الناحية الفنية (( وقد حملت هذه الحركة — من الناحية الفنية — عبء التجديد والخروج من أسر الأنماط الشعرية القديمة المكررة على مر العصور وابتكار (صيغة) شعرية حديثة يمتزج فيها التراث بالعصرية وتكتسب فيها الألفاظ دلالات حديثة وقدرة جديدة على الإيجاء كانت قد فقدتها في الصيغ النمطية التقليدية ، وتقوم فيها الصور الشعرية على مفهوم فني حديث ينتفع بالنظريات الجديدة في الأدب والفن والموسيقى ))<sup>١</sup> ، وبذلك إذا كان المفهوم القديم قد قصر الصورة على التشبيه والاستعارة ، فإن المفهوم الجديد يوسع من إطارها ، فلم تعد الصورة البلاغية هي وحدها المقصودة بالمصطلح ، بل أصبحت الكلمة تحمل طاقات تعبيرية من السياق اللغوي والموسيقي الذي يضعها الشاعر فيه، ويكسبها أبعادا جديدة من أعماقه وأفكاره وثقافته ، ويثير فيها طاقات كامنة ، فيحولها إلى رمز ، وقد يكون هذا الرمز متحركا في أكثر من اتجاه ، ويحمل أكثر من مدلول ويعود إلى علاقة الرمز بالسياق فيحمل طاقات تعبيرية متفاوتة ، ويعود الفضل في ذلك إلى المبدع الذي يستطيع أن يبدل مدلول الرمز ، ويعكس الصورة ، فيأتي من خلال لفظة واحدة بالشيء وضده إلى جانب التكرار وغلبة الأسلوب الإنشائي، وهنا تظهر مقدرة الأديب في نقل ما في داخله من صور ، ويحاول أن يطوع الأساطير والموروث الشعري عبر الصورة الفنية ، ليخلق حياة جديدة عبرها تخدم أفكاره ومشاعره ، فيدهشنا بها وكأننا نشاهدها للمرة الأولى .

وظهر المعجم الشعري الخاص الذي يربط فيه الشاعر بين عالمه الداخلي والكون ، معتمدا في ذلك على الصورة الفنية ؛ لينقل ذلك التناقض بين الحلم والواقع ، وبين الحزن والفرح ، والألم والسعادة ، وظهرت المشاعر المتدفقة ، وارتبطت الذات الشاعرة بالعالم الخارجي عبر أوزان رشيقة وتنوع في القوافي ، وتجاوز ذلك إلى تطور جديد وظهور الإيقاع ؛ الذي يعبر عما في داخل الشاعر من مشاعر وأحاسيس ، تلائم التجربة الشعرية الخاصة بكل شاعر ، وبالتالي (( فالنتطور الذي أصاب موسيقى الشعر حين نقلها من المحاكاة إلى التعبير ، ومن الوزن إلى الإيقاع لم يكن تطورا عارضا وإنما

١- د - عبد القادر القط :الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، ط٢ ، دار النهضة العربية بيروت، ١٩٨١م ، ص١٢-١٣ .

كان تطورا جوهريا ، فقد نقلها كما نقل كل شيء من الخارج إلى الداخل ، ومن الجمهورية والخطابية والرتوب إلى البوح والهمس والخفوت والتنوع والحركة وربما إلى صمت الأنغام وسكونها ))<sup>١</sup> نتيجة لذلك ظهر الميل إلى التشخيص والتجسيم والإيحاء ، وصارت الطبيعة جزءا من الشاعر، تحمل همومه وتطلعاته ، وفيها عالمه المنشود من الحرية والأمان والهروب من التناقض الداخلي والقسوة الخارجية . فالتحم بالطبيعة ، وأسبغ عليها مشاعره وأحاسيسه ، وظهرت الألفاظ الجديدة ، كلفظة (الغاب)<sup>٢</sup> التي صارت رمزا يعبر عن الملاذ الآمن من غدر الحياة والمدينة ، وكما ظهرت العناوين التي تدل على مضمون القصيدة ووحدها على اختلاف بين الشعراء في التجديد والتقليد ، ومن هنا كانت المدرسة الرومانسية في الشعر العربي في مرحلة بين الحربين ظاهرة جديدة لها مبدعوها ولها مریدوها قد (( أنجزت الكثير في حركة الشعر العربي الحديث أولا لإصرارها على تجاوز مسلمات القصيدة التقليدية ، وهدم كثير من مرتكزاتها في مجالي الرؤية الشعرية والتشكيل الفني . و ثانيا لأنها كانت أشبه بجديقة رشف اللاحقون من رحيق أزهارها المتنوعة ))<sup>٣</sup> . بذلك بدأت هذه المدرسة الجديدة تظهر معالمها في العالم العربي شرقا وغربا وتتضح في قصائد شعراء هذه المرحلة معالم المدرسة الرومانسية .

١- نعيم اليافي : تطور الصورة الفنية ، ص ١٧٢

٢- مجمع اللغة العربية ، المعجم الوجيز ، مادة غاب ، طبعة جديدة شرعية ٢٠٠١ م (الغابة) الأجمة ذات الشجر الكثير المتكاثف . (ج) غاب ص ٤٥٨

٣ - دورة الأخطل : مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، طبعة المؤسسة ٢٠٠٠ م ، ص ٦٤١

### ٣- المبحث الثاني:

ملامح الصورة الفنية في نشر أبي القاسم الشابي :

لقد كان أبو القاسم سباقا بين أقرانه و معاصريه ، فسبق عمره الزمني وامتطى صهوة الأدب في وقت مبكر من حياته القصيرة ، ونتج ذلك من عبقرية نادرة، وطموح متقد ومن جد وتحصيل وشغف بالدراسة منقطع النظير ، فاطلع على روائع الأدب العربي القديم ، واطلع على ما أنتجته الإنسانية من فكر وفلسفة وأساطير وخيال ، وواكب ما أنتجه عصره من فكر وأدب ، مما جاء من العالم العربي أو جاء مترجما من العالم الغربي ، وبذلك استطاع أن يكون من النوابغ الذين سيقون ما بقيت الإنسانية ، لأنه ممن جعلوا حياتهم نبضا خالدا في رحم الإنسانية ، ونسغ الحياة المتجددة أبدا، فاتضح أمامه الهدف والرؤية ، ومما لاشك فيه أن الشاعر ، أخذ يبحث عن طريق آمن به وأخلص له ، وأراد أن يجد منهجا يوافق مزاجه ، ويحقق أهدافه ، ووجد ضالته في تيار جديد ، ظهرت بصماته واضحة فيه ، واستطاع من خلاله أن يتخلص من سيطرة التقليد ، ويلتفت إلى التجديد والحياة .وسنقف - إن شاء الله - عند ما يهمنا من آراء تتعلق بمفهوم الصورة الفنية ، مما جاء في نشره من محاضرات وسواها .يتحدث في كتاب الخيال الشعري عند العرب عن دور الخيال وأهميته في اللغة والشعر وفي الصورة الفنية : (( وصفوة القول أن الإنسان مضطر إلى الخيال بطبعه ، محتاج إليه بغريزته لأن منه غذاء روحه وقلبه ولسانه وعقله ))<sup>١</sup> ، ويبدو تأثير الشابي في موقفه بأتباع المدرسة الرومانسية من احترام للخيال وبيان دوره في تقديم الحلول الناجعة ؛ لفهم الروح وحاجاتها ، والوقوف عند المشاعر الذاتية واحترامها ، ودوره في اكتشاف الحلول لعجز اللغة، وسبر أعماقها ، والعودة بها إلى المنابع الأولى الثرة بالإيجاءات والدلالات المترامية الأطراف النابضة بالحياة ، وأشواقها ،وأضاف (( ستظل اللغة في حاجة إلى الخيال لأنه هو الكثر الأبدي الذي يمدها بالحياة والقوة والشباب ))<sup>٢</sup> فالشاعر في ذلك يقف عند بعض مكونات الصورة الفنية ، ويبحث عن الخيال الفني ويترك الخيال الصناعي الذي جاء في كتب البلاغة و يتمثل باجاز والاستعارة والتشبيه والذي يقول عنه : (( ونفسي لا تطمئن إلى تلك المباحث

١- د - أبو القاسم الشابي : الخيال الشعري عند العرب ، ط١، دار المغرب العربي تونس ١٩٩٤م. ص ٦١ .  
٢- المرجع السابق ، ص ٦٢ .

الجافة))<sup>١</sup>. والشاعر يبحث في محاضراته عن الخيال الفني الذي يفسر أسرار الحياة والوجود ، ويجب عن فلسفة الحياة : (( وهو هذا الفن الذي تندمج فيه الفلسفة بالشعر ، ويزدوج فيه الفكر بالخيال ))<sup>٢</sup>، ويتحدث عن الشعور الذي يتضح دوره الرائد عند الرومانسيين وعلاقته الوثيقة بالخيال حيث يقول : (( لأن الشعور هو العنصر الأول من عناصر النفس ، واحتكامه إلى الشعور يدفعه ولا بد إلى استخدام الخيال ))<sup>٣</sup>، وعن طريق الخيال تولد اللغة المناسبة للغة الحياة المعبرة عن المشاعر؛ والقادرة على إثارة المتلقي وإدهاشه بجيويتها وفطرتها التي تجعلها تلامس أعماق مشاعرنا؛ فتنهض في أعماقنا دون استئذان .

ومن ثم تحدث عن الأساطير ودورها في الصورة الفنية للشعر و لما فيها من قرب إلى نفس الإنسان و إلى الطبع، إنها قريبة إلى النفس، وتضج بالمشاعر والأحاسيس الفطرية الصادقة ، ((إنها طفولة الشعر في طفولة الإنسان))<sup>٤</sup> ، وهو في ذلك يؤكد على أهمية الأساطير ودورها الرائد في الصورة الفنية .

ويتحدث عن أهمية الطبع والصدق والسهولة والبعد عن التكلف والصنعة في مقدمة ديوان أبي شادي : ((وأما أسلوبه فهو يمتاز بجمال الطبع والسهولة والبساطة.....، ولكنه يحرص كل الحرص على أن يكون صادقا دقيقا في التعبير عن ذات نفسه ..))<sup>٥</sup>، ويعبر عن ارتباط الشعر بالحياة والعالم المحيط به في مقالة الشعر : (( إن الشعر يا صديقي تصوير وتعبير تصوير لهذه الحياة التي تمر حوالياك ... ))<sup>٦</sup>، والشعر يحتاج إلى الأسلوب الفني الذي يعطيه الحياة والنماء؛ لينقل عبر القصيدة صور الحياة المتنوعة، والتي لا تقف عند حال، بل تتجدد كالطبيعة نفسها؛ لتتقل خلجات الحياة مابين أفراح و أتراح وآلام وآمال لا تنقضي أبدا، فالشاعر يبحث دائما عن

١- أبو القاسم الشابي: الخيال الشعري عند العرب ، ص ٦٣

٢- المرجع السابق ، ص ٦٢

٣- المرجع السابق ، ص ٦١

٤- المرجع السابق ، ص ٦٤

٥- أبو القاسم محمد كرو : نثر الشابي ومواقفه من عصره، ص ٣٥

٦- المرجع السابق ، ص ٩٩

وحدة الشعور في العمل الفني حيث يقول في ذلك : (( والتعبير الفني الجميل الذي يكون قالباً إنسانياً حياً لذلك المعنى ))<sup>١</sup>.

ويتحدث الشاعر عن دور الموسيقى وأهميتها في القصيدة: (( فإن الشعر الرفيع هو حياة موسيقية مختارة تعبر عن نفسها في فن من الكلام ))<sup>٢</sup>، ويدل في ذلك على مكانة الموسيقى في الصورة الفنية ، وينظر إلى الشاعر الحق الذي يستطيع أن يتوحد في شعره ، ويحول الوجود إلى نبض يتدفق بالأحاسيس والمشاعر حيث يقول : ((..ذلك الخلاق الذي يبعث في آثاره فلذة من روحه ونسمة من حياته فإذا هي حية ناطقة تعبر في قوة وإبداع عما في هذا الوجود من سحر وفن وجمال..))<sup>٣</sup>، فالشاعر يربط بين روحه وأشعاره والوجود برباط فني مليء بالسحر الممتد في الوجود ، ويرى شاعرية الشاعر في قدرته على بث الحياة في الموجودات ، حيث تولد من جديد حية مليئة بالجمال والفيض الروحي النابع من قلب الشاعر ، إنها دعوة لربط الإنسان بالكون والطبيعة على طريقة الرومانسيين .

ومما سبق نستطيع أن نتبين مفهوم الصورة الفنية كما ورد في نشر أبي القاسم .

أ- وضع حلاً لمشكلة اللغة من خلال الخيال والتصوير وذلك من خلال بث الحياة والدفء في اللغة القائمة ، وبعث لغة جديدة مليئة بالحياة والحركة ، تنبض بوجودان الشاعر وحسه المرهف والمتفوق.

ب - وجد الشاعر الخيال حقلاً خصباً للصورة الفنية، من خلال التشخيص والتجسيم وبث الحياة في عناصر الطبيعة والكون ، وهو الأداة الخلاقة ، التي تحمل إلى الكون فيض المشاعر الإنسانية المتدفقة .

ج - الصورة الفنية ، تمتد خلف العالم الموسيقي الذي يمتد دوره عبر العمل الشعري ، ليناسب ما يطرحه الشاعر من رؤى وأفكار في القصيدة التي تدخل إلى أعماقنا عبر الخيال و البناء الموسيقي العام ، والأنغام السحرية التي تخلق ارتباطاً جديداً مع عالم الشاعر ، ومشاعره وأفكاره.

١- أبو القاسم محمد كرو : نثر الشبابي ومواقفه من عصره، ط١ ، دار المغرب العربي - تونس ١٩٩٤م، ص ١٠٠

٢- المرجع السابق ، ص ٣٢

٣- المرجع السابق و ص ١٠٦

د - ويتحدث الشاعر عن وحدة الشعور وما تقدم للعمل الشعري من صورة فنية صادقة يعتمد فيها الشاعر على بث الحياة في القصيدة وفي أعماق الأشياء التي تتكون منها مفرداتها، وتجعلها إنسانية تنبض بالحياة والعواطف .

هـ - وتحدث عن الأساطير ، ودورها في الصورة الفنية وما فيها من دفء يقربنا من الطبع والبساطة ، ووجد فيها الإنسان حلولاً لما أغلق عليه فهمه في الكون والحياة .

و - والعمل الشعري يعتمد على الوحدة العضوية؛ حيث يتحدث الشاعر عن موضوع واحد ، يعبر فيه من مركز واحد، هو الشعور الذي يقود ذلك العمل بصورته الفنية.

ز- والشعر يعود إلى الطبع ، والتعبير الفني الصادق لقضية الإنسان الكبرى، والمحاولة - من خلال عناصر الصورة المختلفة - الوصول إلى غاية الوجود من خلال الذات التي ترتبط بالعالم الخارجي ، والتي تحمل التغيير والتأثير الذي ينقلنا إلى عوالم من السحر والجمال والفائدة، الذي يبثه الشاعر حولنا، وفي أعماقنا ، ويضفي عليه من خياله الخلاق الذي ينتصر للحق والخير والجمال ، ويقف في وجه القهر والاستعباد، وفق نسق جمالي يعتمد على الصورة الفنية، التي تدل على مفردات العمل الشعري، ومكوناته الجمالية .

تأتي الصورة الفنية لتقييم التواصل بين عناصر العمل الفني الذي يرتبط وفق وشائج تتلاحم فيما بينها ، لتشكل القصيدة التي تحملها اللغة الشعرية التي ولدت في أحضان التجربة الشعورية ، وامتدت إلى أنفسنا عبر الموسيقى التي ولدت وفقاً لرؤيا الشاعر وروحه التي اندغمت في القصيدة ، وخرجت إلى النور دفعة واحدة؛ لتعطي ذلك الوجه الجمالي الذي تتفوق فيه كعمل فني مترابط ظهرت فيه ألوان نفس الشاعر المتوترة في انتقالها بين الألوان الزاهية التي تمثل المطامح ، وبين الألوان القاتمة التي تقف في وجه الفرح ، والشاعر ينهج بين الحالين؛ ليعبر عن عالم حولنا ولكن برؤيا خاصة به داعياً رغم كل دوال الزوال في شعره إلى أن ينهض الإنسان كالتبيعة داعياً من خلالها إلى التمرد ، عبر رؤى صوفية محاولاً أن يصل بين أطراف الوجود باحثاً عن الحياة ،

وتفرض الصور نفسها وهي تسري بعذوبة لتمس شغاف القلوب وتبهنا برموزها وموسيقاها التي تحملنا إلى عوالم أنتجها خيال المبدع وفق تصوراته الجديدة للغة وللموسيقى وللفن ، وفي الحقيقة لا يمكن فصل عناصر القصيدة الشعرية لأن في ذلك تقطيع لعرى التواصل بين عناصرها المختلفة ، وتقطيع لأواصر الصورة الفنية التي تتضافر مع بعضها لتخلق التفوق في القصيدة ، ولكن لا بد من فصل عناصرها بغرض الدراسة والتعرف على مكونات كل عنصر. وهذا ما سأتناوله إن شاء الله في فصل لاحق .

## ٤ - المبحث الثالث :

### اللغة الشعرية :

في البدء كانت الكلمة ، وكان الوجود ، ومع البدء جاءت النعم ، وكانت الوعود ، وبالكلمة كانت الرحمة ، وبالكلمة ابتسمت الأرض ، وبكت السماء ، وبالكلمة أطاعت الأرض فابتلعت الماء ، وسمعت السماء فأذعنت لأمر بارئها ، وبالكلمة استجاب كل شيء لأمر الله ((إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون))<sup>١</sup> الكلمة هي الأم الأولى للحياة وللتطور على حد سواء ، فحملت على جناحيها فيض الروح ورسالات السماء ، وكانت صورة لنا أبدياً يتجدد بفيض من نفوس توافقة للحياة فتبدو فتية تولد من جديد ، وقد تحدث عبد القاهر الجرجاني عن فضل اللفظ على المعنى وكيف يختلف شأن المعنى باختلاف اللفظ المعبر عنه حيث قال ((ليس المفهوم من أحد الكلامين المفهوم من الآخر))<sup>٢</sup> ، وبذلك يظهر دور الشاعر في تخير اللفظ الملائم للمعنى . ولغة الشعر تختلف عن لغة العلم أو لغة النثر حيث يسعى العالم إلى استخدام اللغة بشكل جامد ومحدد في كل الأوقات ، أما الشاعر فيبني لغته الخاصة به خلال عملية الإبداع لتتجاوز الكلمة مدلولاتها الحرفية ولتحمل ظلالاً وإيحاءات خاصة بتجربته و من خلال علاقات الكلمات مع بعضها تأتي الصورة وليدة الانفعال بل تتحول اللغة إلى صورة وكأن اللغة تنشأ من جديد.<sup>٣</sup>

ومع ظهور المدرسة الرومانسية برز الاهتمام باللغة ((ولقد كانت فضائل الرومانسية الأولى أنها فجرت اللفظة التي كانت شبه علمية ومتحجرة في الشعر الكلاسيكي وجعلتها لفظة نفسية بعد أن كانت لفظة حسية وعقلية))<sup>٤</sup> إذن اللغة تتجدد، وتحمل الحياة بما فيها من فرح وحزن وألم وعلم وفكر وفلسفة وأخلاق ، وللشعر لغته الخاصة التي تتميز عن لغة العلم ولغة الفلسفة وهي ((من حيث محتواها الحسي، الذي يجعلها مثيرات حسية))<sup>٥</sup> ، فاللغة وعاء يتجدد عن طريق الخيال؛ و من فيضه يتجدد زمان اللغة، وكأنها تولد من جديد حيث ((تكتسب (الطبيعة اللفظية)

<sup>١</sup> - سورة يس الآية ٨٢.

<sup>٢</sup> - عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ، ط٢ ، مكتبة الخانجي القاهرة ، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م ص ٢٦١ .

<sup>٣</sup> - Empson , W . ((Seven types of Amleignity )) , Lon . ١٩٥٩ . Pp ١٢-٩٩ .

<sup>٤</sup> - إيليا الحاوي : الرومانسية في الشعر الغربي والعربي ، ط٢ ، دار الثقافة بيروت - لبنان ١٩٨٣ م ، ص ٢٣٨ .

<sup>٥</sup> - د - جابر عصفور : مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي ط٢ ، دار التنوير للطباعة والنشر - بيروت ١٩٨٢ م ، ص ٢١٥ .



الملموسة ، الخاصة بالصورة، أهمية استثنائية ، هذه الطبيعة التي تكون فيها اللفظة \_  
المادة والشكل الفني بمضمونه في آن واحد))<sup>١</sup>. إذا الألفاظ تلعب دورا بارزا في تكوين  
الصورة الفنية في القصيدة التي تركز على اللغة ، ولا بد للشاعر من مقدرة يتفوق فيها  
على سواه في استخدامها، وأن يحقق التآلف والانسجام فيما بينها متكنا على خيال  
خصب ، ((فالمهم مدى إحساسه بطاقتها على تعديل بعضها بعضا وعلى تجميع تأثيراتها  
المنفصلة واتخاذها في موقعها المناسب))<sup>٢</sup> ومن فيض النفس الشاعرة تتآلف الألفاظ  
فيما بينها لتخلق انسجاما يخاطب الروح ، فتنساب بعدوية ، لتفيض علينا مزايا جديدة  
ومدهشة من التفاعل والراحة والبهجة والطمأنينة، لا تتوقف أبدا فباللغة | الكلمة |  
استطاع الإنسان فك أسرار الكون ، والدخول إلى أغوار الحياة ، وعبر عن متطلبات  
الروح والجسد وثنائية الوجود. ((والكلمات لا تحمل معانيها فحسب ، بل تستثير  
معاني الألفاظ الأخرى التي ترتبط بها من حيث الصوت أو من حيث المعنى أو من حيث  
الاشتقاق ، بل ربما الألفاظ المضادة))<sup>٣</sup> وهنا تظهر عبقرية الشاعر وتفوقه في استخدام  
الكلمة حيث يعطيها وفق السياق الجديد كثيرا من الإيحاءات والدلالات التي لا تتوقف  
عند زمان محدد ، (( وإنما تصبح الكلمة شاعرة حين توفق في التعبير عن إحساس  
الشاعر ، وتلائم السياق وتتفاعل مع غيرها من الألفاظ))<sup>٤</sup>، و تعبر عن متطلبات الروح  
والجسد ، ويث فيها الحياة ، ويعتمد على الخيال في تحريك دلالات الألفاظ ليصل إلى  
(( الصورة التي تجمع بين الجدة والغريب من الشعور ))<sup>٥</sup>.

وتوصل شاعرنا إلى لغة أكثر طواعية سمحت له بالتعبير عن تجربته الشعرية،  
وعن أسرار الحياة ، وقد استمد روح الأساطير الأولى ، وصارت الكلمة رمزا ،  
والرمز تظهر قوته بشكل أساسي من خلال السياق الذي يرد فيه وهنا تظهر فحولة  
الشاعر، وقد تناول المتصوفون مشكلة اللغة التي وقفت دون بلوغ الغايات بوضعها

١- عدد من الباحثين السوفيت: نظرية الأدب ، ترجمة الدكتور ، جميل نصيف التكريتي ، وزارة الثقافة والإعلام في الجمهورية العراقية ١٩٨٠ ، ص ٢١٢ .

٢- نعيم الباقى : تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث ، ص ١٣٨

٣- رنبيه وليك ، أوستن و أرلن : نظرية الأدب ، تعريب الدكتور عادل سلامة ، أستاذ الأدب الإنجليزي، جامعة عين شمس ، دار المريخ الرياض ١٩٩١ ، ص ٢٣٩ .

٤- د- الطاهر أحمد مكي: الشعر العربي المعاصر روائعه ومدخل لقراءته، ط١ ، دار المعارف - القاهرة ١٩٨٠ م، ص ٧٧

٥- شكري محمد عياد ، انكسار النموذجين الرومنسي والواقعي في الشعر: مجلة عالم الفكر ، المجلد التاسع عشر ، وزارة الإعلام في الكويت ، العدد الثالث ، أكتوبر، نوفمبر ، ديسمبر ١٩٨٨ م، ص ٧٣ .

القائم ، فبثوا فيها حياة جديدة جعلتها أكثر طواعية للتعبير عن أفكارهم المتوثبة ، وأشواقهم العلوية ، والمتصوفة استمروا في البحث عن حل لهذه المشكلة فوجدوا الحل إعطاء الحرف إمكانات جديدة ((الصوفية دلوا بالحرف المفرد على المعنى المركب ))<sup>١</sup> ، وراحوا يبحثون عن لغة تستطيع نقل أشواقهم الروحية وشطحاتهم الغامضة ومكاشفاتهم ، فنقلوا اللفظ الحسي إلى المعنى الاصطلاحي ، وجعلوه رمزا علويا ((وأكثر هذه الصور مأخوذة من مجال حب الإنسان للإنسان ومن ملذات الحياة الدنيا وإن كان مرادهم من ذلك يتجاوز ذلك كله ))<sup>٢</sup> . واستمرت ومضات الإبداع التي لن تتوقف مادامت الحياة على وجه الأرض . ولا نريد أن نقف عند القواعد والأسس بقدر ما نقف عند دور اللغة والألفاظ الرومانسية التي بدأت تأخذ دورها في القصيدة ، وتحمل دلالات وإيحاءات تناسب التجربة الشعرية ، وللغة دور بارز في تكوين الصورة لذلك ((قد تكون الصورة الشعرية ذات أبعاد واسعة ، وتعتمد على حشد من الألفاظ والعبارات))<sup>٣</sup> ، فالألفاظ تكون الصورة وذلك يعتمد على سعة خيال الشاعر ، وعلى ترابط الألفاظ ودورها في تدعيم الصورة .

وتحدث الشابي عن دور الخيال في منح التجدد والحياة للغة وذلك ((لأن اللغة مهما بلغت من القوة والحياة فلا ولن تستطيع أن تنهض — من دون الخيال — بهذا العبء الكبير الذي يرهقها به الإنسان ...))<sup>٤</sup>

وتأتي الصورة محمولة على جناح الألفاظ التي تحمل الأسي الشفيف والأحلام والألوان والأضواء ، ولغة الأدب لها قيمتها التعبيرية ، فهي لغة الانفعال والعواطف ، ولكن اللفظ الذي أهكاه التداول يحتاج لمن يبيت فيه الحياة ، ((والأديب الموهوب هو الذي يرد عليه حياته فيجعله يشع صورة وظلا ))<sup>٥</sup> ، وقد تتحول الكلمة إلى رمز ، كما تحمل قيمتها من خلال موسيقاها، وإيحاءاتها الممتدة .

١- عبد الله العساف: اللوحة التشكيلية وأثرها في الصورة الفنية ، مجلة الوحدة ، الشعر العربي ، المجلس القومي للثقافة العربية، السنة السابعة ، العدد ٨٢- ٨٣ ، يوليو، أغسطس ١٩٩١، ص١٣٣ .

٢- د- عبد الكريم اليافي : دراسات فنية في الأدب العربي، ط١، مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٣م، ص٢٦١ .

٣- د - الطاهر أحمد مكي: الشعر العربي المعاصر روائعه ومدخل لقراءته، ص٨٦ .

٤- أبو القاسم الشابي: الخيال الشعري عند العرب ، ص٦١ .

٥- سيد قطب :مرجع سابق ، ص٣٩ .

واللغة الشعرية عند الشاعر، تتأثر بشخصيته وطموحاته وموقفه من الحياة والمجتمع ومظالم المستعمر والاستغلال ، وظروف الشاعر النفسية والصحية ، وطموحه ، وتخرج الألفاظ من ذات الشاعر لتعبر عن وجدانه وأفكاره ، وتأتي صورة الألفاظ مصبوغة بحالته النفسية وتوتراته لذلك (( الشاعر يستعمل اللغة استعمالاً انفعالياً))<sup>١</sup> مما يجعل الصورة، تطمح لتحقيق التعبير عن متطلبات الروح وحاجات الجسد ، وجاءت الصورة متكئة على الألفاظ الموحية حيناً بدلالاتها الرومانسية و بما فيها من ظلال وأبعاد مبهمة وعفوية. وتفاوتت الصور من خلال ذلك عند الشاعر وفقاً لعلاقات الألفاظ و تركيب العبارة ،((الكلمة في القصيدة تتخذ معناها ودلالاتها من السياق ، والموضوع ، وترتيبها ضمن الإيقاعات الصوتية في الجملة))<sup>٢</sup> ، ويضيف إلى الألفاظ أحياناً أخرى طاقة إضافية ، من خلال بعض ضروب البلاغة والبيان و التشخيص الذي له دور بارز في التعبير عن تجربته الشعرية ، وهذا ما سأحاول تناوله - إن شاء الله- من خلال دور الألفاظ في تكوين الصورة الفنية .

### أولاً: ألفاظ تقليدية:

بنى الشاعر أغلب قصائده التي كتبها قبل عام ألف وتسعمئة وسبعة وعشرين ، على ما جاء في عمود الشعر من جزالة اللفظ وقوته ،ومتانة السبك ، والمحافظة على وحدة القافية ،وبعد عن الانفعالات والعواطف، والاعتماد على الصورة الحسية ، والوقوف عند حدود الصورة البلاغية في التراث ، ومنها قوله :<sup>٣</sup>

ضعفُ العزيمةِ لحدِّ ، في سكينته      تقضي الحياةُ ، بناه اليأسُ والوجلُّ  
وفي العزيمةِ قوأتُ ، مسخرةً      يخرُّ دون مداها الشامخ الجبلُّ!  
والناسُ شخصان: ذا يسعى به قدمٌ      من القنوطِ، وذا يسعى به الأملُّ

ألفاظ تأخذ بمن يسمعها إلى عصر المتنبى ، حيث الألفاظ التي تنحدر من ذلك القاموس الذي أعجب به الرواد من أتباع المدرسة الاتباعية ، الذين هملوا من معين التراث. ونظم أبو القاسم على منوال ما جاء من نماذج تقليدية ليدل بذلك على تمكنه من

١- ويليام إك. ويمزات: النقد الأدبي، ج٤ ، ترجمة د حسام الخطيب ، محيي الدين صبحي ، ب، ط ، جامعة دمشق ١٩٧٦م ص٨٨.

٢- د- بشرى موسى : الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث ، ط١ ، المركز الثقافي العربي ١٩٩٤م. ص١٣٨.

٣- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص٣٨ .

منافسة المحيطين به بل والتفوق عليهم. ونجد نماذج مشابهة في ديوانه منها : غرفة من يم ، سر النهوض ، و السعادة ، وكهرباء الغرام، والفتنة الساحرة ،أيها الحب ، وإياك ، وتونس الجميلة وسواها ..

ويبدو أن الشاعر وجد في نفسه التمكن من التقليد والتفوق فيه، وهما هو يقف عند مظهر المرأة الخارجي في ( قصيدة الفتنة الساحرة) ومما جاء فيها قوله:<sup>١</sup>

قلبي تردى من على صهوات خيـ	ل الهوى ، فغدا أسير فتاة
معطار، غاسقة الفروع ، عليلة الأ	جفانٍ ساحرة بعين مهابة
ترنو ، فتغزو كل قلب ثابت	بشفار أشفار ، وحد قناة
ماء الحياة بخدها متموج	كتموج الأنوار بالمشكاة
مسكية الأنفاس وهنا ، بضرة الأَطراف ،	آنسة بقلب صفاة

نلاحظ نفس القدامى في الوزن والقافية والصور الحسية التي تفتقد الوجدان والحركة والانفعال ، ويتبع بها القدامى في امتلاك ناصية الكلمة والوزن والصورة البلاغية والوزن العروضي ، فالشاعر يدلل بأمثال هذه القصيدة على تمكنه من ناصية القوافي والوقوف في وجه من يستنكر شاعريته ((والحاصل أن الشابي كان في هذا الطور المبكر متابعاً لشعراء التقليد وشعراء الإحياء))<sup>٢</sup> وسرعان ما اتخذ سبيلاً جديدة لقصائده التي أرادها بلغة حية تعبر عن التجربة بمفهوم مغاير لما جاء في أشعار العرب القدامى .

## ثانياً : الألفاظ الجديدة:

من يدخل إلى عالم اللغة عند الشابي ير انتقال اللغة الشعرية في الديوان من مرحلة ظهرت فيها الألفاظ القريبة من البيئة السائدة آنئذ للغة الشعر ، حيث كان التراث النموذج الأعلى ، وهذا بدا جلياً في قصائد الشابي التي كتبها بين ((سنتي ١٩٢٣ و ١٩٢٦\م))<sup>٣</sup>. ولكن سرعان ما أفلت من هذه العقول ليخرج إلى دائرة جديدة جاءت عبر الدواوين والكتب المترجمة عن المدارس الغربية ، وما كتب في المشرق

١- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة، ص ٢٠

٢- دورة ، أبو القاسم الشابي ، ص ٣٣ .

٣- المرجع السابق: ص ٣٣ .

والمهجر ، ولقد اطلع على الديوان والغربال، والتفت إلى كنوز الماضي وتزود منها ، فاتضحت معالم الطريق أمامه ، واتخذ النهج الجديد ديدنا له ، وبدأ يخلق ويبدع ، ويحاول أن يرى الحياة والنور، رغم الضباب والفوضى والعذاب ، ولم يتخلص من التراث بل أخذ ينشد متكئا عليه ليبرز روح الوافد الجديد ، واستطاع الشاعر بعبقريته أن يتجاوز قصور اللغة والوصول إلى الطاقة التوليدية والقدرة الفائقة الموجودة في اللغة ليواجه همومه الإبداعية<sup>١</sup> (( وأما قدرتها الفائقة فتتضح في طاقتها التوليدية التي تجعل منها مصدرا يتوفر على مادة و معان وصور وخيالات ومخزون ثقافي ورصيد شعوري ومعرفي ومعان تتجاوز في حجمها وقيمتها حاجات الشاعر ))<sup>٢</sup> ، ويهمننا في هذا المقام تلك اللغة التي أخذت تتولد صورها في رحم أمها جديدة، ولتكتسي مزامير وأنغاما ، وتتواءم فيها الأصوات والألوان والروائح ؛ إنما اللغة الشعرية ظهرت أنوثتها وعذوبتها ، بفضل فحولة الشاعر الذي استطاع أن يعطيها طعما متغيرا ، ونسقا جديدا ، بعد أن تسلم مفاتيح الدخول إلى عالمها الرحب ، وأخذ يزرع بذور الحياة في تلك الأرض المعطاء فتزهر ألوانا رائعة ومدهشة ، وتكتسي الأنوار حللا جديدة ، ويأتي الحزن والألم والفرح والحب في أنساق مذهشة، وبفضل عبقرية الشاعر ، تتفوق لغته في نسقها الجديد على اللغة الأم، وتنقلنا إلى عوالم مليئة بالصور الشعرية ، وقد تزدحم لتعبر عن توتر الشاعر وقلقه، فتبدو الصورة قلقية وغير واضحة حيناً ، تتخللها بعض الألفاظ المتماثلة و المترادفة التي تأتي حشواً؛ و لا تحقق توسعا أو انعطافا أو إضافة جديدة للصورة ، والشاعر يتبع جيشان النفس ؛ فيركن إلى النغم أو الإيحاء أو المعنى ، و لا يقف عند اللفظة أو العبارة ، وربما يعود ذلك إلى ثورة الانفعال والتوتر، حيث كانت المعاناة هي أهم من الصيغ اللغوية التي تأتي طواعية أحيانا أخرى ؛ لتعبر عما يريده ، واللغة التي ولدت ؛ لتحمل المشاعر والأفكار المصبوغة بما في نفس الشاعر و توتراته ، داعيا إلى التجدد كما تتجدد الطبيعة ، عبر لغة جاءت من عالم الشاعر الفطري المدهش ، وتصير الكلمات صورا وجدانية ؛توضح توتر الشاعر

١- المرجع السابق : ص ٣٩-٤٤

٢- دورة : أبو القاسم الشابي ، ص ٥٩٢ .

وقلقه ، لما بين الأمانى والواقع من بون شاسع ، وتبدو هادئة مطمئنة حيناً ، وثائرة نائمة أحياناً أخرى ، تتفاوت فيها مظاهر الأسى والفرح ومظاهر الولادة والموت ، في رحاب الطبيعة كونها الملجأ والأم التي تحتضن صغيرها ، وتغمره بلذة لا نظير لها ، من خلال صور الطبيعة التي جعلها الشاعر تحمل مشاعره وآلامه وأفراحه وفق تصورات جديدة وصور طريفة تناسب المقام الجديد للشعر ، الذي يعبر فيه الشاعر عن مشاعره التي نبتت في الطبيعة التي عبرت عن مشاعره ورؤاه وأحزانه وطموحاته فبدت واقعية ، و تنطق بما في نفس الشاعر . وبذلك يوفق الشاعر إلى لغة مميزة ، وبالتالي (( يصبح الشعر ، بالضرورة خطاباً متفرداً ، لأنه يستدعي اللغة المتداولة التي طمس الاستعمال قدراتها ويعود بها إلى أصولها الكبرى فتغدو محض إشارة إلى الوشائج القائمة بين الواقعي والرمزي والخيالي))<sup>١</sup> ، واستطاعت لغة الشعر أن تحمل الإيحاءات والدلالات والظلال المعبرة عن وجدان الشاعر وطموحه إلى الأجل رغم آلام المرض ، ومحاصرة الخيط الجاهل المظلم ، وظلم المستعمر على حد سواء .

وكانت ألفاظه — بما تحمل من موسيقى تدل على المعنى ، وغنى بالظلال والمعاني التي تنقل توتر الحياة وفطرتها ؛ يتفاعل فيها الذاتي الداخلة مع الكوني الخارج — رحماً خصبة لصورة فنية تعانق طموح الشاعر في إنشاده لحن الحياة الذي أبدعه في قصائد ديوان أغاني الحياة .

سأتناول — إن شاء الله — بعض الألفاظ التي استخدمها شاعرنا وظهرت عند شعراء المذهب الرومانسي عموماً ، سأقف أولاً عند الألفاظ التي عبر الشاعر عنها وخصها بقصيدة أو أكثر ، أو جعلها عنواناً لقصيدة ، وأبرز صور قما وإيحاءاتها ودلالاتها من خلالها وكان لها دور بارز في الصورة الفنية .

## ١- لفظه المساء :

توثقت الوشائج بين الشاعر والطبيعة ، فأسعفته ، وحملت مشاعره ، فخلع عليها وجدانه وهكذا (( أصبحت تقدم لا حسب طبيعة الشيء بل حسب إحساس الفنان

١- حمادي صمود : دراسات في الشعرية ، الشابي نموذجاً ، ب ط ، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات ، (بيت الحكمة) قرطاج - تونس ١٩٨٨م ، ص ١٥١ .

به))<sup>١</sup>، تغلغل الشاعر وسط الزمان ، وتنقل بين فترات اليوم بأوقاته من الفجر إلى الغروب ، وبين فصول السنة من الربيع إلى الخريف ليعبر من خلال ذلك كله عن أحواله الوجدانية ولواعجه النفسية ، وليخضعها لفيض مشاعره تعبيراً عن وحدة الوجود في الكون .

ونقف عند لفظة المساء ، والمساء يختلف عن الليل ، في مقدرته على رصد الانتقال من حال إلى حال ، ومن الحركة إلى السكون ، ويثير في النفس لواعج وأشواق ، تخرج من الأعماق؛ لتستمد من أجواء المساء ما يدل عليها من ألفاظ؛ يستدعيها وجدان الشاعر ، (( وتصبح الكلمة (محورا) لكثير من الصور القائمة على ألفاظ يستدعيها هذا الوجود الجديد للمساء بعضها مادي ذو دلالة نفسية كالشفق والنسيم والأطيار والأزهار والصمت والضجة والسكون والحركة والظلام والنور ، وبعضها نفسي خالص كالأشجان والأشواق والأحزان والأفراح ))<sup>٢</sup> لقد حملت الألفاظ دلالة فنية جديدة؛ انبثقت من وجدان الشاعر الذي بث فيها حياة جديدة مختلفة ؛ لتجاوز بذلك ما تدل عليه في الأصل .

جاءت لفظة المساء عنواناً لقصيدة تحدثت عن المساء لتعبر عما فيه من دلالات وصور الفرح والحزن والحركة والسكون والظلام والنور ، حملها المعنى الجديد للمساء ، إنها قصيدة (المساء الحزين) :<sup>٣</sup>

أظَلَّ الوجودَ المساءُ الحزين	وفي كَفِّه معزف لا يُبين
وفي ثغره بسمات الشجون	وفي طرفه حسرات السنين
وفي صدره لوعة لا تفرُّ	وفي قلبه صعقات المنون
وقبَّله قُبلاً صامتات	كما يلثم الموت ورد الغصون
وأفضى إليه بوحى النجوم	وسر الظلام ، ولحن السكون
وأوحى إليه مزاميره	فغنت بها في الظلام الحزون
وعلمه كيف تأسى النفوس	ويقضي يؤوسا لديها الحنين

١- نعيم البياضي : تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث ، ص ١١٠

٢- د- عبد القادر القط : مرجع سابق ، ص ٣٥٠

٣- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ١٠١

وأسمعه صرخات القلوب  
فالشاعر يجعل للمساء صفة الحزن في البيت الأول ، ويعدد صور المساء الحزين  
الكئيب الذي ألقى بتلك الظلال الحزينة على الوجود ، ونقل أثره الحزين من خلال  
التشخيص والتجسيم ليبيها في أنحاء الوجود . ويتابع في المقطع التالي عبر ألفاظ تنساب  
منها الأفراح مختلطة بالأسى والأحزان :

فأغفى على صدره المطمئن  
وفي روحه حلم مستكين  
ويدل هذا البيت على السكون والطمأنينة ، ويتابع صورة المساء قائلاً: <sup>١</sup>  
قويّ غلوبٌ ، كسحر الجفون  
شجيّ ، لعوبٌ كزهر حزين  
ضحوكٌ وقد بللته الدموع  
طروبٌ وقد ظلّته الشجون  
تعانقه سكرات الهوى  
وتحضّنه شهقات الأين  
يشابهُ روحَ الشبابِ الجميل  
إذا ما تألّق بين الجفون  
أعاد لِنفسي خيالاً جميلاً  
لقد حجبتَه صروف السنين!  
فطافت بها هجسات الأسي  
وعادت لها خطوات الجنون

صور ذات دلالة نفسية ، تتم عن الحزن الشفيف الذي يلف الوجود .

ونشاهد منظر المساء ، في حركة الكائنات وهي تعود إلى مأواها لتنام وتستريح : <sup>٢</sup>  
فنامت على العشب تلك الزهورُ  
لمرأى المساء الحزين الرهيب  
وآبت طيورُ الفضاء الجميل  
لأوكارها فرحاتِ القلوب  
وولّى رعاةَ السوامِ إلى الـ  
حيّ يزجونها في صُمات الغروب  
وهم ينشدون أهازيجهم  
بصوتٍ بهيجٍ فروحِ طروب  
ويستمنحون مزاميرهم  
فتمنحهم كل لحنٍ عجيب  
تطير به نسماةُ الغروب  
إلى الشفقِ المستطير الخلوب

تنقلنا الصور السابقة لتضعنا في جو من الحركة التي ترافق وقت الغروب وما فيه  
من أحياء وجماد ، عبر ألفاظ أقرب إلى النفس وإلى الهمس أيضاً، وألفاظ أخرى نادرا

١- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ١٠٢  
٢- المصدر السابق نفسه ، ص ١٠٢



ما كنا نسمعها؛ تحمل كثيرا من الدلالات والظلال والألوان والإيحاء بحالات نفسية، تتداخل فيها الأفراح والأحزان، وتتصافر مع بعضها لتشحن الصورة حياة وجدانية غير محددة الدلالة، يستدعيها عالم المساء الجديد. لقد استطاع الشاعر في هذه القصيدة أن ينقلنا إلى جو المساء ودلالته عند الرومانسيين من خلال ألفاظ موحية، ودفق من الصور التي تدل على الحزن الشفيف تارة وعلى الصورة المادية التي تحاول تصوير ما في النفس من شجون وأفراح خضبتها الدموع، وأخرى تصور عالم الهدوء والطمأنينة، وصور الحركة المرافقة لوقت الغروب، إنها الصورة الجديدة للمساء؛ بتجمع المتناقضات الوجدانية المهمة التي ينقلها لنا الشاعر وفق تصورات النابعة من وجدانه والمتوحدة في قلب الطبيعة القريبة من أنفسنا، والمثيرة لوجداننا وعواطفنا وهذا يمنح الصورة الفنية نغما وقوة تعبيرية.

ومن الألفاظ النادرة الاستعمال والتي ساقها الشاعر ليصور من خلالها المساء في هذه القصيدة، - غلوب، هجسات، صمات، خلوب وغيرها.. ونجد أمثلة كثيرة منها في شعره، كما نجد المترادفات الكثيرة للمعنى الواحد كقوله:

بهبج، فروح، طروب - فسيح، رحيب.

والقصائد التي تدل على ذلك كثيرة ومنها: في الظلام، الزنبقة الزاوية، صفحة من كتاب الدموع، الحب، الغاب، من أغاني الرعاة، الجنة الضائعة، مناجاة عصفور، وغيرها...

٢- الليل:

تحدث الشعراء في الأغلب عن الليل فوصفوا طوله ونجومه، وتحدث بعضهم عن متعه في الليل، ووجدوا آخرون موطن الهموم والظلام، ومن ذلك ما نجده في قول امرئ القيس<sup>١</sup>:

وليل كموج البحر أرخى سدوله  
عليّ بأنواع الهموم ليبتلي

وقد تغير الليل في نظر الشعراء الرومانسيين، ولم يعد الليل الطويل، بل أخذ ينبض بالحياة، ويتفاعل مع الطبيعة، وصار رمزاً لتحول الزمان واختلافه، وفقاً لحالة الشاعر

١- امرئ القيس: حياته - شعره، إصدار دار كرم بدمشق بلا تاريخ ص ١٠٠

النفسية . و استطاعت الصورة الفنية التعبير عن الحياة الكالحة التي عاشها الشاعر وما فيها من تناقضات ذاتية كانت أو خارجية، بين المادة والروح ، بين الأمر الواقع القائم في النفس والطموح المنشود الذي يلد في رحم الظلام نورا وأملا .

وكثر صورة الظلام وصورة الليل ، تلك الصورة التي توحى بالتشاؤم والأسى والحزن، ويرتقي الليل عندما يستحضره الشاعر، ويدب فيه الحياة والانفعالات المختلفة، وتبدو صورة الليل تعبر عن الموقف الحزين الذي يعاني منه ، فيجد فيه الراحة والطمأنينة ، وكثر صور الموافقة لتغير حالاته النفسية ومعاناته، حيث ولد نور الأمل في نفسه وسط الظلام، فأجرى هذا الأمر على الليل ، ووجد في سواده نورا.

ونجد في ديوان الشاعر غير قصيدة خصها بالحديث عن الليل الذي كثر وروده في قصائد الديوان ، وسنقف أولا عند قصيدة (أيها الليل )، حيث تنهض صورته مناديا؛ ليرقى به الشاعر كصديق يلجأ إليه يداوي له الجراح، ويترك العنان للخيال راجيا لتأملاته؛ أن تجد في قلب الليل حلا لما يعاينيه البشر ، فالليل موطن الموت والولادة في آن واحدا وما جاء في قصيدة أيها الليل قوله:

أيها الليل ! يا أبا البؤس والهوى      ل يا هيكل الحياة الرهيب  
فيك تجثو عرائس الأمل العذ      ب، تُصلي بصوتها المحبوس  
فيثير النشيدُ ذكرى حياة      حجبته غيوم دهر كئيب  
وترف الشجون من حول قلبي      بسكون ، و هيبة ، وقطوب  
أنت يا ليل! ذرة ، سعدت للسكون ، من موطن الجحيم الغضوب  
أيها الليل! أنت نغم شجيُّ      في شفاه الدهور ، بين النجيب !  
إن أنشودة السكون التي ترتج      في صدرك الرّكود ، الرحيب  
تُسمع النفس ، في هدوء الأمان      رنة الحق ، و الجمال الخلوب  
فتصوغ القلوبُ منها أغاريدا      تهر الحياة هزَّ الخطوب  
تتلوى الحياة من ألم البؤ      س ، فتبكي بلوعة ونجيب  
وعلى مسمعك تنهلُ نوحًا      وعويلا مرا ، شجونُ القلوب

١أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ٧٢

فأرى برقاً شفيفاً، من الأوجاع ، يلقي عليك شجو الكئيب  
وأرى في السكون أجنحة الجبار محضلة بدمع صيب

إن الصورة الفنية ابنة اللفظة والعبارة في السياق ، وقد ولدت في أحضان الخيال الذي افترش الطبيعة ، وتطالعتنا الشاعرية في الألفاظ التي حملت لواعج النفس لتعبر عن تجربة الشاعر ، فاللفظة رومانسية حتى الأعماق ومنها: البؤس ، الهول ، هيكل الحياة ، عرائس ، الأمل العذب ، كئيب ، السكون ، الخطوب ، لوعة ، نحيب ، نوح ، فالألفاظ تحمل معاني الألم وتدنو من الإيقاعات الموسيقية لللفظة . وجاءت الصورة الفنية مستمدة من أعماق الشاعر ، تحمل الظلال النفسية الممتدة ، والشاعر يوحد بين الحياة والليل في صورته ، الليل هيكل الحياة ، وتبتعد الصورة صورة الليل خلف الواقع على جناح الخيال ، ومن يسمع أناشيد العرائس الجاثية ، إنه الليل ، ولكن الليل يتجاوز رمزه المعروف ليصير الحياة نفسها ، ولا قيمة للحياة وسط الاستلاب الإنساني الذي سيطر بوحشية على البراءة الإنسانية .

ونرى حشود النعوت التي تتزاحم؛ لتغني الصورة ، والألفاظ المترادفة ، ويظهر في جريه التناقض في الصورة ذاتها ، فالليل الشاهد على الحياة ، وهو نحيبها وجحيمها وهو طمأنينة الإنسان ، وصوت الحق ، وهو المستمع ، وهو المنفعل بما سمع ، فالليل كالحياة بأطياف الصورة التي جعلها له الشاعر ، بل غاص في أعماق الخيال ، وانتشرت في أطراف الصورة الأصوات والأضواء والألوان والحركة لتغني صورة الليل الجديدة التي بدت بشكل خاص عند الشابي ، وينتقل الليل ليصير الكل جزءاً والجزء كلاً في الصورة الجديدة ، فالليل أم والكون طفل ، وبذلك أنجز الخيال من شواطئه اللامتناهية في البحث عن دفء الحياة أطراف صورة الليل ويبدو ذلك في قول الشاعر :<sup>١</sup>

فلك الله ! من فؤاد رحيم      ولك الله ! من فؤاد كئيب  
يهجع الكون ، في طمأنينة العصفور ، طفلاً بصدرك الغريب  
وبأحضانك الرحيمة يستيقظ ، في نضرة الضحوك ، الطروب  
شادياً كالطيور بالأمل العذب      بـ ، جميلاً ، كبهجة الثوبوب

١- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ٧٣

يا ظلام الحياة! ياروعة الحـ ز ن! ويا معزف التعميس الغريب  
إن في قلبك الكئيب ، لمرتادا لأحلام كل قلب كئيب  
وبقيثارة السكينة في كفيــــــــــــــــك ، تنهل رنة المكروب  
فيك تنمو زنايق الحلم العذ ب، وتذوي لدى هيب الخطوب  
خلف أعماقك الكئيب تنسا ب ظلال الدهور ذات قطوب  
وبفوديك ، في ضفائرك السود ، تدب الأيام أي ديب

يحاول الشاعر بذلك التوصل إلى دلالات جديدة للألفاظ، وهذا ينسجم مع ما ظهر مع الرومانسية ((وقد حملت هذه الحركة — من الناحية الفنية — عبء التجديد والخروج من أسر الأنماط الشعرية القديمة المكررة على مر العصور ، وابتكار (صيغة) شعرية حديثة يمتزج فيها التراث بالعصرية وتكتسب فيها الألفاظ دلالات حديثة وقدرة جديدة على الإيحاء كانت قد فقدتها في الصيغ النمطية التقليدية وتقوم فيها الصور الشعرية على مفهوم فني حديث (1) وعند تتبع صورة الليل عند الشاعر، نجد الصور المتناقضة التي تدل في ذلك على شمولية الصورة ، وعلى رؤيا جديدة نابعة من أعماق الشاعر، حيث أجرى صور الحياة في الليل، فتجاوز بذلك إلى أبعاد تقترب من الصوفية التي تنتشر في أشعار الرومانسيين ، حيث يتجاوز لفظ الليل في صورته الجديدة ما جاء عند السابقين، ويتحول إلى مؤثر في الأشياء في الكون ، ويتابع قصيدته ليعبر عن أطراف جديدة للصورة، يمتزج فيها الشاعر بما يحمل من آلام وإشراقات نفسية. إن تحرير الخيال والروح، مكن الشابي من الرؤيا الممتدة خلف الأشياء غير المشاهدة ليرى فيها صوراً محسوسة ، فيرى زنايق الحلم النامية، ويرى ليل فودين ، وضمائر تدب فيها الأيام. الشاعر غاص في أعماق النفس، وطار محلقا في عالم الخيال، يحاول أن يرى العالم عبر الأسي والآلام النابتة داخل نفسه المحاطة بالأسي في الخارج المظلم، الناقمة على كلا الحالين .

والشاعر أفرد في الديوان قصيدة أخرى عن الليل بعنوان / في سكون الليل/، والليل عند الشاعر وبهذه الصورة بدا جديدا ومختلفا بالصور التي صارت إليه، إنه رمز

١ - د - عبد القادر القط : مرجع سابق ، ص ١٣

للتحول والحركة والحياة، وكأنه الزمن نفسه، بعد أن كان رمزاً للظلام والخوف والمتاعب والهموم والأحزان .

كما ورد ذكر الليل والظلام في صور ودلالات مشابهة في قصائد أخرى من الديوان  
٣- الخريف:

تأتي لفظة الخريف التي انتشرت عند أغلب الشعراء في هذه المرحلة لتكون رمزاً للحالات النفسية المتناقضة التي يعيشها الإنسان ، فالخريف (( يغدو رمزاً لكثير من المشاعر المتناقضة المتراوحة بين الأسى الشفيف ، والحنين إلى المجهول ))<sup>١</sup> وللرحيل والتغير من حال إلى حال ، كما إنه رمز لدنو الأجل ، وجفاف الحياة وقسوتها وبرودها ، وموت القيم ، والصراع على المادة ومغريات الحياة الزائلة ، فصورة الخريف تساهم في تكوين الصورة الفنية لأغلب هذه المعاني التي ظهرت في شعر أبي القاسم الشابي ، ونجد بعض هذه الدلالات للخريف في قصيدته - بقايا الخريف - فالشاعر يرى تناقض الحياة في المدينة وكثرة أحزان المظلومين والمقهورين فيها سبباً لأحزانه ، فيلجأ إلى الطبيعة، ويتخذ الخريف زمناً لما فيه من صور تعبر عن الحالة الشعورية التي يمر بها الشاعر:<sup>٢</sup>

وجاشت بنفسي دموع الحياة ، وعجّت بقلبي رياح الصروف  
لقلب الفقير الحطيم الكسير ، ودمع الأيامى السفوح الذريف  
تدفع صورة الأحزان والظلم الشاعر للرحيل عن المدينة إلى الطبيعة :

فسرتُ إلى حيث تأوي أغاني الربيع ، وتذوي أماني الخريف  
وحيث الفضا شاعرٌ ، حالمٌ يناجي السهول بوحي طريف  
ويلقي الشاعر ما في نفسه من أحزان في صورة الخريف:<sup>٣</sup>

وقد دثرتَه غيومُ المساء بظلِّ حزين ، ضريح ، شفيف  
وبين الغصون التي جرّدتها ليالي الخريف ، القويّ العسوف  
وقفتُ وحوّلي غديرٌ مواتٌ تمادتْ به غفواتُ الكهوف

١- عبد القادر القط : مرجع سابق ، ص ٣٥٤ .

٢- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ١٠٦ .

٣- المصدر السابق نفسه ، ص ١٠٦ .

قضت في حفايفه تلك الزهور ، فكفنه بالصقيع الخريف  
ويتابع الشاعر في قصيدته رسم حالته الحزينة ووحدته من خلال صورة الخريف  
وعناصره من رياح وأمطار وصقيع مخيف ، ويصل في النهاية إلى حقيقة الحياة الداوية  
الحزينة الزائلة والتي تجري مقاديرها بإرادة رب كريم<sup>١</sup> :

وقلت: (( هو الكونُ مهْدُ الجمال  
ولكن لكلِّ جمالٍ خريف !.. ))  
وأطرقتُ ، أصغي لهمس الأسي  
وقد غَشِيَ النفسَ همٌّ كثيف  
وغاصتُ ثُمالةٌ نور النهار  
وأرعى ظلامُ الوجودِ السجوف  
فالخريف رمز للحزن وبرودة العلاقات الإنسانية ، ولقرب الأجل ، إنه كالمساء بين  
الفصول ، يدل على الرحيل والتبدل ، ويحمل كثيرا من الدلالات والإيحاءات المضطربة ،  
لذلك فهو يناسب حالات القلق والتوتر والاضطراب ، والمشاعر المبهمة ، التي تسيطر  
على الشاعر .

#### ٤- لفظة شعر وشعور :

لقد أفرد الشاعر أكثر من قصيدة في ديوانه ، تتحدث عن الشعر ، ورافق حديثه  
عن الشعر في القصائد نفسها حديثه عن الشاعر ، وذلك بعد أن تحدث عن الخيال  
الشعري عند العرب في نشره ، وقد أفرد لذلك قصائد منها: شعري ، يا شعر ، قلت  
للشعر ، قلب الشاعر ، أيتها الحاملة بين العواصف ، أحلام الشاعر ، أغنية الشاعر .  
ولم يقتصر على ذكرهما في تلك القصائد ، بل تجاوز ذلك إلى قصائد أخرى في الديوان ،  
بين من خلالها موقفه من الشعر الذي توحد معه وجعله فوق الأمان .

ونقف عند أبيات من القصيدة الأولى ((شعري)) يعبر فيها عن رأيه في الشعر وعن دور  
الشعور في ذلك حيث يقول<sup>٢</sup> :

شعري نُفائةٌ صدري  
إن جاش فيه شعوري  
لولا ما انجاب عني  
غيمُ الحياة الخطير جر الخطير بالمخورة  
ولا وجدتُ اكتابي  
ولا وجدتُ سروري

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص ١٠٧ .  
٢- المصدر السابق نفسه ، ص ٢٦ .

به تراني حزيننا أبكي بدمع غزير

به تراني طروبا أجر زيل حبوري

قال قصيدته السابقة: بتاريخ ١٢\٦\١٩٢٥م أي في وقت مبكر من حياته الشعرية<sup>١</sup> فالشعر عالم الشاعر وحياته، فالشعر عنده حياة ومشاعر وأفراح وآمال وآلام والشعر له قدسيته فهو للخير والجمال.

ويبدأ قصيدته الثانية ((يا شعر)) التي ينادي بها الشعر مرة استحضارا لمكانته العالية ولدوره في الحياة، وينادي قلبه مرة أخرى وينقل مشاعره وأحلامه عبر هذه القصيدة التي يرى فيها الشعر أمل الحياة ودفاها وصحوتها، وفيه الرحمة من العذاب والراحة بعد التعب ١:

يا شعر أنتَ فم الشعورِ ، وصرخةُ الروح الكئيبُ

يا شعر أنتَ صدى نحيبِ القلبِ ، والصبِ الغريبِ

\* \* \*

يا شعر أنتَ مدامعُ علقَت بأهداب الحياة

يا شعر أنتَ دمٌ تفجّر من كلوم الكائنات

ويتابع الشاعر مناجاته بين قلبه وهمومه ومشاكل الحياة، والأمان التي تسرقها الكآبة التي تقف في وجه الفرح والسعادة، وينبتق الشعر مخلصا من مآسي الحياة:

يا شعر! أنت نحيبها لما هوت لسباتها

يا شعر أنت صداحها، في موتها وحياتها<sup>٢</sup>

فالشعر هو لغة الحياة وترجماتها وقلبيها، والشاعر آمن بدور الشعر ويختتم قصيدته معبرا عن ذلك في قوله ٢:

فيك انطوت نفسي، وفيك نفخت كل مشاعري

فاصدح على قمم الحياة بلوعي، يا طائري

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ص ٥٢.

٢- المصدر السابق نفسه، ص ٦٠.

لغة من التوحد، بين الشاعر وشعره، فالشعر مشاعر، عنده كالماء والهواء، بل لنقل إنه الحياة نفسها، ويتابع حديثه عن الشعر في قصيدة ( أغنية الشاعر ) وفيها يستحضر الشاعر الأسطورة اليونانية عن طريق "ربة الشعر" ويرى خلاصه من ذلك الوجود ومفاسده قائماً على الشعر ولنستمع إليه يقول:<sup>١</sup>

يا ربة الشعر والأحلام، غنّيني      فقد سئمت وُجُوم الكون من حين  
ويطمح للخلاص من عذاب ومفاسد العالم الدنيوي ومفاسد المجتمع ومظالم المستعمر  
عن طريق الشعر فبالشعر يتعد عن المآسي ليتعلق بالأمل والحياة :

يا ربة الشعر! إني بئسٌ، تعسٌ      عدمتُ ما أرتجي في العالم الدون  
لولالك في هذه الدنيا لما لمستُ      أوتارَ رُوحِي أصواتُ الأفانين  
وينتقل الشاعر إلى القصيدة الرابعة، ويعزز ما بدأه من انسجام وتوحد بينه وبين الشعر وذلك في قصيدة (قلت للشعر) التي جاء فيها:<sup>٢</sup>

أنت يا شعر فلذة من فؤادي      تنغني وقطعة من وجودي  
فيك ما في جوانحي من حنينٍ      أبدي إلى صميم الوجود  
فيك ما في خواطري من بكاء      فيك ما في عواطفي من نشيد  
فيك ما في مشاعري من وُجُومٍ      لا يُعني، ومن سرور عهد  
فيك ما في عوالي من نجوم      ضاحكات خلف الغمام الشرود  
فيك ما في طفولتي من سلامٍ      وابتسامٍ، وغبطةٍ، وسعود  
فيك ما في شيبتي من حنينٍ      وشجون و بهجة، وجمود

ويتابع الشاعر قصيدته ليعبر فيها عن صورة الشعر التي أفضت إلى ما في نفسه من مشاعر عبر عنها خياله الذي مزج ما في نفسه مع الطبيعة، فاجتمعت الأضداد في حنين أبدي إلى الطفولة التي تحمل رمز البراءة والحياة، ويتابع تلك اللفظة بما تحمله من إحاء، فالشاعر والشعر توأمان، يحملان ما في الوجود من آلام وأحلام، والشعر لفظة تستمر على صفحات الديوان، في صور شتى تصدر عن نبع واحد يحكي قصة

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ص ١٠٨  
٢- المصدر السابق نفسه، ص ١٢٧



الشاعر و الشعر ، ليوح من خالهما بأسراره إلى الأقرب إليه ، إليهما ، فيتحول  
البوح إلى نجوى في صورة من التوحد بين الجميع ، صورة لأغاني الحياة التي ولدت في  
رحم الشعور ، وهنا تكتمل الدورة، فالشعر ولد في رحم الشعور ،وهو نتاج الشاعر  
بل حياته وأنفاسه التي تتراى عبر الخيال في الوجود الذي خرج لتوه من نار التجربة  
للتشابك فيه أطراف الحياة.

ونجد لفظة الشعور التي كانت تحت عنوان (فكرة الفنان )، فهي تأكيد لدور الشعور  
في الفن، فالشعور الممتزج بالطبيعة أب حقيقي للشعر النابض بالحياة المتغلغل في أطراف  
الكون ، حيث يرى تفوق الشعور على الفكر ،ولا يخفى ما للشعور من دور في  
الصورة الفنية عند شاعرنا حيث يقول في أبيات مختارة من قصيدة (فكرة الفنان) <sup>1</sup> :

عش بالشعور ، وللشعور ، فإنما      دنيك كون عواطف وشعور  
شيدت على العطف العميق ، وإنها      لتجف لو شيدت على التفكير  
وتظل جامدة الجمال ، كئيبه      كاهيكل ، المتهدم ، المهجور  
لا الحبُّ يرقص فوقها متغنياً      للناس ، بين جداول وزهور  
متورّد الوجنات سكران الخطى      يهتز من مَرَح ، وفرط حبور

فالشعور محور الحياة كما يرى الشاعر في البيت الأول ،فالدعوة للحياة دعوة للشعور  
،لأن الكون قائم على المشاعر ،والحياة بلا مشاعر خربة هجرها روحها ويتابع قائلاً: <sup>2</sup>

كلا ولا الفنُّ الجميل بظاهر      في الكون تحت غمامة من نور  
متوشحاً بالسحر ،ينفخ نايه      مشبوب بين خمائل وغدير

فالفن لغة الشعور أيضا ،والحياة بما فيها من مسرات ومآس وآمال وسحر وأناشيد  
،والشاعر بعد الأبيات الثلاثة عشر الأولى يجدد الطلب ثانية بقوله: <sup>3</sup>

واجعل شعورك في الطبيعة قائداً      فهو الخبير بتيهها المسحور

ويقارن بين العقل والشعور ،ويبتصر للشعور ثم يأتي المقطع الثاني ويبدأ الدفقة الأخيرة  
من المشاعر :

١- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ١٨٤ .

٢- المصدر السابق ،ص١٨٤ .

٣- المصدر السابق ، ص١٨٥ .

وافتح فؤادك للوجود ، وخله  
للشج تنثره الزوابع ، للأسى  
ويخوض أحشاء الوجود ..،مغامرا  
حتى تعانقه الحياة ويرتوي  
فتعيش في الدنيا بقلب زاخر  
في نشوة صوفية ، قدسية  
لليمّ للأمواج ، للديجور  
للهور ،للآلام ، للمقدور  
في ليلها، المتهب ، المخدور  
من ثغرها المتأجج ، المسجور  
يقظ المشاعر ،حالم ،مسحور  
هي خير ما في العالم المنظور

ويستبد به التوتر فتأتي الألفاظ محتشدة لتحمل ظلال المعاني ، ويأتي العناق بين الشعور والحياة ، فيعيش الحياة التي يتفوق فيها ، وتكون النشوة التي تعمر القلب ؛ وتحمل الأماني ، وتأتي الصورة للشعر وللشعور بعد عناق في الفؤاد وإقصاء للعقل لتعبر الصور عن الدفء الممتد خلف الظلال المترامية الأطراف ، فالشعور طاقة الإبداع، ومكمن سر النجاح والتفوق ، والشعور ينطلق من الذات إلى الطبيعة بل من توحد الذات مع الطبيعة لمعرفة أسرار الوجود لينطلق عبر الخيال بعد ذلك إلى معانقة الوجود ، فيكتب له الاستمرار ، لأنه من وحي الحياة ومن مائها ، ويتدفق النور والأمل المجنح من أطراف الشعور ليعانق الحياة التي يدعو لها الشاعر ويكون بذلك قد حمل الشعر الدعوة، وأفضى بها دعوة للناس ؛ لتسمو في الأنفس، وتتفوق الأشواق عبر حامل الحياة الحقيقي الشعور .

## ٥- الغاب :

صارت الطبيعة في هذه المرحلة ملجأ للشاعر، بل توحد الشاعر مع الطبيعة ، وأسبغ عليها المشاعر والأحاسيس التي يشعر بها ، الطبيعة أم يفر إليها الشاعر ليلقى الدفء والحنان ، الطبيعة رمز الوفاء والصدق ، ولفظة الغاب انتشرت في أشعار الرواد ، الذين جعلوا الطبيعة الموطن الآمن الجميل ، وسار الشابي على هذا النهج متغنيا بالغباب الذي صار رمزا للحياة نفسها، فتحمل الطبيعة صورة الغضب ؛عندما تصور نقمة الشاعر على الظلم والاستعباد ،وتتحول الطبيعة إلى وجهها العابس عندما

يصور الأسي والأحزان . وكذلك الغاب الآمن الهادئ موطن الراحة بعد التعب ، وموطن الحرية والجمال والصدق ، وموطن الفطرة الأولى ، بعيدا عن وحشية المدينة ومظاهر النفاق والكذب ، ، وقد حملت كلمة الغاب كثيرا من الطاقة والدفع بفضل المعاني التي انتشرت في قصائد الشاعر ، حيث صارت رمزا يتكئ عليه الشاعر في تصوير عالمه النفسي ، تصويرا فنيا ، يتفاعل فيه مع الطبيعة ، ويندمج معها ، ويحن إليها ، وتحمل همومه ، وتغذي روحه ، فالطبيعة بيت الشوق ، تحمل قيم الراحة والطمأنينة والجمال ، يلجأ إليها الشاعر ليدل من خلال ذلك على رفض القيم التي تحملها المدينة من جور وظلم ونفاق ومفاسد .

لنتابع بعض الأبيات من قصيدة الغاب :<sup>١</sup>

بيت من السحر الجميل ، مُشَيِّدٌ	للحبِّ ، والأحلام والإلهام
في الغاب سحرٌ رائعٌ متجددٌ	باقٍ على الأيامِ والأعوام
في الغاب ، دنيا للخيال ، وللرؤى	والشعرِ ، والتفكيرِ والأحلام
لله يومَ مضيتُ أوَّلَ مرةٍ	للغابِ ، أرزحُ تحتَ عبءِ سقامي
ودخلته وحدي ، وحوالي موكبٌ	هزج ، من الأحلام والأوهام
ومشيتُ تحتَ ظلاله مهيباً	كالطفل ، في صمتٍ وفي استسلام
فإذا أنا في نشوةٍ شعرية	فياضته بالوحي والإلهام
في الغاب ، في الغاب الحبيب ، وإنه	حرمُ الطبيعة والجمال السامي
طهرتُ في نار الجمال مشاعري	ولقيت في دنيا الخيال سلامي
ونسيتُ دنيا الناسِ ، فهي سخافةٌ	سكرى من الأوهام والآثام
وقبستُ من عطفِ الوجودِ و حبه	وجماله قبساً ، أضاءَ ظلامي
فرأيت ألوان الحياة نضيرة	كنضارة الزهر الجميل النامي
ووجدتُ سحرَ الكونِ أسمى عنصراً	وأجلَّ من حزني ومن آلامي

فالغاب رمز للطبيعة الخيرة إنه الحلم البعيد عن الآثام ، المناقض للواقع المؤلم المظلم ، إنه ملجأ للروح الرومانسية ؛ التي ترى في الغاب شفاء من الأمراض ، وراحة

١- أبو القاسم الشابي :أغاني الحياة ، ص٢٥٦ ،

لذيذة نادرة ، وواحة من الأحلام المتدفقة مع كل صباح ومع كل نسمة عطر ؛ تختلج بها جنبات الغاب الحبيب ، إنه رمز يحمل الدفء والظلال، ويساهم في إغناء الصورة الفنية ، ووردت الكلمة في مواقع كثيرة من ديوان أغاني الحياة لتدل على المعاني الواردة آنفا، وصار لجوء الشاعر إلى الطبيعة رفضا للقيم السائدة بين الناس ، وسعيا إلى عالم مثالي ، ((الشاعر الوجداني يعتقد أنه صاحب رسالة تقوم على مثل عليا من الأخلاق والسلوك لا سبيل لسعادة المجتمع الإنساني بدونها))<sup>١</sup> . وللطبيعة بعناصرها المختلفة دور بارز في أغلب قصائد الشاعر ، حيث تفوق في ذلك على أقرانه، وظهر دور الطبيعة في بنائها الفني وفي صورها الرائعة . ((والشابي من أكثر الشعراء الوجدانيين مزجا بين عواطفه الذاتية ومشاعره الوطنية في إطار من الطبيعة التي كانت عنصرا عاما في كثير من صورته الشعرية))<sup>٢</sup> حيث بدا ذلك واضحا في أغلب قصائد الديوان ومنها : النبي المجهول ، إرادة الحياة ، من أغاني الرعاة، أيتها الحاملة بين العواصف ، ذكرى صباح ، صوت من السماء ، الصباح الجديد ، ألحاني السكري ، تحت الغصون ، إلى الشعب ، نشيد الجبار ، بقايا خريف، وغيرها.....

وكانت هذه القصائد ، تنقل حدة الشعور والتوتر الذي يعاني منه الشاعر نتيجة لعسف الناس وما في المجتمع من تناقض صارخ ، وما في الحياة من تعدد فاضح يتناقض مع موقف الشاعر وحسه المرهف ، وقد مزج الشاعر بين وجدانه والطبيعة، فعبّر عن حبه لها ، كما حملت مواقفه من الحياة والناس أيضا .

### ثالثاً: الألفاظ الموحية

كثيرة هي الألفاظ التي يتكئ عليها الشاعر في تشكيل صورته الفنية ، فبعضها ينبع من شعور داخلي للشاعر ، بحنينه إلى عالم الروح الراض لقيم الفساد ، الساعي أبدا إلى النور والخلاص ، وبعضها مبعثه ما في الحياة من ظلم وذل وخنوع وضياع لقيم الحق والخير والجمال، واستطاع الشاعر من خلال الكلمة أن يعبر عن الصور التي تجيش في داخله، والتي ظهرت عبر الطبيعة التي تعتبر الحامل الأهم لعالم الشاعر

١- د- عبد القادر القط : مرجع سابق ، ص ٢٨٢ .  
٢- المرجع السابق ، ص ٣١٣ .

ولصوره الفنية ، الذي يسعى إلى عالم أجمل، واتخذت الألفاظ التي تدل على عناصر مادية في الطبيعة توحى بالحالة النفسية التي يعيشها الشاعر؛ من مشاعر الحزن والألم أو الفرح والأمل، والقلق والاضطراب، والطمأنينة والرضا، من مثل: ( الجمال ، الزهر ، الورد، الأطياف ، الشفق ، النسيم ، الغروب ، الفجر ، الصمت ، الضجة ، السكون ، النغم ، النور ، الظلام، الحركة ، الرعود ، الربيع ، الرياض ، الحلك ، الصباح ، المروج ، الضحى ، الصدى، الأسقام ، الرياح ، الناي ، الغار ، العواصف ، الشتاء.... وبعضها يحمل دلالات نفسية ، مثل : الأفراح والأحزان ، والأسى والأشواق، الكتابة والأشجان ، والآمال ، والرحمة ، والحنان ، والعطف ، روح ، طموح ، طهر، حنين ، خشوع، وعود ....

ونأخذ مثالا على ذلك من قصيدة ( إلى البلب )<sup>١</sup> :

أيُّها البلبِ يا شاعرِ أحلامِ الربيعِ  
غنّني إنَّ على صوتك أنداءَ الدموعِ  
غنّني فهو يريني أملَ القلبِ الصريعِ  
\* \* \*

تائه الفكرِ يناجي حيرةَ الفكرِ الشريدِ  
بخشوعٍ وسكونٍ وحنينٍ  
يتكلمُ  
\* \* \*

انفضِ الطلَّ ففي الطلِّ حياةٌ حائرةٌ  
شردّتها عن فؤاد الليل كفتُّ جائرةٌ  
وتغرّدُ إنَّ للوردِ عينا فاترةٌ  
\* \* \*

أغمضتها راحةُ الليل فقد هبَّ الصباحُ  
إنما أنتَ حياةٌ ساحرةٌ

١- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ٩١

## تـرـنـم

وتكاد لا تخلو قصيدة من هذه الألفاظ التي تصير محورا يتكى عليه الشاعر في صورته وفي عمله الفني ، وقد يحشد تلك الألفاظ في القصيدة الواحدة ، يستدعيها الإيحاء الغامض والدلالات الممتدة ، ويسهل على الشاعر من خلال تلك الألفاظ نقل الحالة التي يعيشها ، وذلك التوتر النفسي الذي يعانيه ، ونقل صور العالم ، والطبيعة تلبس ثوبا خاصا يناسب الجو النفسي للشاعر ، الذي يلجأ إلى هذه الألفاظ الرومانسية الموحية ، (( وكأنه يستعيض بها عن عناصر الصورة الشعرية الأخرى من مجاز وتشبيه ومقابلة و تركيب وغير ذلك ))<sup>١</sup> .

ومن خلال دراستنا لهذه النماذج يبدو بوضوح دور الشاعر في تحويل مدار الألفاظ من المدارات الحسية التي أفقدها الاستعمال بريقها ليعيد إليها الروح من جديد ، لتبدو الصورة فيها أكثر دهشة وأبعد تأثيرا ، واكتست الألفاظ ألقاها جديدة ، وصارت تعبر ، عما يحمل الشاعر من أشواق ؛ ليكتشف بها أحوال النفس التي تحاول العودة إلى الجذور الأولى ، إلى عالم الروح والفطرة بعيدا عن عالم الصراع والمادة .

### رابعاً: الألفاظ الصوتية:

يبدو أن الشاعر يختار ألفاظه ويسيطر عليها ، من خلال الدخول إلى عالمها ، لتحديد أهميتها ، وإحساسه بقدرتها على التآلف والتآزر ، ولعل ذلك يعود إلى إحساس الشاعر بمقدرة هذه الألفاظ ، وتفوقها على سواها في الصورة الفنية ، فالشاعر يعتمد على الألفاظ التي تدل على الأصوات ؛ ليعبر من خلالها عن الصور التي تعتمد على حاسة السمع ، فظهرت الألفاظ التي ترتبط بإيحاءاتها بحالة النفس ، فكانت ألفاظ البحر والرياح والليل ألفاظا تتوسد النفس المضطربة الممزقة بين الحلم و الألم المرضي في الداخل وبين الخارج الموغل في الظلم والجهل والتعنت ، فالنفس دائمة التحول بين الهدوء والتوتر ، كما عبر من خلال البكاء والأنين والغضب والصمت والسكون

١-د- عبد القادر القط: مرجع سابق ، ص ٣٦١

، وسواها عن أحواله المختلفة ، ولنتابع بعض تلك الألفاظ التي تعبر عن حال الشاعر في قصيدة ( في سكون الليل )<sup>١</sup> :

أيها الليل الكئيب !

أيها الطيف الغريب !

من وراء الهول ، من خلف نقاب الظلمات  
من خلاياك تراءت لي أحزان الحياة  
ها أنا أرنو فألفيك كجبارٍ حطيمٍ  
ساكنا ، جللك الحزن وأضناك الوجوم  
هاجعا طافت بأعشارك أحلام غضاب  
صامتاً تصغي لأنات الأسي، والانتحاب  
رابضاً كالهول في إحدى زوايا الهاويه  
إنما أنت بما تحويه من شجور حميم

الأصوات في القصيدة: ( ساكنا، غضاب ، صامتا ، أنات ، الانتحاب ، شجو ) تعبر عن صور قائمة تعبر عن الحالة النفسية للشاعر ، وما يسكنه من عذاب وألم والذي يجد الليل رغم ذلك رحيماً .

وتبدو الصورة تخرج من رحم الأصوات لتعبر عن الحالة النفسية للشاعر<sup>٢</sup> :

فيك يمشي شتاء أيامي الباكية ، وترغي صواعقي ورعودي

فالشعر ملاذ الشاعر في كل الأحوال ، والأصوات عناصر أساسية في وشائج الصورة . وقد يعتمد في ذلك على صيغ لغوية مختلفة ، ثم يكرر تلك الصيغة ، ويتبعها بالألفاظ التي تناسب الجو النفسي والجمالي ، من ذلك ما جاء في أبيات من قصيدة ( قلب الأم ) ، حيث أراد أن يصور تلك الحالة التي تعيشها الأم ، وتتفرد بها في علاقتها مع وليدها الراحل عن الحياة ، الباقي في روح أمه ما بقيت حية ، فجعل صورة الطفل تتعاقب مع عناصر الطبيعة ، وكأنها بأصواتها تشكو كالأم التي تجد في كل الأصوات في

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص. ٨٥ .

٢- المصدر السابق نفسه ، ص ١٢٧ .

الكون نعمة ولدها؛ التي لا تتركها في حلها وترحالها ، ولنستمع إليه يعدد تلك  
لأصوات في تركيب إضافي متتابع :<sup>١</sup>

يصغي لنغمتك الجميلة في خريف الساقية  
في رنة المزمار ، في لغو الطيور الشادية  
\* \* \*

في ضجة البحر المُجَلَجِل ، في هدير العاصفة  
في لجة الغابات ، في صوت الرعود القاصفة  
\* \* \*

في نغمة الحمل الوديع ، وفي أناشيد الرعاة  
بين المروج الخضر والسفح المُجَلَل بالنبات  
\* \* \*

في آهة الشاكي ، وضوضاء الجموع الصاخبة  
في شهقة الباكي يُوجِّجها نواح السنادبة  
\* \* \*

في كل أصوات الوجود : طروبها وكنيها  
ورخيمها ، وعنيفها ، وبغيضها ، وحييها  
\* \* \*

تألفت أصوات الكون المختلفة في طبقاتها على مدار القصيدة ، وجاءت ممتلئة إحاء  
يعني الصور التي تعبر عن الوضع النفسي للأمم التي لم تفارق وليدها لحظة ولن تفارقه  
مادامت حية.

وهذا التركيب الصوتي للصورة ، لا تخلو منه قصيدة من قصائد الشاعر ، وتتابعه في  
هذه القصيدة يرمز إلى حالة التوحد بين الشاعر وحالة الأم والطبيعة التي أجمت  
المشاعر، وأظهرت قيمة الأصوات في تركيب الصورة الفنية ، التي توافق الحالة النفسية  
للشاعر وتعبر عن الموضوع الذي تفاعل في أعماقه .

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص. ١٩١



ولنتابع هذه الأصوات التي تعبر عن حال الشاعر، حيث جاءت الألفاظ هادئة مطمئنة تعبر عن حلم الشاعر الذي يتحقق في ظلال الطبيعة في قصيدة: (أحلام شاعر)<sup>١</sup> :

وبعيدا عن المدينة، والناس      بعيدا عن لغو تلك النوادي  
فهو من معدن السخافة والإفك      ومن ذلك الهراء العادي  
أينَ هوَ من خريِر ساقية الوادي      وخفقِ الصدى ، وشدو الشادي  
وحفيفِ الغصون ، نَمَقها الطلُّ      وهمسِ النسيم للأوراد؟

جاءت الألفاظ موحية بحلم جميل، يطمح إليه الشاعر، فحضرت الطبيعة بأصواتها لأنها الملجأ الآمن الذي تمدأ نفس الشاعر فيه، وتسمو فوق صغائر الأمور التي انتشرت بين الناس، فلغة أهل المدينة لغو باطل، ولغة الطبيعة ألحان عذبة، تجاوزت فيها أصوات الخريير والشدو، وخفق الصدى، وحفيف الغصون، وهمس النسيم؛ عبر الشاعر بها عن صورة الطبيعة وعن حلمه الذي سكب في قلب الطبيعة، وأدت دورها في الصورة الفنية، فعبرت عما في وجدان الشاعر.

لقد جاءت الألفاظ لتعبر عما في وجدان الشاعر فكانت وليدة التجربة والمعاناة، وعبرت بالصورة الفنية عن ذلك العالم الذي يتفاعل بما يمتلك من تناقضات وانسجام ورؤى في محيط الشاعر وفي داخل أعماقه.

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ص ١٦٨، ١٦٧

## المبحث الرابع:

\* بعض الصيغ والأساليب اللغوية :

انتشرت بعض الصيغ اللغوية في قاموس الشاعر اللغوي لتعبر عن تجربته ومنها :  
أ- التضاد :

لقد جاء التضاد بكثرة في قصائد الشاعر، وورد في القاموس المحيط أن ((الضد بالكسر، الضديد : المثل ، والمخالف ))<sup>١</sup>، والحياة تقوم على التضاد والتقابل ، والتضاد سمة الوجود، ليل ونهار ، صباح وليل ، أفراح وأحزان ، صمت وضجيج ، موت وحياة ، وجاء في القرآن الكريم في مواطن كثيرة منها قوله تعالى<sup>٢</sup> : ((الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور )) كما اهتم أهل البلاغة بظاهرة التضاد، وبينوا دوره في إظهار المعنى وتوضيحه، ((ويقال له : التضاد، والتكافؤ ، والطباق ، وهو أن يؤتى بالشيء وبضده في الكلام ))<sup>٣</sup> ، والتناقض مزروع في وجدان الشاعر ، من خلال التناقض بين الحلم والواقع ، ولقد استطاع الشاعر من خلال الألفاظ المتضادة أن يعبر بصورة عن تناقض الحياة، كما إن التناقض يمنح الصور نماء وحياة ، ويجعل للتأثير والتأثر بين طرفي الصورة دورا في منح الحياة للصورة التي تنقل التناقض القائم بين الداخل نفسه ، بين الأحلام والطموح من جهة ، وبين المرض والتشاؤم من جهة ثانية ، ونرى ذلك في صورة الخارج ، بما فيه من تناقض بين المستبد الظالم ، والشعب الجاهل ، هذه التناقضات، أفضت إلى صور تتزاحم فيها الأضداد، كصورة الحياة نفسها ، تخرج عبر وجدان الشاعر لتصطبغ بتوتره النفسي، وبفيض وجدانه المتدفق ، ويتداخل الصراع بين الداخل والداخل، والخارج و الخارج من جهة وبين هذا وذاك من جهة ثانية، ويعبر بذلك عن صراع الحياة ، متطلعا رغم الآلام والظلم إلى أغاني الحياة التي عاش لها الشاعر ورحل فيها، وتجري الأشياء رغم تناقضها وتنافرها؛ لتعطي انسجاما متميزا فيما بينها ويبدو أشد قوة وتأثيرا من تلاقي المشابهات

١- الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تصنيف ، طبعة جديدة ، ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي إشراف مكتب البحث والدراسات ، دار الفكر ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، ص ٢٦٧.

٢- سورة الملك ، الآية ((٢)).

٣- العلوي اليمني : كتاب الطراز الجزء الثاني ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٩٨٣م، ص ٣٧٧ .

واستطاع الشاعر أن يعبر في القصيدة الواحدة بل في البيت الواحد عن التناقض والتضاد، وعقد المقابلة بين الأشياء وأضدادها ، حيث نجد هذه الثنائيات في مواضع كثيرة في الديوان ، وهذا يتفق مع وحدة الوجود والمصير الإنساني ومن ذلك ما جاء في قصيدة (قلب الشاعر)<sup>١</sup> :

ههنا، في قلبي الرحب العميق !	يرقص الموت وأطياف الوجود!
ههنا، تعصف أهوال الدجى	ههنا ، تخفق أحلام الورود
ههنا تهتف أصداءُ الفنا	ههنا ، تعزف ألحان الخلود
ههنا تمشي الأماني ، والهوى	والأسى ، في موكب فخم النشيد
ههنا الفجر الذي لا ينتهي	ههنا الليل الذي لا يبيد
ههنا ، ألف خضمٍ ثائر	خالد الثورة مجهول الحدود
ههنا في كل آن تمحي	صورُ الدنيا و تبدو من جديد

جمع الشاعر في كل بيت من هذه الأبيات الشيء مع نقيضه ، فالموت مع الوجود ، تعصف أهوال الدجى مع تخفق أحلام الورود ، تهتف أصداء الفناء مع تعزف ألحان الخلود ، والفجر مع الليل، و تمحي مع تبدو ، و في ذلك التوافق والجمع بين هذه المتناقضات ، ما يفضي إلى دلالات أرحب، وإيحاءات أخصب ،تستطيع هذه الألفاظ المتضادة أن تنمي الصورة الفنية ، وتغذيها بالحيوية والإيحاء والظلال النفسية الفسيحة ، فصورة القلب في هذا الحشد أشبه بالكون الفسيح ، حيث تتلاحم الشاعر معه وانسجم ، إنها سيمفونية الوجود الدائم الحي المتجدد تطل في قلب الشاعر .

وتقوم صورته على التناقض الذي يفضي إلى توضيح أجزاء الصورة وعناصرها ويبدو ذلك عندما عبر عن الشعر ، أو لنقل عن ذاته ، وعن الارتباط بعناصر الكون التي تتآلف فيما بينها لتؤلف من خلال التضاد صورة الحياة ، التي تتلاحم في قوله :<sup>٢</sup>

أنت يا شعر قصة عن حياتي	أنت يا شعر صورة من وجودي
فيك ما في الوجود من جبلٍ ، وعرٍ	وما فيه من حضـيضٍ وهيد

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص ٢٥٣ .  
٢- المصدر السابق نفسه ، ص ١٢٨ .

فيك ما في الوجود من حسك ، يُدّ مي ، وما فيه من غضيض الورود  
فالشاعر أراد أن يصور مقدرة الشعر على حمل عناصر الكون ، ويوضح مقدرة الشعر  
على حمل تلك التناقضات ، التي تعبر عما يعتمل في قلب الشاعر من رؤى وأحلام.  
وقد تنتقل الصورة عبر التضاد إلى توحيد جديد إلى نسق واحد، يتساوى فيه النقيض  
بالنقيض، ويتم الحلول ، ويصيران شيئا واحدا ، يتحول فيها الأبيض إلى الأسود،  
والصباح إلى ليل بهيم ، ويغير الشاعر مجرى الصور المعهود، ويلبسها من كآبته وأحزانه  
التي يمر بها ، فيغوص في أعماق المتناقضات، ويلوي أعناقها ، ويجعلها تتوافق لتعبر عن  
حالة الحزن والأسى التي يعيشها . ونجد مثالا لذلك في قوله :<sup>١</sup>

قد سألت الحياة عن نعمة الفجر ، وعن وجمة المساء القطوب  
يتساءل الشاعر عن نعمة الفجر وعن نقيضها وجمة المساء القطوب، تساءل عن صورة  
الحياة بقطبيها ، وسرعان ما تتغير الصورة ، ويأتي البيت التالي لينقل ما سمع من لحن  
الحياة التي تحول الشدو فيها — وهو للفرح — وفق رؤيا الشاعر من خلال التضاد  
أعطاه لونا مغايرا وصار للأحزان ، فالحزن صوت الحياة المحبوب في الصورة الرؤيا:

فسمعت الحياة في هيكل الأحزا ن ، تشدو بلحنها المحبوب  
ثم يتلفت حوله ليعبر وفق تصوره الجديد عن عناصر الكون التي سارت معه طائفة  
رضية ، تعبر عما يجيش في نفسه :

ما سكوت السماء إلا وجوم ما نشيد الصباح غير نجيب  
ويعمم الأحزان ، ويجعل طائر الأحزان، يلف أطراف الحياة ، ثم تنبتق الأيام طيورا،  
تخضبت بالدموع والدماء ، هذه الصورة التي جعلها الشاعر قائمة سوداء، يوحي لنا  
بها ما في الدنيا من غدر وسلب وفوضى ،إنها صرخة في وجه الإنسان ليكون فرحه  
حقيقيا ، وليزيل الأحزان من حياته .

ويأتي التضاد؛ ليعبر عن حقائق الوجود والحياة وتمائلها وتقابلها؛ ويدل هنا على  
التساوي في ما بين الأضداد وفي أهميتها نجد ذلك في قوله :<sup>٢</sup>

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص ٧٤.  
٢- المصدر السابق نفسه، ص ١٩١، ١٩٢.

في كلِّ أصوات الوجود : طروبها وكنيها  
ورخيمها ، وعنيفها ، وبغيضها ، وحيبها  
ويراك في صور الطبيعة : حلوها ، وذميمها  
وحزينها وبهجها ، وحقيرها وعظيمها

تتساوى أصوات الوجود وصور الطبيعة في أهميتها للدلالة على شمول الصورة ؛ التي  
تشبه شمول الحياة ، إنها الأم التي لا تنسى وليدها في أي حال أو صورة ، ويبدو الشاعر  
لم يلتفت إلى الصورة الفنية هنا ، ولم يوظف التضاد فيها .

ويعتمد على المقابلة والتناقض ؛ ليبنى صورته التي تعبر عن واقع الحياة والمجتمع وما  
في النفس والطبيعة من تناقض لذلك يرى القلب موطن هذا التناقض :<sup>١</sup>  
يا قلبُ كم فيك من قبرٍ قد انطفأت فيه الحياة ، وضجت تحته الرمم  
وقوله عن الشعر :<sup>٢</sup>

فيك ما في الوجودِ من حلك ، دا ج ، وما فيه من ضياءٍ بعيد  
الصورة هنا تجمع أطراف التناقض ، وتكون صورة مصغرة عن الحياة نفسها ، وفي هذا  
انسجام وتوق أبدي بين الشاعر والطبيعة ، وفي الصورة الضياء نقيض الظلام  
، والموصوف الحلك مؤكد بصفة (داج) تزيده سوادا ، والضياء بعيد ، يعبر الشاعر بذلك  
عن الأمل بالنور والحياة رغم الظلام الحالك .

ويأتي التضاد ليعبر عن التوتر الذي يعيشه الشاعر ، ولما يحيط به من آمال ترتجى ، لكنها  
سرعان ما تذوي قبل الأوان ومن آمال تبعتها الأيام :<sup>٣</sup>  
وشيدتْ حولك الأيامُ أبنية من الأناشيد تبنى ، ثم تنهدمُ

وقد يجعل الشاعر التضاد في قصيدته يقوم بين مقطع من القصيدة ومقطع آخر ،  
نجد مثالا على ذلك قصيدة (إرادة الحياة) ، حيث مزج بين عواطفه الذاتية وما تحمل  
من حب للوطن ، وأمل في انتصار الحق وتفوق على الظلم ، وجاءت الطبيعة التي

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص ١٥٠ .

٢- المصدر السابق نفسه ص ١٢٨ .

٣- المصدر السابق نفسه ص ١٥٢ .

عبرت بصورها عن إرادة الحياة التي ظهرت في الطبيعة عبر صورهِ الرومانسية ، التي يبدو الموت في دورة من دوراتها يسيطر على الحياة ، ولكن الحقيقة هي أن المرحلة التي تعبر عنها الصورة مرحلة تميو وانتقال حياة جديدة للبذرة التي تبدو في المقطع الأول، وقد دفتها الثلوج لا حياة فيها، ولكن في المقطع الثاني بعد أن يأتي الربيع ، تولد الحياة من جديد، ويرمز الشاعر في صورة الثبات إلى حالة الكمون التي يمر بها الشعب التونسي . ويقدم الدليل والحجة عبر قصيدة إرادة الحياة على تفوق الحياة والنور على الظلم والظلام، فيأتي بعد الظلام النور، وتولد الحياة من جديد ، ونرى الشاعر في المقطع الأول يرسم صورة الرحيل رحيل الحياة ، ويسأل الطبيعة وتجيبه ، في قوله:

وفي ليلة من ليالي الخريف	مثقلةً بالأسى والضجر
سكرتُ به من ضياء النجوم	وغنيتُ للحزن حتى سكر
سألتُ الدجى: هل تُعيد الحياة،	لما أذبلته ، ربيعَ العمر؟
فلم تتكلم شفاه الظلام	ولم تترنم عذارى السّحر
وقال لي الغاب في رقّة	محبة مثل خفق الوتر :
((يجيء الشتاء شتاء الضباب	شتاء الثلوج ، شتاء المطر))
((فينطفئُ السّحر ، سحر الغصون	وسحرُ الزهور وسحر الثمر))
((وتهوي الغصون ، وأوراقها	وأزهار عهدٍ حبيبٍ نضِر ))
(( وتلهو بها الريح في كل واد ،	ويدفنها السيلُ ، أنّى عبر ))
((ويفنى الجميعُ كحلْمٍ بديع ،	تألق في مهجةٍ واندثر ))
((وتبقى البذورُ التي حُمّلتُ	ذخيرةَ عُمرٍ جميلٍ ، غَبر ))
((وذكرى فصول ، ورؤيا حياة ،	وأشباح دنيا تلاشت زمر ))
((معانقةً وهي تحت الضباب ،	وتحت الثلوج ، وتحت المَدَر ))
((لطيف الحياة الذي لا يُملُّ	وقلب الربيع الشذيّ الخضر))
(( وحاملةً بأغاني الطيور	وعطرِ الزهور وطعمِ الثمر))

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص ٢٣٢.

فالطبيعة تحمل عناصر الرحيل والصور المنبئة بالموت ، وفي المقطع التالي ينقضها الشاعر على لسان البذرة التي تطمح إلى الحياة:<sup>1</sup>

((ويمشي الزمان فتنمو صروف ، وتذوي صروف ، وتحيا أخر ))  
(( وتصبح أحلامها يقظة ، مؤشحةً بغموض السحر ))  
((تُسائل أين صباح الصباح ، وسحرُ المساء ؟ وضوء القمر؟))  
((وأسرابُ ذاك الفراش الأنيق؟ ونحلٌ يغني ، وغيمٌ يمر ؟ ))  
(( وأين الأشعة والكائنات؟ وأين الحياة التي أنتظر ؟ ))  
((ظمتُ إلى النور ، فوق الغصون! ظمتُ إلى الظل تحت الشجر!))  
((ظمتُ إلى النبع ، بين المروج ، يغني ويرقص فوق الزهر !))  
((ظمتُ إلى نغمات الطيور ، وهمسِ النسيم ، ولحن المطر ))  
((ظمتُ إلى الكون ! أين الوجودُ وأنى أرى العالم المنتظر ؟ ))  
((هو الكون ، خلف سبات الجمود وفي أفقِ اليقظات الكبرى ))

وتولد الحياة من جديد، صورة مشرقة في فصل الربيع كل شيء مشرق وأحلام البذرة تشتاق لمكونات الطبيعة وعناصر الوجود ، وتغدو صورة الطبيعة ترفل بأثواب الحياة ، بعد أن كانت تكملها صور الموت والرحيل في المقطع السابق ، ولا يخفى ما للتقابل من دور في نماء الصورة وتكاملها ، واستطاع الشاعر من خلال صور الطبيعة الرامزة لما يصيب الشعب من قنوط ويأس من جهة ، وإرادة وحياة كامنة من جهة أخرى تنبثق من جديد لتدل على تفوق الشاعر في التعبير عما يجيش في نفسه وخياله ، وتتحول بفضل عمق بصيرته صورة اليأس والتشاؤم إلى صورة أمل وتفاؤل .

ب- النداء :

تحدث البلاغيون عن دور النداء في تنبيه المخاطب وحضه على القيام بأمر أو تركه أو الاستفهام عنه وقد ورد بكثرة واضحة في القرآن الكريم وعند الشعراء ، وأسلوب النداء من أبرز الأساليب التي اعتمد عليها الشاعر في صورته الفنية، فالنداء ومن خلال المناجاة والتشخيص أصبح من أهم الأساليب التي اتخذها الشاعر في الصورة

1- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ص ٢٣٣.

الفنية للتعبير عن تجربته الشعرية وفيض وجدانه المتدفق ويدل على ترابط بين الشاعر و موضوعاته وبين المتلقي ((و حين يطفح الخطاب الشعري في أعماق البنية العميقة متمثلا بالبنية السطحية الملفوظة أو المكتوبة يدخل المتلقي عندها طرفا في عملية الإبداع وينتقل تأثير الخطاب إليه سلبا أو إيجابا<sup>١</sup>) ويمنح الشاعر النداء تدفقا في التشخيص واستحضارا حيا للمنادى الذي يطل علينا من خلال الصورة الفنية ، التي تعبر عما في نفس الشاعر من قوى وأنوار وأناشيد يبثها لعناصر الصورة ، التي تتفاعل معها فبادل الشاعر الأحاسيس والمشاعر من خلال ظلال وإيحاءات اللغة التي يعبر فيها عن وجدانه وأفكاره .

ومن يطلع على ما كتبه شعراء الرومانسية يقف عند ظاهرة جديدة أطلت على عالم القصيدة في دواوين شعراء المدرسة الرومانسية؛ ألا وهي ظاهرة العنوان حيث صار العنوان دليلا لعالم القصيدة والرسالة الواضحة لما تحمله من مضمون ، فالصيغة اللغوية التي يجيء فيها العنوان قراءة أولية في مضمون القصيدة ، وفي الصور الفنية التي تحملها ، ((ولعل أسلوب النداء كان من أبرز القوالب المعتمدة لاستنباط مقومات التشخيص بتكريس المناجاة<sup>٢</sup>) فالنداء تواصل ورجاء ، وتوسل واسترحام واستعطاف إنه المناجاة والشكوى ، و أبو القاسم قد جعل بعض عناوين قصائده على صيغة النداء، لتكون هذه المفاتيح قراءة أولى يتكئ عليها الشاعر للدخول إلى القصيدة، ولتعلن للمتلقي عن مضمونها وهي :

"أيها الحب ، يا شعر ، أيها الليل ، يا رفيقي ، يا ابن أمي ، يا موت ، يا حماة الدين ، أيتها الحاملة بين العواصف" ، فالشاعر يريد أن يرسل رسائله عبر هذه القصائد التي يبث فيها أفكاره ، ودعواه ونجواه وآهاته وأحلامه ، فجاءت على صيغة النداء .

ولنقف مع مناجاة الشاعر في قصيدة - يا شعر - ولنتابع صيغة النداء التي جعلها الشاعر متكئا فنيا لعالم الصورة الفنية حيث قام النداء فيها بالجمع بين عوالم الصورة

١- قاسم البرسيم : منهج النقد الصوتي في تحليل الخطاب الشعري ، ط١ ، دار الكنوز الأدبية ، ٢٠٠٠م ، ص ١٠  
٢- دورة ، أبو القاسم الشابي ١٩٩٦ م ، ص ١٤٧



التي تمددت بين عالم الشعر وقلب الشاعر والشاعر، علاقات ارتباط وتشابك تصل بين القلب والشعر وبين المنادي الشاعر عبر تيار التعبير المتدفق: <sup>١</sup>

يا شعرُ أنتَ فمُ الشعور ، وصرخةُ الروح الكئيبُ  
يا شعرُ أنتَ صدى نجيب القلب ، والصب الغريب

\* \* \*

يا شعرُ أنتَ مدامعُ علقتُ بأهداب الحياة  
يا شعرُ أنتَ دمٌ ، تفجّر من كلوم الكائنات

\* \* \*

فالشعر مشخص بالنداء ، الذي جعله يتبوأ مترلة راقية عندما استحضره ليناديه ، ويعطيه رأيه ويثته نجواه فكانت الصور التي جاءت في الأبيات الأربعة ، وكان التشبيه يتلون ببواعث نفسية ، وبفيض الروح ليخلق الصلات المنبعثة من عناصر الصورة التي تحمل هموم الشاعر التي تحملها للشعر الناطق باسمه والمعبر عن خلجات وجدانه ، ترتسم صورته لتحمل أدوات التعبير والمشاعر المتدفقة ، التي تخرج من الفم وسيلة الكلام ليحيب عن المشاعر ، ويعبر بالصوت الذي يخرج من الروح التي تجسدت لتكون حاملا للأحزان والكآبة، و العاشق المقيم المحاصر بالغرابة يعود صداه يحمل الآهات والألم ليصل إلى موطن الألم القابع في صميم القلب ، ليكون فيض الوجد الإنساني ، من حزن وألم وغضب، وجراح الكائنات ، وتأتي صورة المناجاة بين الشاعر والشعر، لتعبر عن الرومانسية التي جاءت صارخة بعناصرها الواضحة في هذه الأبيات ، ويأتي قوله: <sup>٢</sup>

يا شعر! قلبي - مثلما تدري - شقيّ، مظلم

وتأخذ المناجاة طريق البوح والتآلف ، الأحزان تتلوها الآلام والأحزان، ولا توقف عنها، واللغة تدل على الحميمية القائمة بين الشاعر والشعر الذي يشخصه ليؤانسه

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص ٥٢.  
٢- المصدر السابق نفسه، ص ٥٢.

ويخفف الأحزان عنه ، ويأتي النداء بلفظة مرادفة للقلب بعد مصدر يدل على كثرة الدعوات الموجهة لقلبه الذي لا يستجيب :<sup>١</sup>

كم قلت: صبرا يا فؤاد ! ألا تكفّ عن النحيب ؟

يا قلب! لا تجزع أمام تصلب الدهر المصور

ثم تنبثق دعوة جديدة يحاول فيها الوقوف في وجه الأحزان، لكنه سرعان ما يعود ليقرر مذهب البكاء الذي تأصل في أعماقه ، وبدأ يخلق في مقاماته التي ترتقي إلى الطهر ويدعو الشعر ليكون رفيقه في هذه الرحلة رحلة التطهير :

يا قلب ! لا تسخط على الأيام ، فالزهر البديع

يصغي لضجات العواصف قبل أنغام الربيع

فالدعوة للوقوف قويا في وجه الأحزان والجراح ، تشبه الزهر الذي ولد وسط العواصف التي أصغى إليها الشتاء قبل مجيء الولادة في فصل الربيع، ويتابع نداءه للقلب:<sup>٢</sup>

يا قلب ! لا تسكب دموعك بالفضاء فتندم

ويحدثنا في أبيات تالية عن أهمية الأحزان ، ويعود إلى خطاب الشعر من جديد في أبيات تالية :

يا شعر ! يا وحي الوجود الحيّ ! يا لغة الملائك

غرّد ، فأيامي أنا تبكي على إيقاع نايك

ويأتي النداء متدفقا فالشعر هو وحي الحياة ، والشعر لغة عليا متفوقة ويأتي الطلب ليكون معادلا مؤنسا لحال الأحزان بألفاظ رومانسية موحية ، تتابع لتصل من جديد لأمل في الخلاص من الأحزان :

يا شعر ! أنت نشيد أمواج الخضم الساحرة

ويستعرض في الأبيات التالية ما في الطبيعة من حياة راجيا الفرح والحياة راسما صورته عبر الألفاظ الموحية المتدفقة، ويتابع دورة الأمل في نداء جديد للشعر :<sup>٣</sup>

١- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ٥٣.

٢- المصدر السابق ، ص ٥٤.

٣- المصدر السابق ، ص ٥٩.

يا شعر أنت نشيد هاتيك الزهور الباسمة

ويتابع في التعبير عن الحياة ويربط الحياة بالشعر الحامل لصورة الحياة الجامع لتناقضاتها:

يا شعر أنت نحيبها لما هوت لسباتها

يا شعر أنت صداحها ، في موتها وحياتها

ويمضي الشاعر في رحلته التي يتنقل فيها بين الوجود بأفراحه وأحزانه، ويبقى ارتباط الشعر على مدار القصيدة بالشعور الخارج من وجدان الشاعر النابت في صميم الشعر ، ويأتي ختام القصيدة ارتباطا وتعاهدا ورجاء وتوحدا ليصدع بارتباط أبدي لوجدان مليء كالحياة مؤكدا دعوته ليكون الشعر الرجاء في نقل المشاعر عبر الصورة الفنية ، ولم يجيد في ديوانه عن دعوته حيث الشعر احتل قلب الشاعر وفكره باحثا عن الحياة: ١

يا شعر أنت جمال أضواء الغروب الساحره

يا همس أمواج المساء ، الباسمات الحائره

\* \* \*

يا ناي أحلامي الحبيبة يا رفيق صبابتي

لولاك مت بلوعتي ، وبشقوتي وكآبتي

فيك انطوت نفسي وفيك نفخت كل مشاعري

فاصدح على قمم الحياة بلوعتي يا طائري

فجاءت الولادة في ختام القصيدة لتكون شاهدا على الشاعر الذي اعتنق مذهبها جديدا يخاطب من خلاله الحياة ، فصار الحامل محمولا وناقلا لأعماق الوجدان وفيض الروح، عبر حامل مشترك حمله الشاعر أحاسيسه ونفخ فيه من روحه فاكتسى الكون صورة فنية تعبر عما في الوجدان ، من آلام وآمال يفترقان ليجتمعوا من جديد تحت دوحة الوجود في ظل قلب الشاعر المتوهج، فيتخضب الوجود بأطياف النفس ، التي تتدفق لتحمل رسالة الشاعر إلى الحياة .

٢-المصدر السابق نفسه، ص ٦٠ .

## ج- صيغ أخرى :

وإلى جانب التضاد و النداء ، أبرز الشاعر حركات النفس وتوتراتها من خلال صيغ التعجب التي تعبر عن الدهشة والاستغراب والرجاء والتوسل والتمني أو الأمر ، والأسلوب الإنشائي يوائم الانفعالات والحيرة والتوتر، فأسرف الشاعر في استخدام أسلوب الإنشاء ، ولجأ أحيانا إلى تكرار الصيغة الواحدة وفقا لانفعالاته وسيول عواطفه الجياشة ، ويلجأ أحيانا أخرى لحشد الألفاظ الرومانسية ليستعوض بها عن الصور ، والسبب في ذلك يعود لانسياقه خلف التجربة والمعاناة والانفعال، وقد تأتي الألفاظ مناسبة أحيانا وتؤدي دورها من خلال الإيحاء، وتضفي قيما جديدة للصورة أو قد تتعثر وتتحول إلى حشود لفظية لا طائل منها سوى وقوعها في دائرة واحدة من النغم أو لإيحاء، ومن ذلك تكرار النعوت أيضا، وفي ذلك مجال مناسب لنقل الانفعال وتأكيده و تنويعه وتلوينه، وإن هذه الأساليب انتشرت في أغلب قصائد الديوان لتؤدي دورا مشابها لدور النعوت في التوكيد وتوضيح المعنى والإيحاء ، وقد تلعب دورا سلبيا عند زيادتها فتخلق جوا من الرتابة والملل .<sup>١</sup>

ولنتابع تساؤلات الشاعر التي تتكرر في الأبيات، ويكرر صيغة الاستفهام باحثا عن جواب لتساؤلاته التي تعبر عن خيبته في الشعب، وعن تعجبه من حال الشعب الذي افتقد الشجاعة .<sup>٢</sup>

أين يا شعبُ قلبكُ الخائفُ الحساسُ ؟	أين الطمـوـحُ ، والأحلامُ؟
أين يا شعبُ روحكُ الشاعرِ الفنَّانِ ؟	أين الخـيـالُ والإلهامُ؟
أين يا شعب ، فنكُ الساحرُ الخلاقُ؟	أين الرسـومُ والأنغامُ ؟
إن يم الحياة يدوي حوَالِكِ	فأين المغامِرُ المقـدامُ !
أين عزم الحياة ؟ لاشيء إلا	الموتُ ، والصمتُ ، والأسى ، والظلام

نلاحظ تراكم الصيغ الاستفهامية التي تعبر عن قلق وحيرة الشاعر من أحوال الشعب الذي ابتعد عن الحياة، ويبدو تعب واستغرابه من الموات الذي أصاب الشعب، فجاء

١- د- عبد القادر القط: مرجع سابق، ص ٣٦١-٣٦٥.

٢- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ٢٣٩.

التكرار ليوافق تجربة الشاعر وشدة لهفته على الشعب وحاله، فيستحضر عوالم الحياة ليضعها بين يدي الشعب، باحثاً عن أصحاب العزيمة وسط الموات، وانغماس الشاعر في أعماق التجربة التي لم تعط شيئاً جديداً سوى قلق الشاعر، و لتدل على موقفه الرافض لصورة الغفلة التي يغط بها الشعب، كما نلاحظ في هذه الأبيات توالي في استخدام صيغ مكررة: أين الطموح والأحلام؟، أين الخيال والإلهام؟، أين الرسوم والأنغام؟، والرابط بينها انحدارها من اللغة الرومانسية، وما تحمله من إيجاءات وظلال عامة، كذلك في توالي الألفاظ: الموت، والصمت، والأسى، والظلام، فهي تكرر لا طائل منه سوى تتبع الشاعر لأنغام اللفظ، ((وتحد هذه الأنماط بدورها من قدرة الشاعر على ابتداء صور خيالية جديدة))<sup>١</sup> وهو يجري وراء الانفعال، ومن الألفاظ التي يحشدها الشاعر في القصيدة جريا وراء الانفعال، ونار الحماسة، فتلفح بناورها، فنية الشعر، وصار إلى التكرار من دون جدوى. كقوله من (قصيدة صلوات في هيكل الحب):<sup>٢</sup>

من طموح إلى الجمال إلى الفن إلى ذلك الفضاء البعيد  
وتبئين رقة الشوق، والأحلام والشدو، والهوى في نشيدي  
ومن ذلك قوله من القصيدة نفسها:<sup>٣</sup>

أنتِ فوق الخيال، والشعر، والفن وفوق التُّهى وفوق الحدود  
أنتِ قُدسي ومعبدي وصبا حي وربيعي ونشوتي وخلودي

تحتشد الألفاظ في بؤرة التوتر فتدافع كالسيل، لترمي بنفسها في حدود الصورة التي لم تنضج، ولكن قد تنمو أمثال هذه الألفاظ في مواضع أخرى حيث تشارك وسط الصورة وتعطي آفاقاً جديدة تتخلص من التابع الممل للألفاظ، كما يبدو في الأبيات الآتية:<sup>٤</sup>

وشوسٌ وضياءٌ ونجوم تنشر النور في فضاء مديد  
وربيعٌ كأنه حُلْمُ الشاعرِ في سكرة الشباب السعيد

١- د- عبد القادر القط: مرجع سابق، ص ٣٩٦.

٢- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ص ١٧٩.

٣- المصدر السابق نفسه، ١٨٠.

٤- المصدر السابق نفسه، ص ١٨١.

ورياضٌ لا تعرفُ الحلكَ الداجي و لا ثورةَ الحريف العتيد

فاستطاعت هذه الألفاظ أن تبدو أكثر مناسبة ، لأنها رافقت الصور التي منحت أريحية وقبولا ، وفسحت لها مجالا لتشارك في الصورة الفنية .

ويقول في قصيدة، ( تحت الغصون )<sup>١</sup> :

ههنا في خمائل الغاب تحت الزان  
أنتِ أشهى من الحياة و أهي  
ما أرقَّ الشبابَ في جسمك الغضِّ  
وأدقَّ الجمالَ في طرفك الساهي  
وَألذَّ الحياةَ حين تغنين  
وأرى روحك الجميلة عطرًا  
قد تغنيتِ منذ حين يصوت  
نَعْمًا كالحياة عذبا عميقا  
فإذا الكون قطعةً من نشيدٍ  
فلمن كنتِ تشدينَ ؟ فقالت :  
(للضباب المورد ، المتلاشي  
(للمساء المطلَّ للشفق الساجي  
(للعبير الذي يرفرف في الأفق  
(للأغاني التي يرددها الراعي  
(للربيع الذي يؤججُ في الدنيا  
(ويوشِّي الوجودَ بالسحر ، والأحلام  
( للحياة التي تغني حوالي  
( لليانبيع ، للعصافير ، للظل  
( للنسيم الذي يضمخُ أحلامي  
(للجمال الذي يفيضُ على الدنيا

والسنديان ، والزيتون  
من جمال الطبيعة الميمون  
وفي ، جيدك ، البديع ، الثمين !  
وفي ثغرك ، الجميل الحزين !  
فأصغي لصوتك المحزون  
ضايغًا في حلاوة التلحين !  
ناعم ، حالم ، شجي حنون  
في حنان ، ورقة ، وحنين  
علوي ، منعم ، موزون  
(للضياء البنفسجي الحزين )  
كخيالات حالم ، مفتون  
لسحر الأسي ، وسحر السكون )  
وبفنى ، مثل المنى ، في سكون )  
بمزماره الصغير الأمين )  
حياة الهوى ، وروح الحنين )  
والزهر ، والشذى ، واللحون )  
على السهل والربي والحزون )  
لهذا الثرى ، لتلك الغصون )  
بعطر الأقاح والليمون )  
لأشواق قلبي المشحون )

١- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ٢٣٥

((الزمان الذي يوشحُ أيامي بضوءِ المنى وظلِّ الشجون ))

والشاعر في هذا المقطع اعتمد بشكل واضح على تكرار صيغ بعينها تتلاحق خلف بعضها مع بعض الألفاظ لتقارب في المعاني والموسيقى، والإيحاءات والظلال الرومانسية معتمدا على العطف بحرف الواو ، مثل : الزان ، والسنديان ، والزيتون ، والأحلام، والزهر ، والشذى ، واللحون ، والربي، والحزون ..

كما استخدم صيغة الإضافة مثل : خمائل الغاب ، جمال الطبيعة ، لسحر الأسي ، سحر السكون، حياة الهوى ،روح الحنين، عطر الأقاحي ، أشواق قلبي ، وجاءت صيغة الجار والمجرور في الأبيات التي يتحدث فيها عن جمال محبوبته فيأتي قوله : أنت أشهى من الحياة ، من جمال الطبيعة، ليجمل بذلك صفات المحبوبة رمز الحياة مستعينا بنقل حاسة الرؤية إلى مجال الذوق ، راسما أبعاد صورة المحبوبة ، ثم تأتي أشباه الجمل مع ما تضاف إليه من ألفاظ لتعبر عن عناصر الجمال التي اختصت بها كقوله : في جسمك الغض ، وفي جيدك البديع ، في طرفك الساهي ، في ثغرك الجميل ، الحزين ، لصوتك الحزون ، في حلاوة التلحين ، وينتقل بعد ذلك، ليسألها عن الذي تنشد له ، فيأتي توتر جديد، وتكرر أشباه الجمل، مع بداية كل بيت، لتضيف بما فيها من تصوير وموسيقى وظلال لهذه الصيغة ، حيث يأتي الجار والمجرور وبعده الاسم الموصول وصيغة الفعل المضارع الذي يضفي حركة وانتشارا وتأملا وتفاؤلا للصورة الفنية، كقوله: للعبير الذي يرفرف ، للأغاني التي يردددها ، للربيع الذي يؤجج، للحياة التي تغني ، للنسيم الذي يضمخ ، للجمال الذي يفيض ، للزمان الذي يوشح ، واستطاع الفعل أن يدب ومن خلال التصوير حركة وحياة يمنحها للصورة ، ليعبر بذلك عن أثر الحبيبة الذي أخذ ينتشر في كل مكان من الطبيعة ، وقد تتكرر الصيغة في البيت نفسه أكثر من مرة مثل: للمساء المثل للشفق الساجي ، لسحر الأسي ، | للينابيع ، للعصافير ، للظل ، لهذا الثرى ، لتلك الغصون، ويبدو حينها متوترا وهو ينقل أجزاء من الطبيعة التي غتت لها ، لينقل عبرها ارتباط المحبوبة بعناصر الطبيعة والكون فغناؤها حياة، امتدت بعلويتها لتضم الكون ، وتنشد لعناصر الطبيعة ، لتمنحها رقة وحلاوة وعدوبة.

وبعدها رتب النعوت التي أضافت في بعض الأحيان جديدا على المعنى وأعطت ظلالا إضافية للصور مثل: عذبا عميقا، علوي منغم موزون، للضياء البنفسجي، للضباب المورد، للمساء المطل، للشفق الساجي، للعبير الذي، زمماره الصغير الأمين...، جاءت بعض الصيغ الإضافية والنعوت لتكون روافد للظلال التي تختزنها هذه الألفاظ، ويأتي السؤال من الشاعر الذي انتقل بمحبوبته بين الحواس ومن خلال التشخيص والتجسيم يعبر عن مشاعره. وتنهض الطبيعة بالمهمة فتنبري متجلية بسكونها وفيضها، بمسائها وصباحها، بريعتها وشذاها، وسهولها والخزون، وتتوالى الصيغ لتدل على توتر الشاعر، فيأتي هذا الحشد المتشابه من الصيغ اللغوية، والألفاظ المتقاربة الدلالات ليقف الشاعر عند هذه الحشود المتدفقة من فيض الوجدان، وهي تنهض بما يعتمل في نفس الشاعر من أشواق وأحلام تتأرجح بين المني والأسى والشجون والحنين، ونلاحظ بعض الإيقاع من تكرار بعض الصيغ مثل للمساء المطل، للشفق الساجي، لسحر الأسى، وسحر السكون، لما فيها من توازن، ونلاحظ التجارب القائم بين كل إيقاعين متجاورين في بيت واحد، أو في بيتين متتالين: للعبير الذي يرفرف قي الأفق، للأغاني التي يرددتها الراعي، للربيع الذي يؤجج في الدنيا، نحس بحال الشاعر في تلك الحشود المتتالية من الألفاظ، والصيغ اللغوية المتشابهة تدل على محاولة الشاعر لاستقصاء أطراف الصورة التي تعتمل في داخله لتلك المرأة التي كانت سرا من أسرار الحياة، في علاقتها مع عناصر الطبيعة المشحونة بالعاطفة والوجدان، التي تفيض بالرغبة في التعبير عن التجربة التي تتملك الشاعر وهو يدفع تجربته لتظهر إلى النور، وتأخذ الألفاظ ما في النفس، فاللفظة عند الشابي نفسية وتخرج تورا للوجود ودون تمنع، تخرج وسط التجربة فتحمل طاقاتها وتتأثر بأبعادها التي تخرج من حياة الألفاظ في سياقها الجديد (وهي في معظمها ألفاظ شعرية، بمعنى أن لكل منها القدرة على بث المشاعر، فضلا عن الأفكار، إنها ابنة الحنين والروح وقد تستحيل إلى رؤى بذاتها) وترى الشاعر كيف جعل للألفاظ مكانة مرموقة في قصائده، تلك الألفاظ التي أغنت الصورة أحيانا وأخفقت أحيانا أخرى وكانت كحشد لفظي دون طائل من ذكرها، حيث

١- إيليا الحاوي: الشعر العربي المعاصر، أبو القاسم الشابي، ص ٥١



استدعاها التقارب اللفظي أو الموسيقي أو المعنى مثل : "ناعم ، حالم، شجي ،حنون"، "لسحر الأسي ، وسحر السكون " ، "في حنان ، ورقة ، وحنين" ..... ومن هنا نرى الشاعر أنه لم يكن من الشعراء الذين يقفون عند الألفاظ أو يجري وراءها، بل جاءت ألفاظه بنت التجربة، وخرجت من رحم المعاناة، وانسجمت مع بعضها عبر الإيحاء والإيقاع ، ونجح الشاعر أحيانا كثيرة في الربط والتفاعل، بين اللغة والانفعال، فاستوى الخلق في صورة فنية رائعة ، تبدو في قصائد كاملة ، أو في مقاطع متعددة في قصائد أخرى، ولكن قد يطغى أحدهما على الآخر في قصائد أخرى فتنهمر حشود الألفاظ التي تزيح الصورة، لتحل محلها، ولتعبّر عما في نفس الشاعر ، من توتر أو ثورة أو غضب أو أشواق ترامت أطرافها، فامتدت أعناق الألفاظ تجري خلفها ، محاولة أن تنشئ صورة لما في أعماق النفس التي اضطربت نارها في قلب التجربة .

## المبحث الخامس :

\* مقارنة بين الشابي والتيجاني والهمشري .

لقد ظهرت الرومانسية كمدرسة شعرية في الأدب العربي في المهجر والوطن منذ أوائل القرن العشرين حيث وجد الشعراء فيها أرضاً مناسبة للتعبير عن حالات روحية من الألم والغربة رزح تحت وطأها أولئك الشعراء من ذل المستعمر إلى ذل الفقر والجهل وكانت تلك الأنفس قد تأثرت بما وفد من الغرب فوجدت ضالتها في الرومانسية حيث ((كانت فضائل الرومانسية الأولى أنها فجرت اللفظة التي كانت شبه علمية في الشعر الكلاسيكي وجعلتها لفظة نفسية ...))<sup>١</sup> مما ساعد هؤلاء الشعراء - من ميخائيل نعيمة وجبران خليل جبران في المهجر وغيرهم من أمثال العقاد وصلاح لبكي وشعراء مدرسة أبوللو - للتعبير عن الحالات الوجدانية والإنسانية والرؤى والمطامح التي يحملون بها .

واتفق مع مطلع القرن العشرين ، ولادة الشعراء الشابي والهمشري والتيجاني وعاشوا أعماراً متقاربة ؛ فكانت ولادة أبي القاسم الشابي في سنة /١٩٠٩م/ في قرية الشابية إحدى ضواحي توزر<sup>٢</sup> وتوفي في عام ١٩٣٤م في تونس ، وكان أبوه الشيخ محمد بن أبي القاسم الشابي قاضياً شرعياً وقد حفظ القرآن في طفولته وحصل على إجازة الحقوق وتأثر بجبران من خلال مطالعته وتزود من الأدب العربي القديم وقرأ عباقرة الغرب ممن ترجمت أعمالهم وتعرض لصدمات كثيرة في حياته وتبرم بالحياة وظهرت روح التمرد في شعره وعبر عن حبه للحياة رغم قساوتها ونشرت بعض قصائده في مجلة أبوللو حيث أصبح أحد أعضائها<sup>٣</sup>.

وقد ولد الهمشري سنة ١٩٠٨م وكان أبوه مهندساً، واطلع الهمشري على أعلام الأدب الإنجليزي ، وقد بدأ شاعراً عاطفياً رومانسياً واتصل مع جماعة أبوللو وحاول إصلاح حياة الريف ولكنه توفي وهو الحريص على الحياة المبتسم المتفائل إثر عملية جراحية في سنة ١٩٣٨م<sup>٤</sup>.

١- إيليا الحاوي : الرومانسية في الشعر الغربي والعربي ، ص ٢٣٨ .

٢- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة تحقيق ، الدكتور : إميل أ . كيا ص ٥ .

٣- أبو القاسم محمد كرو : الشابي في مرآة معاصريه ، المجلد الثالث ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين ، ص ٢٣-٢٥ .

٤- مقدمة ديوان الهمشري : جمعه صالح جودت ، مصر وزارة الثقافة القاهرة ١٩٧٤م ص ٦-١٢ .

أما التيجاني فقد ولد في أم درمان سنة ١٩١٢م وتوفي سنة ١٩٣٧م وهي مرحلة رواد النهضة الذين واجهوا الإنجليز وعاشوا للدعوة للحرية والتجديد في الأدب ، وكان أبوه فقيرا ولم يتسنّ له متابعة تحصيله وتطلع إلى التجديد متأثرا بشعراء أبوللو وخاصة أبي القاسم الشابي ، لاسيما في روح التشاؤم واستعجال الموت <sup>١</sup> .

نلاحظ اتفاق الشعراء في قرب الولادة وقرب الوفاة ، وهم أتباع مدرسة واحدة ، فعاشوا التجربة الشعرية ، وظهرت الوحدة العضوية في قصائدهم ، وحفلت أشعارهم بالتعبير بالصورة من خلال الألفاظ الحية والموحية ، وأصبح الحب عندهم له قداسة صوفية وروحية ، وقد خيم الحزن والحرمات والحديث عن الفناء والعدم في أشعارهم ، وبحثوا عن الحرية والخلاص <sup>٢</sup> ((ولكن في نظم أبي القاسم الشابي من جودة الصياغة ما لا نجد نظيره عند ناجي وعلي محمود طه )) <sup>٣</sup> . لقد بدأ الشابي حياته الشعرية بالنمط التقليدي في الصور والألفاظ ، ونجد ذلك عند التيجاني ، ثم فتن التيجاني بالتجديد ((وأراد أن يكون زعيم عصره وعبقري زمانه للشعر التجديدي في السودان )) <sup>٤</sup> . وأما الشابي فقد سار في ركاب التجديد وتفوق فقد ((سما بالتجربة الرومانسية حتى مستوى التجربة الصوفية المتفوقة )) <sup>٥</sup> وقد بدا واضحا تعلق شعراء الرومانسية بالطبيعة حيث يبث الشاعر أحزانه للطبيعة ويتخيل فيها أرواحا تحس وتشاركه مشاعره ونجد مثالا على ذلك عند أبي القاسم في قصيدة الزنبقة الزاوية التي يقول فيها <sup>٦</sup> :

أزنبقة السفح؟ ما لي أراك	تعانقك اللوعة القاسية؟
أفي قلبك الغضّ صوت اللهب	يرتل أنشودة الهاويه؟
أأسمعك الليل ندب القلوب	أأرشفك الفجر كأس الأسي؟
أصبّ عليك شعاع الغروب	نجيع الحياة ، ودمع المساء؟

١- أحمد عبد الله سامي : الشاعر السوداني التيجاني يوسف بشير ، الناشر دار البلد الخرطوم ١٩٩٩م ص٧-٩ .

٢- د ، محمد عبد المنعم خفاجي : الشابي ومدرسة أبوللو ، ص٢٠٠-٢٢٠ .

٣- عبد الله الطيب : المرشد إلى أشعار العرب وصناعتها ، ج٤ القسم الثاني ، ط٢ مطبعة جامعة الخرطوم ١٩٩٣م ، ص٦١٠ .

٤- أحمد عبد السلام سامي : مرجع سابق ، ص٧٧ .

٥- إيليا الحاوي : الرومانسية في الشعر الغربي والعربي ، ص ١٨٥ .

٦- أبو القاسم الشابي : ديوان أغاني الحياة ، ص٤٩ .

ولتتابع صورة من صور الطبيعة عند الهمشري وذلك في قصيدة طلوع الفجر التي يقول فيها <sup>١</sup>:

في سكون الليل والفجر غريق  
نبه الوسنان صياح السحر  
ما لهذا الشرق يبدو في حريق  
أذعر الأنجم منه والقمر؟  
أيها النعسان في دنيا السنن  
تتمطى في سرير الشفق

وذكر التيجاني الطبيعة في ديوانه فقد ذكر الليل ونجومه كما ذكر النيل وتغنى به في قصيدة ( في محراب النيل ) ومما جاء فيها قوله <sup>٢</sup>:

أنت يا نيل يا سليل الفراديس      نبيل موفق في مسابك  
أيها النيل في القلوب سلام الخلد      سد وقف على نصير شبابك  
أنت في مسلك الدماء وفي الأ      نفاس تجري مدويا من انسيابك

ويبدو ((للتجاني حذق وشغف باختيار اللفظ ورنين النغم فهذا مما تأعصر به)) <sup>٣</sup> وظهر كعلم من أعلام الرومانسية. وقد تغنى الهمشري بالنيل في قصيدة (أنشودة النيل) :

أبو البحار وما تحويه من سمك  
يا نهر أنت ومن ينشئ الرياحينا  
والدوح والطير والأعطار تخلقها  
واللون أخرجته يزهو أفانينا

فالتبيعة عند هؤلاء الشعراء ملاذا آمنة استطاعوا من خلالها أن يجدوا معادلا موضوعيا لطموحهم وأحلامهم ، وكانت الطبيعة في شعر الشابي بعناصرها المختلفة أوضح وأعماق أثرا مما جاء عند الهمشري أو التيجاني. وقد تميز الشاعر الرومانسي بحب الليل فالليل موطن الأسرار ، حيث يذكر بانقضاء الحياة وزوالها و لتتابع ليل الهمشري <sup>٤</sup>:

١- الهمشري : ديوان الهمشري ، جمعه وقدم له صالح جودت ، د ط ، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٤م ، ص. ٢٠١.  
٢- التجاني يوسف بشير : ديوان إشراقة ، ط٦ ، الناشر دار البلد الخرطوم ١٩٩٩م ، ص١٤٣-١٤٤.  
٣- د عيد الله الطيب مرجع سابق ، ص ٦٢٧.  
٤- الهمشري : مرجع سابق ، ص. ٢٢٢.

ها هو الليل كما كان بدا  
يحمل الحزن لقلبي والحنين  
هيكل الأحزان.. في محرابه

قرب العشاق قربان العيون  
عطره أحزان أزهار الربا  
ونداه عبرات البائسين

نلاحظ الصور الشعرية تتدفق من فيض الوجدان لتعبر عن التجربة الشعرية من خلال ألفاظ المعجم الرومانسي الذي اشترك فيه هؤلاء الشعراء وأقرانهم الذين ساروا على نهجهم .

وها هو التيجاني يعبر عن آثار الليل على الأرواح والنفوس حيث يقول:<sup>١</sup>

أذن الليل يا نبي المشاعر      وغفت ضجة ونامت مزاهر  
دفق العطر في صدور الروابي      مستجيشا وفاض ملء المحاسر  
وسرت في الورود أنفاس ريا      روحك العنبري والورد ناضر  
قم لموحاك في الدجى بين صحوا      ن ندي وبين سهران ساكر

الصورة تتدفق وسط الليل الذي ملأها حركة وعطورا وإيمانا، وصار مكانا مناسبا للوحي والإلهام . ولنتابع صورة الليل عند الهمشري تلك الصورة التي تعبر عن آلام أحاطت يفضي بها الشاعر حيث قال :<sup>٢</sup>

أيها الليل أتينا نشـتـكي      فاستمع شكوى الحزاني المتعبين  
هدنا الحزن وأضنانا الأسي      وبرانا الوجد في دنيا الشجون  
هذه أغنيتي رتلتها      لك يا دنياي في دير السكون  
لحنها أنتِ وحزني وقعها      ونذير الموت بعض السامعين  
أعذب الألحان لحن أفرغت      فيه أنات الأسي طي الحنين

٢- التيجاني يوسف بشير :مرجع سابق ص ١١١  
٣- الهمشري : مرجع سابق ،ص ٢٢٤ .

وهذا يدل على نزعة الألم في شعر المهمشري ، وعلى شدة الإحساس ورقة المشاعر والاتحاد مع الطبيعة في التعبير عن الألم .

ويبدو تعلق الشابي بالطبيعة عندما يعبر عن تجربته متفوقا في ألفاظه وموسيقاه ومعانيه حيث تتمثل روح الشابي تنمو في أطراف الكون وتتغلغل في أحضان الطبيعة لتعبر عن الأمل والآلام التي لا تتوقف عند رؤية واضحة بل تتداخل المشاعر لتعبر عما في النفس من أحزان ولنقف عند قصيدة ( أيها الليل ) :<sup>١</sup>

أيها الليل ! يا أبا البؤس والهو      ل ! ويا هيكل الحياة الرهيب  
فيك تجتو عرائس الأمل العذ      ب ، تصلي بصوتها المحبوب  
أيها الليل ! أنت نغم شجي      في شفاه الدهور ، بين النحيب  
إن أنشودة السكون التي ترتج      في صدرك الركود الرحيب  
تسمع النفس ، في هدوء الأمانى      رنة الحق ، والجمال الخلوب  
فتصوغ القلوب منها أغاريدا      تمز الحياة هز الخطوب  
فلك الله ! من فؤاد رحيم      ولك الله ! من فؤاد كئيب  
يهجع الكون ، في طمأنينة العصفور ،      طفلاً بصدرك الغريب  
صاح ! إن الحياة أنشودة الحز      ن فرتل على الحياة نحبي

وتبدو الغربة في الكون من خلال هذه الأبيات والتي تعبر عن صدق انفعالات الشاعر وحيويتها . وهذه الأبيات وغيرها تبين علاقة وطيدة بين الشاعر والطبيعة التي حملها الشاعر الأحاسيس والمشاعر .

وقد جاءت الطبيعة عند التيجاني لتعبر عن سحرها وأثرها على نفسه ولكن لا نرى ما يجري من علاقة حميمة بين الشابي والطبيعة حيث لا تخلو قصيدة من قصائد ديوانه من ذكر للطبيعة و نتابع التيجاني في قصيدة (فجر في صحراء) :<sup>٢</sup>

املاً الروح من سنا قدسي      مبهم كالرؤى وديع رضي  
قمري كأنما سكب البد      ر عليه من فيضه القمري

١- أبو القاسم الشابي : ديوان أغاني الحياة ، ص ٧٣ .  
٢- التيجاني يوسف بشير ، مرجع سابق ، ص ١١٤ .

واغمر القلب من مفاض من الفجر وضيء جم الندى عبقري  
نرى تفوق اللغة عند الشابي والبيجاني والهمشري لغة تتفاعل مع الخارج و الطبيعة في التعبير  
عن رؤى الشاعر وتجربته ، والمدرسة الرومانسية التي ينتمي إليها الشعراء تتفق في بروز الطبيعة في  
أشعارهم ما أكثر القصائد التي يقف فيها الشابي على مظاهر الطبيعة .

ومن المظاهر المشتركة عند الرومانسيين الحديث عن الألم وفي ذلك يقول الشابي :<sup>١</sup>

مهما تضاحكت الدنيا فإنني أبداً كئيب  
أصغي لأوجاع الكآبة ، و الكآبة لا تجيب  
في مهجتي تتأوه البلوى ، و يعتلج النحيب  
ويضج جبار الأسى ، وتجيش أمواج الكروب  
إنني أنا الروح الذي سيظل في الدنيا غريب  
ويعيش مضطرباً بأحزان الشيبية والمشيب

وكان الحديث عن الموت يدل على شعور الشاعر بدنو أجله فيقول مخاطباً قلبه :<sup>٢</sup>

أيها الساري مع الظلمة ، في غير أناة  
مطرقاً يخبط في الصحراء، مكبوح الشكاة  
تقت في الدنيا ، وما أبت بغير الحسرات  
صلِّ يا قلبي إلى الله ، فإن الموت آت  
صلِّ فالنازعُ لا تبقى له غير الصلاة

ولقد نظر الشابي في الموت ، فوجده حياة أبدية حياة فيها الخلاص من الدنيا ومصائبها

وكانه رحلة سعيدة فيها الحياة الحقيقية :<sup>٣</sup>

هو الموتُ طيف الخلود الجميلُ  
هنالك... خلفَ الفضاءِ البعيدِ  
يضمُّ القلوبَ إلى صدره  
وبيعتُ فيها ربيعَ الحياةِ  
ونصفُ الحياةِ الذي لا ينوح  
يعيشُ المنون القوي الصبوح  
ليأسو ما مضى من جروح  
ويبهجها بالصباح الفروح

١- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ١٢٦ .

٢- المصدر السابق نفسه ، ص ١٣٤ .

٣- المصدر السابق نفسه ، ص ١١٦ .

لقد استطاع الشابي بهذه النظرة الفلسفية بعد أن تيقن من دنو الموت أن يجعله عالماً فرحاً وسعيداً معبراً في ذلك عن عمق إيماني .

وهاهو الهمشري يصور الموت الذي يحلم به في قصيدة العودة التي يقول فيها :<sup>١</sup>

أتيتُ لألقي في ظلالك راحةً  
فيهذا قلبي وهو لهفان حائر  
أموت قرير العين فيك منكما  
يخدرني نفح من المرج عاطر  
ويلحفني هذا البنفسج ، ولتكن  
مسارح عيني ... الربا والمحاضر

الشاعر يرى الموت الجميل في الطبيعة راحة ورحمة . لقد نهل أولئك الشعراء من معجم تقاربت مصادره ، فكانت الطبيعة هي النبع الثر الذي عبروا من خلاله عن تجاربهم ، وبدا الشابي أشد ولعا بالطبيعة وفلسفة الحياة ، ووحدة الوجود، ونجد مثالا على ذلك في شعر التيجاني حيث يقول :<sup>٢</sup>

هذه الذرة كم تحم — ل في العالم سرا  
قف لديها وامتزج في ذاتها عمقا وغورا  
وانطلق في جوها المملوء إيمانا وبرا  
وتنقل بين كبرى في الذراري وصغرى  
تركل الكون لا يفت — ر تسبيحا وذكرا

ويبدو التشابه بين الشابي والتيجاني والهمشري في استخدام اللفظة الرومانسية والمعاني والصور التي انتشرت في أشعار أتباع هذه المدرسة .

كما اتفق الشعراء بتعدد القافية في القصيدة الواحدة ، وانفرد الشابي في تغنيته بالشعر حيث ارتبطت الشعور بالشعر في مواضع مختلفة في الديوان وكان الشاعر جعل

١- الهمشري : مرجع سابق ، ص. ١٩٣  
٢- الهمشري : مرجع سابق ، ص. ١٢٤



الشعر همه في الحياة يعيش به وله ، ونرى التوحد بين قلب الشاعر والشعر والوجود  
بأسره في قوله :<sup>١</sup>

أنت يا شعر ، فلذة من فؤادي      تنغني ، وقطعة من وجودي  
فيك ما في جوانحي من حنينٍ      أبدي إلى صميم الوجود  
فيك ما في خواطري من بكاءٍ      فيك ما في عواطفي من نشيد  
فيك يمشي شتاء أيامي البا      كي ، وترغي صواعقي ورعودي  
فيك ما في الوجود من حلك، دا      ج ، وما فيه من ضياء بعيد

وهكذا نجد وضوح الرؤيا الإبداعية عند هؤلاء الشعراء وعند غيرهم من شعراء أبوللو  
حيث نجد السمة الإنسانية ونبض الحياة تطغيان على ما يعبر عنه الشاعر ، وقد  
استطاعوا أن يجدوا معجما شعريا جديدا تبدو فيه أهمية اللفظة الشعرية التي تحمل  
طاقات جديدة من روح الشاعر فتمتزج في أعماق التجربة .

١- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ١٢٧

# الفصل الثالث

## دور الخيال في الصورة الفنية

١ - تمهيد.

٢ - المبحث الأول : الصورة والتشبيه .

٣ - المبحث الثاني : الصورة والاستعارة .

٤ - المبحث الثالث : الصورة والرمز .

٥ - المبحث الرابع : الصورة والمنهج الأسطوري .

## تمهيد:

الخيال نعمة الله للخلق ، وبالخيال توصل العلماء لمخترعاتهم ، وغاصوا خلف الجهول ، وقربوا البعيد ووضعوا حلولاً لمشكلاتهم ، وبالخيال عبّر الفنان عما في وجدانه، ولقد تطور مفهوم الخيال مع تطور الحياة.

جاء الخيال في الشعر التقليدي موافقاً لما ورد عند البلاغيين العرب في إخضاع الخيال للعقل وارتكازه على الذاكرة، وتميزه بالحسية والموضوعية والصدق ، لذلك وصف بالخيال الصناعي أو البلاغي الذي ((يستمد كيانه من الموروث أو الخبرة وليس من الابتكار والتأليف))<sup>١</sup> وجاءت الصورة حسية ضيقة لأنها تعتمد على المشابهة والوضوح بين طرفي الصورة في التشبيه أو الاستعارة ، وإن الفصل بين عناصر طرفي الصورة في التشبيه أو الاستعارة أضرت بقيمة الصورة ((هذه النظرة الثنائية الانفصالية التي تشطر الاستعارة إلى مركبيها نظرة ضيقة ومحطمة للشكل البلاغي ولوحدته))<sup>٢</sup> فتخرج بذلك الاستعارة عن التعبير والتفاعل وتنفصل عن القصيدة ((ولقد أكد النقد العربي القديم أن النشاط التخيلي الشعري ليس خلقاً حقيقياً وإنما هو تحسين وتقبيح))<sup>٣</sup> وكان الخيال حسياً خاضعاً لمنطق العقل يقف عند الحدود الخارجية للصورة دون أن يتفاعل معها أو أن يكون له دور في العمل الفني سوى تضخيم وإيضاح الصورة الخارجية.<sup>٤</sup>

لقد جاءت الصورة الفنية في الشعر التقليدي تقريرية ومباشرة؛ تعتمد على الخيال الصناعي فالشاعر ((عندما كان ينشئ أبنيته الفنية كان يولدها توليداً منطقياً))<sup>٥</sup> ، وكانت خارجية هدفها التزيين؛ فجاءت إضافية ، واعتمدت ((نمطين من تقرير المعنى: النمط الحرفي الإشاري والنمط الصوري البلاغي ، وعلاقة الثاني بالأول علاقة التابع بالمتبوع))<sup>٦</sup> وكان الشاعر يقصد منها الشرح والتزيين ، وحينئذ كانت الصورة تعتمد

١- د- نعيم اليافي: الشعر العربي الحديث، ب ط ، وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٨١ م، ص ٣٤

٢- د- نعيم اليافي : مقدمة لدراسة الصورة الفنية ، ص ٥٨

٣- د- تامر سلوم : نظرية اللغة والجمال في النقد العربي ، ط١ ، دار الحوار اللاذقية سوريا ١٩٨٣ م ص ١٧٠ .

٤- إيليا الحاوي: في النقد والأدب ، الجزء الأول ، ط٤ ، دار الكتاب اللبناني بيروت ١٩٧٩ ، ص ١٢٦-١٢٧ .

٥- د- نعيم اليافي: مقدمة لدراسة الصورة الفنية ، ص ٦١ .

٦- د- نعيم اليافي: تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث ، ص ١٣ .

على المنطق، والمحاكاة العقلية، حيث نجد في التراث البلاغي توضيح لعملها ((يستعمل النشاط الخيالي في الموروث النقدي والبلاغي، للدلالة على كل ماله صلة بإنتاج الصور الحسية أو تصور أشياء غائبة عن الحس. ويطلق - أحيانا - مرادفا لمفهوم (الصورة) أو استخدام اللغة التصويرية كالتشبيه والاستعارة والمجاز))<sup>١</sup>. وهذه الآراء هي أهم ما جاء في كتب البلاغيين في التراث حول مفهوم الخيال والصورة والذي ظهر بوضوح عند أتباع مدرسة التقليد، ((والبلاغة التقليدية أرجعت المركبات الفنية إلى أصل واحد هو ((المشابهة))، وأباحت استعارة اللفظ أو نقله من مجاله إلى مجال آخر شريطة أن يتم النقل في نطاق القانون الشهير ((الجامع في كل))، ولكن لا المشابهة ولا الجامع في كل يستطيعان أن يفسرا العلاقات الجديدة..... في المدرسة الرومانسية))<sup>٢</sup>.

وجاء أتباع المدرسة الرومانسية ووجدوا الخيال في الشعر التقليدي قاصرا ومحدودا لذلك تركوا للخيال الدخول إلى الواقع من خلال ذات الشاعر، وإعادة الأشياء والواقع بصورة جديدة وطريفة وممتعة ومفيدة تتفاعل معها ونشعر بفيض الحب المتدفق فيها، يعني هذا أن الخيال صار ((ضرورة ملحة، ونبعا فياضا، وطاقة متمكنة، ورؤية ملهمة، وطريقا إلى المعرفة، وقوة عظيمة تشمل جميع ملكات الإنسان))<sup>٣</sup> هذا الخيال الذي آمن به أتباع الرومانسية وانتشر في أشعارهم، وتجاوزت الصورة هذا المفهوم عبر الخيال الذي هو الملكة العجيبة التي تمنحنا التعبير عن تطلعاتنا وأحلامنا، وعمما في وجداننا، وبواسطتها يصير العالم الخارجي خاضعا لأوامرنا، ويعبر عما في أنفسنا، فيستهض بالصورة عوالم جديدة ومدهشة. والشاعر يعيد تشكيل الظواهر الخارجية عن طريق الخيال وفق نسق نفسي خاص، يعبر عما في وجدانه من رؤى، تخرج من عمق التجربة عبر الخيال، لتنهض صوراً حية جديدة ومدهشة ورائعة، وتبدو العلاقة وطيدة بين الشاعر والعالم الخارجي، إنها علاقة تتفاعل حقيقي، فالطبيعة وعناصر الكون تنطق، وتخزن، وتضحك، وتتأمل، وفق رؤيا الشاعر وتطلعاته، ((والرؤيا الشعرية هي نوع من الظلال النفسية التي لا حدود

١- د- تامر سلوم: مرجع سابق، ص ١٧٠.  
٢- د- نعيم اليافي: مقدمة لدراسة الصورة الفنية، ص ٦٥.  
٣- د- نعيم اليافي: الشعر العربي الحديث، ص ١١٦.

فيها .إنها الرؤيا التي تنفذ فيها النفس على وحدة الوجود ))<sup>١</sup> وتكون هي الخلق الجديد لمواد وعناصر تقوم الصورة بها، وعندئذ نتلقاها وقد دبت فيها حياة جديدة تعبر عما في وجدان الشاعر ،فتدهشنا وتشدنا إليها .

أصبحت الصورة الفنية تعبر عن التجربة الشعرية لدى الشاعر وهي تقوم ((بثلاث مهام أو وظائف رئيسة هي : التأثير والإيحاء والإضافة .))<sup>٢</sup> وظهرت مستويات جديدة للصورة التي صارت وسيلة فاعلة وأساسية في القصيدة، ويجعل الشاعر الصورة نافذة تطل أفكاره وانفعالاته بعبر من خلالها عن تجربته الشعرية فالموقف الرومانسي (( اعتبر الصورة التي تتكون من الكلمات صورة تعبيرية وليست صورة مشابهة ))<sup>٣</sup> أي خرجت الصورة من دائرة المنطق والعقل ،ونقلها الخيال إلى ساحة الوجدان والانفعال ،والخيال ينبثق من أحضان الحالة النفسية لتجربة الشاعر الشعرية ،فتكتسي الصورة بذلك كثيرا من الإيحاءات والدلالات الممتدة في عالم مدهش يتمناه الشاعر، أو يمتزج به فلا ينفصل عنه ،ويتعانق الذاتي الخاص ليتوحد مع الكوني العام ، وينطلق الشاعر في ذلك متوافقا مع مبادئ الرومانسية ، حيث يهجر ما اعتمدت عليه الصورة البلاغية البسيطة ،والصورة التقليدية ، من تقرير ومباشرة وخضوع لمنطق الإيضاح والتفسير .

ونلاحظ أنواعاً مختلفة للصور ،من الصور السريعة والمتعجلة إلى الصور المركبة ،والممتدة ،والتي يتجاوز فيها الشاعر المقطع، والتي قد تمتد أحيانا أخرى لتصير رؤيا تشمل القصيدة برمتها ؛ وتأتي الرموز والأساطير لتلعب دورا بارزا في التعبير عن الصورة الفنية التي تتوالد فيها ألوان جديدة من الحياة والظلال والحركة عبر الخيال . و للخيال دور رائد في ذلك ، حيث تولد الصور وفق رؤيا الشاعر ، و من رحم المعاناة ، لتمتلك المفاتيح التي تولد الإثارة والتفاعل بين الشاعر والمتلقي ، حيث يقف المتلقي إلى جانب الشاعر في عالم ينبض بالمدحش والجديد والمثير .

والشابي يعتبر من أحد رواد الرومانسية (( وقيمة الشابي في أنه وفق غالبا إلى تلمس الحقائق الحية وتجسيدها في أطر موحية ،لا تقصّر عنها ، بحيث تقنعك وتروعك

١- إيليا الحاوي : في النقد والأدب ،ص١٣٢ .

٢- نعيم البياي : تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث ، ص١٠٠ .

٣- نعيم البياي : مقدمة لدراسة الصورة الغنية ، ص ١١٠ .

بالدهشة والكشف ، في آن معا<sup>١</sup> ) ورغم ذلك نجد كثيرا من التقرير والتكرار في أغلب قصائده، غير أنه يتجاوز ذلك ليصل في بقية أشعاره ، التي عبر من خلالها عن علاقة الذات بالوجود ، فجاءت صور الوجود صور شفافة ترفل بالوجدان النابض بالجمال ، والبعيد عن التعقيد والغرابة؛ الصادرة عن النفس والوجدان والطبع ، فالصورة هي التعبير عن التجربة التي تحتوي (( المادي والروحي ، المسموع والمرئي ، الصوت واللون ، الإنسان والطبيعة ، الكثيف والرهيف ، الذات والموضوع ، الثابت والمتحول ))<sup>٢</sup> . ومن هنا طغت الاستعارة التي أخذت مفهوما جديدا ومن خلال التشخيص والتجسيد على الأشكال البلاغية الأخرى وخاصة الاستعارة المكنية ، التي عبر الشاعر بواسطتها عن صور الطبيعة التي صارت تشعر وتحس وتتحدث وتتألم وتغضب وتحزن وتعشق ، ولقد اتسع مفهوم الصورة عند الشابي ، وانتقل من الصورة الجزئية البسيطة إلى الصورة الحية ، حيث اتسعت آفاق التجربة لدى الشاعر ، وأخذ الذاتي بنواصي العام ، ليحل الشاعر لحنا يتردد صدها في الكون الذي يبصره بروحه وخياله، حاملا صوت الإنسان باحثا عن الدفء مناهضا للظلم عبر خيال يشع ويتألق أحيانا كاشفا عبر الصور حقائق الحياة والوجود ، أو تتوقف الصورة عند حدود التقرير والتفسير والتكرار أحيانا أخرى ، ولقد جاءت أغلب صور ه طريفة عبر الخيال الذي يحاول تلمس الرؤيا التي يعيش بها الشاعر ، عبر تيارات الانفعال التي تنمو على ورود وآمال الرؤيا وفي آلامها . وسنقف إن شاء الله في المباحث القادمة في هذا الفصل بشكل تفصيلي عند المكونات الأساسية للصورة .

١- إيليا الحاوي : الشعر العربي المعاصر ج ٣ ، ص ٥٧ .  
٢- طه وادي : شعر ناجي الموقف والأداة ، ط ٢ ، دار المعارف ١٩٨٢ م ، ص ١١٧

## المبحث الأول:

\* دور التشبيه في الصورة الفنية:

التشبيه هو الأداة البلاغية العريقة، والتي قد جاءت قديماً للتوضيح والتفسير، وقد حظي التشبيه بالمكانة البارزة عند النقاد العرب القدامى، ونسبوا إليه فضل السبق عندما قارنوا بين الشعراء، يقول القاضي في الموازنة: ((وكانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء في الجودة والحسن.. وتسلم السبق فيه لمن وصف فأجاد، وشبه فقارب..))<sup>١</sup>، وحدد القدماء الصورة التشبيهية بالعقل وجعلوا هدفها الوضوح، ونجد عند عبد القاهر الجرجاني نظرة أعمق وأبعد أثراً في التشبيه حيث نقل الصورة الناتجة عن التشبيه من المدارك العقلية إلى ساحات الخيال ((وهنا يجد الشاعر سبيلاً إلى أن يبدع ويزيد، ويبدئ في اختراع الصورة ويعيد، ويصادف مضطرباً كيف شاء واسعاً، ومدى من المعاني متتابعاً))<sup>٢</sup> فأصبح وجود الغموض مع هذه الدعوة دلالة على فية التشبيه وتفوقه، فنقل بذلك التشبيه من الوضوح والمقاربة إلى الغموض الذي يدل على الجمال والعدوثة، وصارت تقاس مهارة الشاعر بقدرته على مزج الحقيقة في الخيال في الصورة التشبيهية، ورغم ذلك فقد سيطر على التشبيه في الموروث النقدي إشارات المقاربة والمقارنة والمبالغة والوضوح والبيان<sup>٣</sup>.

اعتمد الشابي في بداياته على التشبيه البلاغي، الذي يخضع لسلطان العقل، ويهدف إلى الإيضاح والتفسير، لذلك جاءت صورته وصفية بصرية؛ لأنها تقوم على المستوى التقليدي؛ حيث يعتمد على المشابهة المنطقية بين طرفي الصورة، المشبه والمشبه به، ولم يكن غرضه من ذلك سوى إثبات وجوده في بيئة جعلت القديم في المقدمة وله الريادة، وتكون الصورة عندئذ جامدة لأنها تقتصر على الزينة الشكلية، والإيضاح والتفسير.

١- القاضي الجرجاني: الوساطة، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي الجاوي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٦م، ص ٣٢.

٢- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ط ١، دار الكتاب العربي بيروت ١٩٩٦م، ص ٣٤٣.

٣- د- تامر سلوم: مرجع سابق، ص ٢٦٢.

ولكنه تجاوز فيما بعد ذلك إلى الصورة النامية التي تتصف بالحركة والظلال النفسية من خلال التشبيهات ذات الدلالة الوجدانية والخيالية ، و التي اعتمدت على الخيال الذي أبدع وأدهش وأعطى صوراً جديدة تدل على تفوق الخيال في التعبير عما في النفس من توترات ، أعادت تنظيم عناصر الصورة وفق الرؤيا التي جاءت من أعماق التجربة الشعرية .

### أ - المستوى الأول : التشبيه الحسي :

لقد انتشر في أشعار العرب ، وتحدث عنه البلاغيون مطولاً ، وعرفه شعراء مدرسة التقليد في العصر الحديث ، والشاعر الذي يستخدم هذا النوع (( عندما كان ينشئ أبنيته الفنية كان يولدها توليداً منطقياً ، ويدرك العلاقة بينها إدراكاً عقلياً ، ويقوم الصلات وينسبها بعضها إلى بعض بطريقة خارجية موضوعية دون أن يربطها بشعوره))<sup>١</sup> والشابي عندما بنى صورته الفنية على هذا اللون من التشبيه لم يخرج عن هذه الحدود ، وظهر ذلك في الصور التي ينقلها لنا لتدل على المقدرة الشكلية البعيدة عن العاطفة والوجدان ، وعلى تقليد القدماء في نظمهم وصورهم ، وعلى تفوقه في هذا اللون أمام معاصريه<sup>٢</sup> ، ومن ذلك قوله من قصيدة (الفتنة الساحرة)<sup>٣</sup> :

ماء الحياة بخدها متموجٌ      كتموج الأنوارِ بالمشكاةِ

الصورة حسية واقعية ؛ تعتمد على الملاحظة للمبالغة والتوضيح ؛ فأنوار المشكاة في تموجها وإضاءتها؛ تتفوق على الأنوار الصادرة عن المشبه وجه الحبوبة ؛ و الصورة توضيحية خالية من الأحاسيس، ولم تخرج عن المؤلف في التراث الشعري العربي .

ومن هذا القبيل قوله :<sup>٤</sup>

فالحبُّ في طغيانه      كالسيلِ إما ينهمر

أراد الشاعر أن يصور طغيان الحب ، فوجد صورة المشبه به السيل الذي ينهمر ، وشبه طغيان الحب بأنهمار السيل الجارف الذي لا يقف في وجهه شيء ، والغرض من

١- د - نعيم اليافي : مقدمة لدراسة الصورة الفنية ، ص ٦١ .

٢- مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين : دورة أبو القاسم الشابي ، ص ٢٩-٣٣ .

٣- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ٢٠ .

٤- امصدر السابق ، ص ٢١ .



الصورة توضيح آثار الحب الزائد، وهنا شبه أثر الحب المعنوي بالمشبه به الحسي السيل الجارف بغرض التوضيح، وإظهار قوة الأثر، ولم يخرج في هذه الصورة عن النمط التقليدي .

وقوله من قصيدة كهرباء الغرام :<sup>١</sup>

يرسلُ اللحظَ للقلوب كنور  
فإذا مسها ، فنار المنون

الصورة في الشطر الأول يشبه فيها النظرات بالنور على سبيل الإيضاح، فالنظرات تضيء القلب مثل إضاءة النور للظلام ، والغرض منها إظهار الأثر وزيادته في المشبه به بغرض زيادة بيان المعنى ، فالرابط بين المشبه والمشبه به رابط منطقي ، أما الشطر الثاني فالصورة فيه نتيجة لسبب، يصور فيها أثر النظرات في القلوب، إنها نار المنون، حيث وصول أثر اللحظ إلى القلب حوّل الأثر من النور إلى أثر جديد ، وهو النار المشتعلة في القلوب، والصورة في أجزائها منطقية ، ولكنها تنقل الأثر النفسي الناتج عن النظرات ، والحالة الجديدة التي صار إليها أثر الحب ، دون أن يعبر عن تأثيره بالموقف بل يصف ويقرر ، والصورة الجديدة نتيجة وأثر، ولا تخرج عن حدود المنطق ، وهي من النمط التقليدي .

ومن ذلك قوله :<sup>٢</sup>

أراك ، فتخفقُ أعصابُ قلبي  
وتهتزُّ مثلَ اهتزازِ الوترِ

الصورة تقريرية بأداة التشبيه مثل، ولو خرجت دلالة الفعل بالصورة إلى أفق أوسع ودلالات أبعد من كون المشبه بالاسم ، والصورة تدل على ما في نفس الشاعر تجاه الحب ، وهي تخضع للمنطق فصورة قلبه المهتز تشبه صورة اهتزاز الوتر رغم أنها تخضع لما قبلها ، وتمتد إلى ما بعدها، فتتمو وتتغير، أما إذا وقفنا عند هذه الصورة منفردة ، فتبدو باهتة بعيدة عن الطرافة والتوتر .

ومنها قوله :<sup>٣</sup>

أنتِ كالزهرةِ الجميلةِ في الغاب  
لكن ما بينَ شوكِ ودودِ

١- المصدر السابق ، ص ١٩ .

٢- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ١٨٣ .

٣- المصدر السابق، ص ٢١٧ .

ففي الشطر الأول أتت الصورة حسية خارجية ، لا جديد فيها بل هي تكرار للصور البلاغية التراثية ، تعتمد على المنطق حيث الشكل الخارجي ، المرأة كالزهرة في جمالها . ومن التشبيه التقليدي الذي يعتمد على المظهر الخارجي والحواس قوله من قصيدة ((غرفة من يم ))<sup>١</sup> :

والموتُ كالماردِ الجبار ، منتصبٌ في الأرضِ ، يخطفُ من قد خاناه الأجل  
والصورة حسية ، فالشاعر يشبه الموت الذي يقضي على الناس بالمارد ؛ الذي يحصد  
الأرواح التي يأتيها الأجل ، والجامع بين طرفي التشبيه خارجي ، والموت لا يشاهد  
بالعين بل نرى أثره فصوره بميئة المارد الذي يقف في الدنيا ، ليأخذ أرواح من يأتيهم  
الأجل ، وجاءت الصورة لغرض الإيضاح .

ومن الصور الحسية التي تعتمد على الحواس ، وتراعي الحدود المنطقية للتشبيه ، ما جاء في قصيدة إلى طغاة العالم<sup>٢</sup> :

تأمل هنالك .. أنى حصدت رؤوس الورى ، وزهور الأمل  
رويت بالدم قلب التراب وأشربته الدمع حتى ثمل  
سيجرفك السيل سيل الدماء ويأكلك العاصف المشتعل

يتضح أن الشاعر اعتمد على التشبيه في القصيدة ، وكان الرابط منطقياً بين طرفي التشبيه ، والصورة عقلية ، ومدركة بالحواس ، وهي تفسيرية ، وقد جاء التشبيه على صورة تركيب إضافي من مثل : سيل الدماء ، والصورة تقوم بدور الإيضاح ، وتصدر عن الحواس الخارجية التي تشكلها من خلال رابط منطقي يجمع بين المشبه والمشبه به . ومن التشبيه التمثيلي ما جاء في قوله<sup>٣</sup> :

وإذا ما استخفني عبث الناس تبسمت في أسى وجمود  
بسمه مرة ، كأني أستل من الشوك ذابلات الورود

الصورة مستمدة من متعدد والتشبيه تشبيه تمثيل قائم على أن تلك البسمة تخرج موشاة بالحزن والألم الناتج عن عبث الناس وسخفهم ، فالألم الناتج عن التبسم وسط

١- أبو القاسم الشابي أغاني الحياة ، ص ٣٩ .

٢- المصدر السابق ، ص ٢٥٥ .

٣- المصدر السابق ، ص ١٨٠ .

الحالة التي يعيش بها أشبه بالألم الناتج عند من يريد ، أن يسرع بالإمساك بوردة ذابلة من بين الأشواك ، والتشبيه قائم على المقارنة التي تتماشى مع سلطان العقل ، ولا نرى من أثر نفسي في المشبه . وبذلك نتبين أن الشاعر في قصائده الأولى كان تقليدياً لإثبات وجود وتمكن من ناصية القوافي ، ولكن سرعان ما بان الطريق أمامه ، فمشى يحمل بين جنباته الحياة بأطيافها وتوتراتها وتناقضاتها . وكما نجد في قصائد مختلفة من الديوان أمثلة لهذا النوع من التشبيه البلاغي ؛ الذي يقف فيه الشاعر عند الحدود الحسية للصورة

### ب- المستوى الثاني : التشبيه النفسي :

أما النوع الآخر من التشبيه الذي يتجاوز فيه الشاعر العلاقة الخارجية ، ليعبر بالخيال عن العلاقة الحيوية بين كوامن النفس والطبيعة ، وفق (الرؤيا) ، حيث عالم الشاعر المليء كالحياة فالصورة التعبيرية تعتمد على ما تركه من أثر في أنفسنا ، حيث ((إن أوجه المغايرة والمشاكلة أصبحتا ظاهرتين لعملية واحدة يكبح فيها كل وجه الوجه الآخر بحيث تندمجان معا وتتحدان في التركيب الجديد الذي ليس هو حاصل جمعهما بل نتيجة تزاوجهما وتداخلهما مع بعضهما))<sup>١</sup> وهنا اتضح الطريق أمام الشاعر ، بعد أن اطلع على ما جاء من دراسات وكتب ككتاب الديوان الذي جاء فيه ((إن أساس الحكم بموهبة شاعر عند شعراء مدرسة الديوان هو ظهور شخصية الشاعر في شعره وصدقه في الإحساس والتعبير))<sup>٢</sup> وكتاب الغربال الذي مما جاء في مقدمته ((رأيت قلماً جاهداً في طلب الشعر الصحيح شعر الحياة ، لا شعر الزخارف و العلل))<sup>٣</sup> ، وكل ما أبدعه الأدباء في المهجر وفي المشرق العربي على حد سواء ، وكما اطلع على ما ترجم عن شعراء الغرب ومدارسه ، وكلها تتفق على أن التشبيه ((يقوم على أساس تشابه داخلي أو تشابه في الواقع النفسي بين المنقول منه والمنقول إليه))<sup>٤</sup> وبعد ذلك أخذ الشاعر فهجا خاصا به ، وها هو يقول عن الشعر في رسالة لصديقه محمد الحليوي ((

١- د- نعيم اليافي : مقدمة لدراسة الصورة الفنية ، ص ١١٠ .

٢- محمد عبد المنعم خفاجي: حركات التجديد في الشعر الحديث ، ط١ ، ٢٠٠٢م ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ص ٨٦ .

٣- ميخائيل نعيمة : الغربال ، ط١١ ، ١٩٧٨م مؤسسة نوفل بيروت لبنان ص ٦ .

٤- د- نعيم اليافي : الشعر العربي الحديث ، ص ١٢٧ .

أما أنا فلا أفهم من الشعر إلا أنه : فيض الحياة في أيقظ ساعاتها وأحفلها بنوازع الفكر والشعور))<sup>١</sup> فالشعر حياة مشتركة بين الفكر والشعور ، و عبر بجياله عن نسق جديد من الصور التي تزدحم بالرؤى والطريف والجديد ، لتقترب الصورة من أن تكون هي القصيدة نفسها ،ومن ذلك ما يعرف بالتشبيه النفسي.

ومن التشبيه النفسي عندما يربط الشعر بقلبه حيث يقول في قصيدة (قلت للشعر):<sup>٢</sup>

أنت يا شعرُ ، فلذةٌ من فؤادي      تنغني وقطعةً من وجودي

فيك ما في جوانحي من حنينٍ      أبدي إلى صميم الوجود

يتضح العلاقة القائمة بين الشاعر والشعر على الترابط والحياة ، فالشعر فلذة من فؤاد الشاعر وقطعة من وجوده ، وكأن الشعر ماء الحياة للشاعر وهوؤها الذي يتنفس، ويتضح دور الشعور في التشبيه ، فالشعر فلذة من فؤاد تنغني وتحن إلى الوجود، وبذلك أجرى الشاعر الحياة في عروق الشعر . ويتابع رصد العلاقة بينهما، علاقة الوجود والحياة :<sup>٣</sup>

أنت يا شعرُ قصةٌ عن حياتي      أنت يا شعرُ صورةٌ من وجودي

أنت يا شعرُ — إن فرحتُ — أغاريدي      — وإن غنتُ — الكآبةُ — عودي

وتبدو العلاقة علاقة توحد فالشعر قصة حياة الشاعر ، وصورة عن وجوده ، وهو أغاريد الشاعر وعوده ، فالشعر ملازم له ومترايط معه وكأنهما توحد في روح واحدة لا يمكن الفصل بينهما ، وهذا التصور يرتبط مع ما تدعو إليه المدرسة الرومانسية من ترابط بين الوجدان والشعر، وأهمية تكامل الدائرة بين التجربة الشعرية وبين الذات.

ومنه قوله :<sup>٤</sup>

وقال لي الغابُ في رقةٍ      محببة مثلَ خفقِ الوترِ :

شبه الشاعر في هذه الصورة ، قول الغاب الرقيق ، بأنغام الوتر العذبة والتشبيه النفسي ، فالرقة التي يتفوه فيها الغاب تشبه الأنغام التي تخرج من الوتر ، والصورة متخيلة يراها الشاعر وينبئنا بها ، فهي خارجة من الأعماق حيث التوتر الذي منح الرؤيا شكلها

١- محمد الحلبي : رسائل الشابي، ص ١١١ .

٢- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ١٢٧ .

٣- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ١٢٨ .

٤- المصدر السابق ، ص ٢٣٢ .

وطعمها فهي صورة نفسية ، والقول جميل وممتع كجمال الموسيقى التي تصدر نغماتها العذبة عن الوتر . تجري في أنفسنا ، وتخطب مشاعرنا التي تتذوق تلك الصورة التي توقظ أطرافها في أعماقنا .

و يتابع في القصيدة نفسها :

ويفنى الجميع كحلم بديع      تألق في مهجةٍ واندثر

جاء المشبه في هذه الصورة حسي ، وجاء المشبه به نفسي ، حيث يعطي الدلالة على سرعة انصرام الحياة وتبدلها من حال الوجود إلى العدم والموت ، والخيال باد في هذه الصورة ، فالشاعر يلتقط الصورة الذهنية ، ويلخص بها المصير الختمي للإنسان ، حيث تبدو له الحياة كالحلم الرائع الذي يتألق وبسرعة يزول .

ولتتابع هذه الصورة ، التي يعبر بها الشاعر عن عناق بلا افتراق بين الشاعر والطبيعة ، حيث يرى ببصيرته الكون ، رؤيا متخيلة ، تجعل الكون شاعرا حالما ، حيث يقول من قصيدة (بقايا الخريف ) :<sup>١</sup>

وحيث الفضاء شاعرٌ حالمٌ      يناجي السهول بوحي طريف

لقد عبر الشاعر عما في نفسه ، فرأى الوجود صورة متخيلة ، حسب الصورة التي استقرت فيها ، والتي جعلها للوجود ، فجعله شاعرا حالما ، وتمتد الصورة لتعبر عن علاقة الفضاء في مناجاته للسهول ، الصورة طريفة وتخرج من باطن الرؤيا عند الشاعر ، فتتبت الذات في رحم الوجود ، ويحمل الكون أحلام الشاعر ، ويتعانق الداخل مع الخارج ، فيحمل الكون ما في نفس الشاعر من رؤى ومشاعر وأحلام .  
والصورة متخيلة والرباط بين عناصرها نفسي ناتج عن التوتر والحلم والرؤيا .

ولتتابع صورة الليل عند الشاعر ، حيث غاص في أعماق الليل ، وذلك عبر الانتقال من ((الرؤية إلى الرؤيا))<sup>٢</sup> عبر الخيال ، لينفذ إلى أعماق الليل ، ويسبغ عليه ما في نفسه ووجدانه ، فتخرج الذات ، لتندمج بالخيال ، فتبدو الروح التي تسري في نفسه ماثلة في الصورة المتخيلة أمامه ، عبر امتزاج فريد وتوحد نادر . حيث يقول :<sup>٣</sup>

١- أبو القاسم الشابي أغاني الحياة ، ص ١٠٦ .  
٢ - الفبروز أبادي : القاموس المحيط ، دار الفكر بيروت ، ١٩٩٥م ، الرؤية النظر بالعين وبالقلب . الرؤيا : ما رأته في منامك والرؤيا هي حلم الشاعر وما يطمح إليه .  
٣ - أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ٧٣ .

فلك الله ! من فؤاد رحيم      ولك الله ! من فؤاد كئيب  
يهجع الكون، في طمأنينة العصفور، طفلاً بصدرك الغريب  
شادياً، كالطيورِ بالأملِ العذ      ب ، جميلاً ، كبهجةِ الشؤبوب  
إن في قلبك الكئيب ، لمرتاداً      لأحلام كل قلب كئيب  
فيك تنمو زنايق الحُلْمِ العذ      ب ، وتذوي لدى هيب الخطوب

استطاع الشاعر من خلال الخيال الوثاب، أن يعبر بالصورة الموحية ، والفاعلة في التجربة الشعرية ، عما في نفسه فجعل الليل يحمل هذه الإنسانية الفياضة التي خرجت من نفس الشاعر ومن وجدانه ، لتلتحم عبر التجربة وفق الرؤيا المنبعثة من الخيال، لتلغي الحدود القائمة بين الشاعر والليل ، واستطاع الشابي أن يحقق الاندماج ، بين ما تفيض به الروح من مشاعر وانفعالات، وبين الليل الذي جاء وليداً جديداً خاصاً بملامحه التي ارتبطت بما في نفس الشاعر؛ إنها صورة رومانسية، تعتمد على الخيال الذي أنتجها ، و قارب بين أطرافها، ومنحها الحياة ، التي لا تتوقف ظلالتها وإيحاءاتها الممتدة خلف أطراف الحلم ، الصورة تخرج من الحسي؛ لتدخل في إطار نفسي مدهش وطريف ، الذي جاء عبر الخيال، وتجاوز الواقع والممكن إلى الرؤيا، إنها الصورة الجديدة الفاعلة في التجربة ، والتي خرجت عن إطار التزيين والزخرفة ، لتحمل عبر الاندماج بين الذات والموضوع ما في التجربة الشعرية ، و لتحضر أماننا وكأنها تولد للتو ، والصور تدل على أطراف مختلفة الانتماء ، فبعضها ينتمي إلى عالم الطفولة ، وما تحمل من براءة وصدق وحياة ، وبعضها الآخر ينتمي إلى عالم الطيور ، حيث الفرح والأمل؛ و الليل موطن الكآبة ، والأحلام النامية كالزنايق ، لقد جعل الليل يجمع المتناقضات المبتوثة في أطراف الكون .

وقد تنمو الصورة، و تمتد عبر صور جديدة ، لتعطي دلالات جديدة ، وتكشف عن رؤى ممتدة في أعماق الشاعر، تكشف ما في نفسه ووجدانه ، عبر الخيال . ومن ذلك قوله في قصيدة (زوبعة في الظلام):<sup>١</sup>

لو كانت الأيام في قبضتي      أذريتها للريح ، مثل الرمال

١- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص. ٢٥١

وقلت : ((يا ريح ، بما فاذهي

وبديها في سحيق الجبال ))  
((بل في فجاج الموت .. في عالم

فالشاعر في صورته التي يذري فيها الأيام للريح، تلك الصورة المتخيلة والنابضة بالألم من الأيام، والتي يشبه فيها الأيام بالرمال ، ناقما و طامحا باحثا عن مخرج في صراعه المستمر مع الحياة التي تهرب منه بأفراحها، وتصادر روحه بالأسى ، لذلك أراد للأيام الزوال والعدم . وهذه الرؤيا المنبثقة من أعماق المعاناة المعبرة بالخيال عن التجربة ، التي يعيشها الشاعر، تدل على رغبته في أيام آخر يتحول فيها الأسى والأحزان إلى عالم من الأمل والفرح .

وتأتي الصور لتعبر عما في نفس الشاعر من توتر وقلق، والصور تصدر عن العاطفة والوجدان، وتولد في رحم الخيال، وقد جبلت من ماء الصدق و العفوية ، لنفوز بالبساطة والدهشة ، تأتي لتبحث عن حلم عن حل ، ولتعبر عن التجربة .  
وقد تتراكم الصور، وتترادف وذلك من طباع الرومانسيين في أشعارهم، ومن ذلك قول الشاعر<sup>١</sup>:

فأهوي على الجذوع بفأسي!	أيها الشعب ! ليتني كنت حطابا
تهد القبور : رمسا برمس	ليتني كنت كالسيول ، إذا سالت
كل ما يخنق الزهور بنحسي!	ليتني كنت كالرياح ، فأطوي
كل ما أذبل الخريف بقرسي!	ليتني كنت كالشتاء ، أغشي

صور الطبيعة ، وسائل التعبير المتدفقة في تجربة الشاعر ، والتي أرادها لتكون وسائل تغيير للشعب، فتمنى أن يمتلك الشعب تلك القوى التي تبدو في صورته ، والتي يريد بها التغيير ، لذلك أجرى تلك الأمانى على الطبيعة التي توحد بها ، وجعلها شريكه الفعلي عند الغضب على أوضاع الشعب ، فكل حركة في الطبيعة لها غاية تأتي لأجلها ، ويشترك الشاعر الطبيعة، ويجعلها معادلا له تحمل همومه وأمانيه ، فالرياح والشتاء والأعاصير وسائل تطهير وتغيير ، لذلك يتمنى أن يكون كتلك الوسائل جميعا، ليغير ما

٢- المصدر السابق ، ص ١٤٦

علق في المجتمع ، ويفعل فعل الشتاء الذي يزيل ما في الطبيعة من عوالق ، ويمهد السبيل للثورة للحياة للربيع القادم .

ومن هذا النمط الذي تجاوز فيه الشاعر حدود التشبيه المادي ، وجاء بالصورة الطريفة والبدیعة المتألقة التي ولدت في أحضان الطبيعة ، فجمعت أطراف الصور في تكرار ، قلل من أهمية هذه الصور التشبيهية ، وهذا يدل على توتر وانفعال الصورة النابتة في قلب التجربة والخاضعة لسلطان النفس . و يعبر الشابي في صورته عن موقفه من المرأة التي توحدت صورتها مع صورة الطبيعة ، ومن ذلك قوله في قصيدة ((أيتها الحاملة بين العواصف))<sup>١</sup> :

ودعهم يحيون في ظلمة الإثم	وعيشي في طهر كالمحمود
كالملاك البريء ، كالوردة البيضاء ،	كالموج ، في الخضم البعيد
كأغاني الطيور ، كالشفق الساحر	كالكوكب البعيد السعيد
كثلوج الجبال ، يغمرها النور	وتسمو على غبار الصعيد
أنتِ تحت السماء روح جميل	صاغه الله من عبر الورود

محبوبة الشاعر تعبر عنها الصور المتتابعة التي تدفقت لتدل على أثر المحبوبة النفسي عند الشاعر ، وتصدر هذه الصور عن نفس حساسة ، ترتفع بالمرأة إلى مراتب السمو والطهر ، وهذا يعبر عن سمو نفس الشاعر وروحانيته التي ظهرت في صور تلك المحبوبة ، التي يقتصر وجودها على الوجدان والعواطف ، والتي جاءت من عالم آخر عالم الأنوار والأضواء حيث بداية الخلق ، وعالم الأرواح ، ومنحها في طهرها ونقاها صورة حواء الأولى ، والتي حضرت عبر خيال الشاعر ممتزجة بعواطفه وإشراقته الروحية .

ومن القصائد التي ظهرت فيها براعة الشاعر في استخدام التشبيه والمجودة في الشعر الرومانسي عموماً ، حيث تبدو عبقرية الشاعر ، وتفوقه في التصوير النفسي والروحي الناهض في خيال وثاب ، وإبداع مترامي الأطراف ، من ذلك ما جاء

١- أبو القاسم الشابي أغاني الحياة ، ص. ٢١٧



في قصيدة (( صلوات في هيكل الحب )) وسنحاول تلمس ما في هذه القصيدة من صور  
طريفة أبدعتها مخيلة رائعة :<sup>١</sup>

عذبة أنت كالطفولة ، كالأحلام  
كالسماء الضحوك كالليلة القمراء  
يا لها من وداعة وجمال  
يا لها من طهارة، تبعث التقديـ  
يا لها رقّة يكادُ يرفُّ الور  
أي شيء تُراكِ؟ هل أنت ((فينيس))  
لتعيد الشبابَ والفرح المعسولَ للعالم النعيس العמיד!  
أم ملاك الفردوس جاء إلى الأر  
أنت .. ما أنت؟ أنت رسم جميل  
فيك ما فيه من غموض وعمق  
أنت .. ما أنت؟ أنت فجرٌ من السحر تجلّى لقلبي المعمود  
فأراه الحياةَ في مونق الحسن  
أنت روح الربيع ، تحتال فــــي الدنيا فتهتزُّ رائعاتُ الورود  
وتهبُّ الحياةُ سكرى من العطر ويدوي الوجودُ بالـتغريد

يدخل الشابي إلى عالم الطبيعة والأشياء عبر الشعر، فيؤلف بجمال مدهش وفق أنظمة  
تتناغم مع ما في نفسه من رؤى وأحلام، ويبدأ بعذبة أنت، تأخذنا هذه العذوبة إلى  
حاسة الذوق ، حيث ينصرف التصوير إلى الشراب ولا ينصرف إلى جمال المرأة، ولكنه  
يتابع تصوير هذه العذوبة، فيقرأها بصورة الطفولة، ويطبعاها بصفة الأمل والفرح ،  
فالطفولة رحيل عن عالم المادة والمنطق إلى عالم اللهو والفرح والخيال والحب  
والبراءة، وهذا ما ينشده الشاعر و الرومانسيون أيضا ، لأن الطفولة مهد الوجود  
ومنع الفرح ، ولا مكان معها للتفكير في مصير الإنسان وهموم الحياة ، وزادت  
الأوصاف التي تلت من حسن صورة المحبوبة وروعتها ، والصورة كالأحلام تحمل

١ - أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ١٧٨ .

الدلالات الفياضة ، والأمانى التي تلنقى مع متعة الطفولة وفرحها النابت في أعماق الحلم ، الذي يحقق أشواق النفس وأحلامها ، واللحن القادم من صبوات النفس التي تبحث عن الأمل والبسمات والراحة والهدوء ، فالصور متخيلة وخاضعة لما في النفس من مشاعر وأحاسيس ، والصبح جديد يشرق ليطفى بنوره نوافذ الظلام ويمنح النور . والسماض ضحك ، والليله قمراء ، ويتابع الشاعر ليكمل عناصر الصور التي يلتقطها بأطراف الخيال لتعبر عن طرافة تلك المحبوبة ، التي تجاوزت بهذه الصورة المرأة الواقعية ، وصارت المرأة الحلم التي جاءت من أعماق الشاعر ، وقد أفاد التشبيه المتكرر التأكيد على محاولة التوصل إلى ملامح المحبوبة (الحلم) ، وقد بدا أثر طهارتها ، تلك الطهارة التي تبعث حياة الإيمان في قلب النعيس الضال ، وجعلت الورود تنبت في الصخور الصلدة ، إنها المرأة الملاك التي لا جسد لها ، ويتساءل الشاعر بقلق عن هذه المرأة اللطيفة ، يتساءل عنها أهي ((ربة الجمال فينيس )) ؟ القادمة من قلب الأسطورة الرومانية ، آلهة الحب والجمال ، تعود عبر الرؤيا إلى الحياة من جديد ، لتبث الفرح في القلوب الكسيرة ، والشاعر يريد أن يعيد الجمال والحب والظهر إلى بني الأرض ، لينتشر في العالم ، ويغسل الأحزان والقبح .

أم هي ملاك الفردوس ؟ القادمة من أعماق التراث الإسلامي ، ومن البعد الإيماني الذي استقر في نفس الشاعر ، حيث نجده سرعان ما ترك الأسطورة ، لأنها تنافي مبادئ الإسلام ، فإذا المحبوبة ملاك قادم من الجنة ، وبذلك يرفع مكانتها ومزلتها ، لتتجاوز حدود المتوقع والممكن ، وتختفي أداة التشبيه الكاف ، ويصير التلاحم أقرب بين طرفي الصورة ، والشاعر ينطلق من الذاتية من النفس وما فيها ليحل ما فيها على العالم ، فيملي على الطبيعة ما في نفسه ، ويجعل ما في النفس ، ينسحب على ما في الكون ، ويبدو ذلك عندما وجد المرأة التي يتحدث عنها روح الربيع ، وهي تسمو فوق البشر ، هي الفرح الدائم ، وهي السعادة التي استحضرتها رؤيا الشاعر ليدهشنا بها ؛ في التعبير عن صورة المرأة الحلم وسط روح الربيع ، فهي روح النضارة والعطور و الطيوب التي تعطر أنفاس الكون صباح مساء ، إن الشاعر يمزج بين صورة المرأة

وصورة الطبيعة عبر الخيال ، فتساوى المعطيات وتتغام الصور حاملة لغة التعبير الأولى لغة البراءة والحياة .

ويتابع تصوير المحبوبة الملاك :<sup>١</sup>

كلما أبصرتك عيناى تمشين بخطو موقّع كالنشيد

ولو نظرنا إلى الصورة النفسية التي عبر بها عن مشيتها ، فنجده نقل الخطو من الحركة المادية، وشبه أثرها بالنغم ، ليتجاوز بذلك حدود المنطق ، و يخضع الصورة للانفعال الذي تكشف عن هذه الصورة، التي تدل على ما في الجانب الخفي لنفس الشاعر من أحلام ، ولقد جاءت عفوية صادقة ، نابغة من وجدان الشاعر .

الشاعر نقل — بوحى الخيال من العناصر الظاهرة — صورة خرجت من أعماق النفس عبرت عن موقفه تجاه ما يشاهد حيث تجاوز الظاهر ، وتغلغل في الجانب الخفي المتعلق بالروح والحياة .

وانتشت روجي الكتيبة بالحب و غنت كالبلبل الغريد

الطرف الأول في هذا التشبيه روجي ، حيث استطاع الشاعر النفاذ إليه عبر الخيال ، فأبصر الشاعر الروحي حسيا على سبيل التجسيم ، وانتشر غناء الروح وكأنها بلبل غريد ، ونراه يتجاوز الحسي إلى المعنوي ، فينيط به روحا ، وتدب به الحياة والأحاسيس والمشاعر ، إنه التحول الكبير في زمن النشوة والبراءة الذي تدانت فيه الأشياء تحت وطأة تأثير تلك المرأة الأثرية ، فاكتست الرؤيا من نفس الشاعر وروحه وخياله صورا جديدة ومدهشة .

ثم يتحدث في الأبيات التالية ، عن آثار المرأة الحلم عليه وعلى الكون في آن معا، حتى أثرها البادي في الأرواح والأحلام. والشاعر برومانسيته استطاع أن يجد حلا لمعاناته وآلامه وعاد بأشعاره ليداني بدايات الحياة من جديد ، بعد أن أوهم نفسه بتلك المرأة التي جاءت وفق رؤياه لتحل — من خلال ما توهم — آلاما وأحزانا تراجعت أمام

١- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ١٧٩ .



للناس ، ولكن الحقيقة نفس مظلمة كالقبر، والصورة تحمل كثيرا من الإيحاءات والدلالات مما يعانیه الشاعر من أسى ووحشة وعذاب ، وفي ذلك يحتاج لمن يأخذ بيده لينقذه من عالم الأهوال والظلام واليأس والقنوط الذي أحيط به ، ولذلك جاءت الصورة ممتزجة بشغاف النفس .

و يتابع الشاعر تصويره في المقطع الأخير مبينا أثر المرأة الملاك عليه :<sup>١</sup>

وطيور	سحرية <sup>٢</sup> تتناغى	بأناشيد حلوة	التغريد
وقصور <sup>٣</sup>	كأنها الشفق المخضوب	أو طلعة الصباح	الوليد
وغيوم رقيقة	تتهادى	كأبائيد <sup>٤</sup>	من نثار الورود
وحياة شعرية <sup>٥</sup>	هي عندي	صورة من حياة	أهل الخلود

يضيف الشاعر من شغاف الفؤاد على التشابيه ، فابتنيت القصور بالحلم ، وجاءت مع الرؤيا، شبيهة بالشفق المخضوب ، أو طلعة الصباح الوليد ، و الرابط فيها نفسي استحضره الخيال ليوافق ما في النفس ، فأقام علاقات جديدة للتشبيه ، وهدم جدار المنطق الذي يفصل بين الحسي والنفسي ووحدهما فصدرا جديدين ومدهشين ، ونقل الداخل بما فيه من معاناة وجمعه مع الخارجي في إطار واحد ، وأزاح من بينهما الفوارق والفواصل ، ودبت المشاعر الروحانية ، تسري في الأشياء وتعطيها معنى جديدا ، وفق توترات نفسه ومعاناته . وقد ظهر ذلك واضحا في أغلب الصور التي وقفنا عندها في هذه القصيدة ، و القصيدة تطالعنا بصور الجمال العذب، والتي اكتست ظلها في بيت الطبيعة ، والشاعر يريد بذلك أن يخرج من دائرة اليأس ، ويرتمي بأحضان الأمل ساعيا إلى الله سبحانه وتعالى من خلال عناصر الحب والجمال، التي انتشرت في الكون والطبيعة ، وجعل الشاعر من الحب طريق الخلاص ، الحب والرحمة والصدق مصادر الحياة والخير والنور ، لذلك نرى النور يشع في ثنايا القصيدة، وقد تجاذبت فيها تأملات الشاعر في النفس والطبيعة ، ومن خلال المعاناة ووسط التجربة الشعرية ، نرى الشاعر يخرج من عالم اليأس والألم والمعاناة، ليدخل في

١- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ١٨١ .

عالم من النور والحب والجمال، فيه الأمل والحياة والخلاص ، عالم يشبه الجنان بما فيه من سحر الطبيعة الحلال .

ولنتابع صورة المساء في شعر الشابي ففي قصيدة ((المساء الحزين )) يقول :<sup>١</sup>  
أظل الوجود المساء الحزين      وفي كفه معزف لا يُبين  
وفي ثغره بسمات الشجون      وفي طرفه حسرات السنين  
وقبله قبلاً صامتات      كما يلثم الموت ورد الغصون

شبه الشاعر قبلات المساء الصامتة للوجود بصورة الموت الذي يلثم الورود فتذبل ويذهب رحيقها وتجف نضارتها ، وعبر الشاعر بهذه الصورة عن الأثر النفسي للحزن والأسى الساكن في نفسه وأعماقه، فالصورة نفسية متخيلة من خلال صورة رسمها للمساء وهو يقبل الوجود قبلاً صامتة ، والطرف الآخر في الصورة تقييل الموت لورود الغصون ، والصورة تدل على الحزن النابت في نفس الشاعر ، والذي أجراه على الوجود الخارجي ، فنطق بما في نفسه ووجدانه .

ويبدو الشاعر وعلى عادة الرومانسيين في ولعهم في استخدام النعوت ، قد جعل للنعوت دوراً واضحاً في الصورة ، فيكثر من استخدامها في طرفي التشبيه كما في قوله في قصيدة المساء الحزين:<sup>٢</sup>

فأغفى على صدره المطمئن      وفي رُوحه حلم مستكين  
قويُّ غلوبٌ كسحر الجفون      شجيُّ لعوبٌ ، كزهر حزين

يبدو حسن التقسيم بين شطري البيت، قد منح الصورة نغماً لطيفاً، فحلم الليل في الشطر الأول يعبر عن القوة والغلبة للمساء على الوجود، ففي رُوحه حلم في قوته يشبه قوة الأثر الصادر عن العيون ، والصورة ابنة الخيال الطالعة من وجدان الشاعر ، ولقد جمع بين صفتين متناقضتين شجي لعوب كزهر حزين ، والصورة تدل على استعجال من قبل الشاعر ، وجري وراء الألفاظ الرومانسية ، كما تدل الصورة على

١- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص. ١٠١

٢- المصدر السابق نفسه ، ص. ١٠١

التوتر النفسي للشاعر حيال موقفه من المساء ، وما في نفسه من أحزان، أَلقت بظلالها على الصورة .

و يعتقد في بعض الأحيان مقارنة بين صورتين متباينتين لموقف واحد، ومن ذلك ما جاء في (قصيدة الجمال المنشود) والتي يصور فيها موقفه من جمال المرأة، صورة تدل على الشفافية والرقّة والطهر النابت في أعماق الشاعر، وعلى البراءة والعفوية، و الصدق<sup>١</sup>:

ورأينا النهودَ تَهْتَرُ كالأزهار في نشوة الشباب السعيد  
فتنةً توقظُ الغرامَ وتذكيه و لكن ماذا وراء النهود ؟  
ما الذي خلف سحرها الحالم السكران في ذلك القرار البعيد ..؟  
أنفوس جميلةً ، كطيور الغاب تشدو بساحر التغريد  
طاهرات ، كأنها أَرَجُ الأزهار في مولد الربيع الجديد؟  
وقلوبٌ مضيئةٌ ، كنجوم الليل ضواعةً ، كغصن الورود ؟  
أم ظلامٌ ، كأنه قَطَعُ الليل ، وهولٌ يُشيبُ قلبَ الوليد

يعرض الشاعر مظاهر الصورة فالنهود في اهتزازها تشبه صورة الأزهار في اهتزازها ، ويبدو الأثر النفسي للصورة بجامع اللطف والرقّة والطهر، رغم أن الصورة تبدو حسية في ظاهرها ولكنها تحمل ما في النفس فتصير أقرب إليها ، ثم يطرح السؤال ماذا بعد تلك الفتنة ويعبر في الصورة الأولى عن موقف طاهر يرى فيه البراءة والطهارة التي تشبه براءة طيور الغاب و وطهرها فهي تنقل الطهر بلغة الحب، و لها أناشيد ساحرة كأناشيد طيور الغاب القادمة من عالم النور ، والرابط نفسي والصورة ابنة الخيال ، ويتابع الصورة فالطهر عندهن كفوح الأزهار، وانتشار الرائحة الطيبة سمعة طيبة ، والوجه المشرق لهذه الصورة، يبدو في لغة الضوء الذي يشع من قلوب العذارى الطاهرات ، فينير دروب الحياة ويبدد الجهل ، كالنجوم التي تنير الظلام، جعل للقلوب أنوارا تضيء الدروب وتزرع الحب والأمان. والصورة متخيلة تعبر عن موقف الشاعر من المرأة ؛ وتأخذ الصورة منحى جديدا؛ وتخرج من إطار حاسة البصر؛ لتدخل

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص ١٥٧ .

في إطار حاسة الشم، فينتشر الطيب، ويملاً الأجواء رضى وسرورا وفي الصورة، وهن كغصن ينشر أريج الورود ويملاً الطبيعة شذى. وصورة المرأة تدل على إيمان الشاعر بدورها حيث منحها دور النور ودور الزهور. وهذا هو الموقف الإيجابي . وتأتي الصورة الثانية لتعبر عن الموقف السلبي للمرأة، التي تسير في دروب البغاء، وما ينتج عن ذلك من انحطاط تتحول معه الصورة، وتمتلى بالسواد والخوف الذي يقتل براءة الطفولة، وكأن الشاعر هنا معلم، ولكنه يخرج من ذاتيته إلى عناصر الصورة، ليعبر بها عن مواقفه التي آمن بها .

ويعبر الشاعر في ( قصيدة طريق الهاوية ) عن دور العذارى في الحياة ، وعن رحلة الحياة والموت والشباب والشيخوخة :<sup>1</sup>

يا عذارى الجمال ، والحب ، والأحلام ، بل يا بهاء هذا الوجود !  
خُلِقَ البلبُّ الجميلُ ليشدو وخلقتْ للغرام السعيد  
الوجودُ الرحيبُ كالقبرِ ، لولا ما تُجَلِّينَ من قطوب الوجود  
والحياة التي تخرُّ لها الأحلام موتٌ مثقلٌ بالقيود ...  
والشبابُ الحبيبُ شيخوخةٌ تسعى إلى الموت في طريق كؤود...

في صور نفسية، تحمل أحاسيس الشاعر تجاه الحياة والحب والشباب والربيع، تتولد الرؤيا في رحم المعاناة، وتأتي الصورة معبرة عما في نفس الشاعر من أسى وأحزان، فيخرجها من أعماقه، وتصير الطبيعة تعبر عما في أعماق الشاعر، ووفق رؤياه، تبدأ دائرة الصورة بالانفتاح على العذارى ودورها في الوجود، وتأتي الإجابة، فالبلبل جاء ليشدو، والعذارى جنن لأجل الغرام السعيد، فالوجود رغم رحابته قبر لولا العذارى اللواتي يبعثن الحياة والفرح فيه، والتشبيه نفسي نابع من أعماق النفس، وتتوحد الأقطاب المتضادة في الصورة، وتلتقي الولادة بالموت عبر التشبيه البليغ وما يحمل من صورة الحياة المليئة بالأحلام التي هي موت مثقل بالقيود، ويعرض الشاعر الحقيقة جلية عبر التوتر النفسي الذي يلف أطراف الوجود، وتسود فيه الرؤيا عند الشاعر، فيوحد بين المتناقضات الحياة والموت، والشباب والشيخوخة، ربما ليواسي

١ - أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ص. ١٥٩



نفسه وهو الذي سلبتة الحياة الفرح في أول الشباب في أول الفرح ،وسكبت في قلبه الأحران فوجد في النهاية الحقيقة حلما للخلاص من العذاب، وترويحاً عن النفس، لما حل بها من عذاب وأسى .

والشاعر دائماً يتوق إلى العالم الأول إلى الماضي إلى عالم النور والصفاء ،حيث كانت الحياة كالسما صافية طاهرة نقية، والأثر النفسي بين في أشواقه للعودة إلى عالمه الأول حيث البراءة والتخلص من عالم الظلام الطارئ ،يبدو ذلك في قوله من قصيدة ( جدول الحب بين الأمس واليوم ) :<sup>١</sup>

بالأمسِ قد كانت حياقي كالسما الباسمه

واليوم، قد أمست كأعماق الكهوف الواجمه

الصورة تعبر عن التحول الذي أصاب الشاعر ،هذه الحركة التي نقلت الشاعر من الأمس المشرق بأنوار لا تخبو إلى حاضر ملؤه الوجوم والأسى ، الحياة الأولى تشبه السماء بأنوارها وتلاؤها ، وتناقض الثانية التي تحول فيها إلى الأرض حيث تحولت الحياة ؛وصارت صورة للظلم والظلام والأحران، والصورتان متناقضتان، وتعبران عما في نفس الشاعر من توتر وقلق من الواقع الفاسد، وشوق إلى الأمس رمز الطهر والنقاء .

وفي قصيدة أخرى وفي صورة مشابهة يتابع الشاعر شكواه لرحيل عن عالم الوجود ، والشاعر يرى نفسه طائراً يملك البراءة في أعماقه ،ولكنها سلبت منه بسبب نزوله إلى عالم البشر، وتحوله من العالم الأول ، فأصابه الألم لتحوله عن عالم النور ، لذلك يدعو ذلك الطائر ليغرد و يعبر عن سعادته وفرحه ، و هذه الدعوة تكشف عن حب الشاعر للفرح ، ودعوة للحياة التي يأمل بها ،ولكن الحياة سلبتة أحلامه .

وهو عصفور مقهور لذلك دعا العصفور الحقيقي ليغرد للحياة حيث يقول في قصيدة (مناجاة عصفور):<sup>٢</sup>

غرّد ولا ترهبُ يميني ، إنني مثل الطيور بمهجتي وضميري

١- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص.٧٨ .  
٢- المصدر السابق نفسه ، ص.١١٠ .

لكن لقد هاض التراب ملامعي      فلبثتُ مثلَ البلبِلِ المكسورِ  
أشدو برنّاتِ النياحةِ والأسى      مشبوبةً بعواطفِي و شعوري  
غرّد ولا تحفل بقلبي ، إنه      كالمعزف المتحطّم المهجور

فالشاعر يشبه نفسه بالطائر والرابط نفسي، يتمثل ببعده عن عالم البشر واختلاف روحه عنهم حيث يحمل براءة الطيور ، ويدعو الطائر ليغرد شوقاً إلى عالم الأنوار، إنها دعوة للحياة وإن الشاعر على عهد ود بينه وبين البلبِل ، فهما كانا في عالم واحد عالم النور ، قبل أن يتزل الشاعر إلى عالم البشر ، ويترك عالم النور والأضواء ، وهذا التفرد والاختلاف عن البشر مطمح عند شعراء الرومانسية بشكل عام، لذلك نرى الشاعر يدعو الطائر للتغريد ليطمئن إليه ، ويشبه قلبه بالمعزف المتحطم المهجور، لأنه هجر عالمه، وابتعد عن عالم الصفاء ، ونزل إلى عالم البشر الذي أسره ومنعه من التحليق ، والشاعر يعبر عما في نفسه تارة، ويعبر عن آماله ودعواه تارة أخرى من خلال الطائر الذي استحضره ليملي رؤياه وأشواقه .

ويتابع في القصيدة نفسها ليؤكد لنا تفرده في عالم الأرض و انتماءه إلى عالم الطيور حيث النور والسرور ، ونرى الحزن الذي صار فيه لهجره لعالمه حيث يقول :

أنا طائر ، متغرّد ، مترنّم      لكن بصوت كآبتي وزفيري

الشاعر شفاف كالطائر في البراءة والطهر ،تحول غناؤه إلى أصوات الكآبة والزفرات ووجوده بين الناس جعله حزينا متألماً ، لأنه ارتحل من عالمه الطاهر عالم الأنوار إلى عالم الجسد عالم الخطيئة عالم البشر .

والشاعر دائم الشوق إلى عالم الطيور لأنه رمز للطهر والأنوار ،لذلك يرى الخلاف بينه وبين البشر حيث يقول :<sup>1</sup>

ينتأبني حرَجُ الحياةِ كأنني      منهم بوهدة جندل وصخور

وعبرت الصورة عن ضيق الحالة التي يعيش بها،و التي تدل على الحصار والأزمة النفسية الخانقة التي أحاطت به لاختلاف في الطباع ،وفي فهم الحياة ، ولتباين في

١ - أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ،ص ١١١

المواقف ، لذلك فالخرج الذي أصابه في عالم البشر ، جعله في ضيق ، وكأنه قذف به في واد سحيق بين الصخور ، والصورة توحى بغربة الشاعر بين الناس .  
والشاعر يشكل الصورة وفق مقتضيات التجربة وما في النفس ، وصورة الطائر لها معان ودلالات كثيرة ، فقد يرى نفسه طائراً ، ويرى الناس طيوراً ، وقد تصير الأيام طيوراً ، وصورة الطائر، تحمل ما في وجدان الشاعر فتعبر أحيانا عن الأسى والهموم والعذاب ، وتعبر أحيانا أخرى عن الأمل والفرح والسعادة ، وفي قصيدة ( فكرة الفنان ) يقول :<sup>١</sup>

والعقلُ رغمَ مشيبه ووقاره ، ما زال في الأيامِ جدّ صغير

يمشي فتصرعه الرياحُ فينثني متوجعاً ، كالطائرِ المكسور

الشاعر يريد أن يصور تخلف العقل عن الشعور، فأنى بهذه الصورة المتخيلة ، حيث جعل العقل متخلفاً في مسيرته ، فلا يستطيع إثبات وجود أو متابعة المسيرة ، فيتوجع ويتخلف متراجعا عن ساحات الشعور والخيال ، لذلك يراه طائراً مهيض الجناح .

صورة الطيور في الأغلب تعبر عن البراءة ، والحياة الجميلة ، والحرية ، كما في قوله من قصيدة ( يا ابن أُمي ) :<sup>٢</sup>

خلقتُ طليقاً كطيفِ النسيمِ وحرّاً كنورِ الضحى في سماه

تغرّد كالطيرِ أينَ اندفعتَ وتشدو بما شاء وحي الإله

تعبر الصور عن الحرية التي أرادها الله سبحانه وتعالى للإنسان ، فالله منح الإنسان الحرية كالنسيم ، وكانور الساطع في السماء ، وفي ذلك تذكير الإنسان بالفطرة والطهارة التي أرادها الله للإنسان عندما خلقه ، ثم تأتي الصورة في البيت الثاني ، لتعبر عما في نفس الشاعر من رؤيا تجاه الإنسان الذي أراد له الله حياة صدق وبراءة وفرح ، وفي ذلك دعوة للحياة الصافية المليئة بالأنوار والحب والخير، الصور ابنة الخيال تعبر بصدق وعفوية عن موقف الشاعر .

١- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة :ص ١٨٥ .

٢- المصدر السابق نفسه، ص ١٢٩ .

الطبيعة موئل الطمأنينة، وحلم الشاعر وأمله الذي يتناهى إليه ، ولقد استطاعت صور الطبيعة عند شعراء الرومانسية بشكل عام ((أن تحمل رؤاهم حين أصبحت ضربا من الوجدان التصويري لا ضربا من المحاكاة للمشاهدة البصرية ، وبكلمات أخرى حين أصبحت تقدم لا حسب طبيعة الشيء بل حسب إحساس الفنان به ))<sup>١</sup> ولنتابع بعض صور الطبيعة ، التي يعبر الشاعر من خلالها عن مشاعر الحياة، حيث نرى المشاعر تجسدت وأخذت تغني كأسراب الطيور، و ذلك في قصيدة (الغاب ) حيث يقول :<sup>٢</sup>

كم من مشاعر حلوة ، مجهولة      سكرى ، ومن فكر ، ومن أوهام  
غنت كأسراب الطيور ، ورفرفت      حولي ، و ذابت كالدخان أمامي

تعبّر الصورة عن الحالة النفسية التي وصل إليها الشاعر وسط الغاب ، وعن المشاعر التي ألت به، إنه عالم الأحلام والآمال ، إنه عالم من السحر والرؤى والظلال ، ويعبر الشاعر عن مشاعره التي تغني كأسراب الطيور ، وسرعان ما تتحول الرؤى في حسي الوجدان ، وتحت تأثير التوتر، إلى دخان وسرعان ما تذوب صورة أسراب الطيور ، وتختفي من أمامه، وكان الشاعر في حلم من أحلام اليقظة تلك الأحلام التي لا تنتهي في الغاب .

وغالبا ما تكون الطيور رمزا لأيام الطفولة البريئة والصفاء ، والفرح الذي لا ينتهي ولا يعرف الحزن ونرى تلك الصورة في قصيدة ( اللجنة الضائعة ) عندما يتحدث الشاعر عن الطفولة:<sup>٣</sup>

أيام كنا لب هذا الكون ، والباقي قشور  
أيام تفرش سُبُلنا الدنيا بأوراق الزهور  
وتمرّ أيام الحياة بنا كأسراب الطيور  
بيضاء لاعبة ، مغردة      مجنحة بنور

١- د نعيم البياضي : تطور الصورة الفنية ، ص ١١٠ .  
٢ - أغاني الحياة : أبو القاسم الشابي ، ط ١٩٩٤ ، ص ٢٥٦ .  
٣- المصدر السابق : ص ٢٠٩ .

فمرور أيام الحياة ، يشبه أسراب الطيور والرابط نفسي في الصورة ، وقد خرجت من وجدان الشاعر عبر الخيال ، ويتابع الشاعر الصورة بنعوت عدة تضيء مساحات جديدة على الصورة ، من مظاهر الفرح والصفاء والغناء والنور .

وقد يخصص الشاعر الطائر ، ويذكر نوعه فالبلابل في الصورة رمز الفرح والسعادة والحبور وعالم النور ، كما في قوله الذي يصور فيه أيام الطفولة :<sup>١</sup>

ونمر ما بين المروج الخضر ، في سكر الشعور

نشدو ونرقصُ — كالبلابل — للحياة وللحبور

فالطفولة غناء ونقاء وهو ومرح ، لذلك حياة الطفولة تشبه حياة البلابل ، والصورة متخيلة ، تعبر عما في وجدان الشاعر من مشاعر تجاه عالم الطفولة عالم السعادة والنور والفرح ، العالم الذي تركه الشاعر وبقي يحن إليه دائما .

وها هو يعبر عن حلمه الأول ، حيث عالم الصفاء والنقاء والفرح الأزلي وسط أحضان

الطبيعة؛ حيث يقول:<sup>٢</sup>

وأغني بين الينابيع للفجر وأشدو كالبلبل التياه

صورة غناء الشاعر بين الينابيع تشبه شدو البلبل ، والصورة تعبر عن موقف الشاعر من الحياة ، كما تعبر عن أشواقه إلى عالم النور .

وفي موضع آخر ، يشبه الشاعر نفسه بالشحورور الذي يدل بأغانيه على الشمس والحق والجمال ، و الذي لا يعرف إلا الغناء والمرح :

والشاعر الشحورورُ يرقصُ ، منشداً للشمس ، فوق الورد والأعشاب

هذا التصور للحياة حياة الفرح والإنشاد إنشاد الحق نابت في أعماق الشاعر ، رغم ما في حياته من آلام فاقت حدود التصور ، حيث نبت الألم في نفسه وروحه منذ حداثة سنه .

١- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ٢٠٨ .

٢- المصدر السابق ، ص ١٤٣ .

لذلك نراه يتحدى الصعوبات التي جاءت من الناس المحيطين به، و من المجتمع الذي ناصبه العدا، و مما في جسده من مرض ،وما في نفسه من ألم، تجاوبت مع ذلك دعوة للموت،وبذلك حمل النقيضين فانبثقت صورة الحياة لغة يجابه بها ما حلّ به من آلام جسدية، ومصائب اجتماعية، وكان كل ذلك بالتحدي ودعوة النفس المتفوقة والتي ركبت جناح الخيال، لتكون نسرا يتحدى الجميع، نسرا خط لنفسه دربا أزليا، ولن يعود عنه، وأرى في ذلك أغاني الحياة حيث قال من قصيدة (نشيد الجبار) :<sup>١</sup>

سأعيشُ رغم الداءِ والأعداءِ      كالتَّسْرِ فوقَ القمّةِ الشّماءِ

ارتفع الشاعر إلى منزلته اللاتقة به ، و في ذلك تفوق على المصائب والأعداء، فهو متفرد بل نسر ، يتربع عرش القمة العالية ، تفرد بالقوة وتفرد بالعلو ، لذلك لا يأبه لما حل به من أدواء ومصائب ، ولا يأبه لأعدائه أيضا .

وعندما تتفوق الرؤيا تتجاوز الواقع العادي، وتبدو الأشياء على غير عهدها ،فالخيال والنفس أخرجتا الصورة من قلب التجربة حسب رؤيا الخلاص التي نبتت في أعماق الشاعر .

وشاعرنا تحدى الموت وما هابه بل دعا إليه ، وسار إليه طربا ،وكأنه إلى لقاء حبيب يسير ، وطالما الموت هو المنتظر ، فأسقط التشوق إليه قناع الخوف الذي يرهبنا عنه، ويدخل الشاعر إليه بعد أن تتألق أنواره، وتتبدد ظلماءه، حيث الخيال جاء بالرؤيا ، التي قدمت الحل ،فوجد الشاعر الموت حياة ، وحقق بذلك اللذة التي فقدت في الحياة و بين الناس ، ومن ذلك قوله في قصيدة (إلى الموت) :<sup>٢</sup>

إلى الموت ! فالموت روح جميل ،      يرفرف من فوق تلك الغيوم  
إلى الموت ! فالموت جامٌ رويٌّ      لمن أظمأته سموم الفلاة  
إلى الموت ! فالموت مهد وثير      تنام بأحضان الكائنات  
هو الموت طيف الخلود الجميل      ونصف الحياة الذي لا ينوح

١- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ،ص٢٤٨ .  
٢- المصدر السابق نفسه، ص١١٦ .

تحول الموت في تجربة الشاعر إلى حياة تفوق الشاعر فيها على الحياة نفسها التي يمرض فيها الإنسان ويجوع ويعرى ويتألم ، فالموت روح جميل ، والروح يتفوق على الجسد فهو للخلود ، والموت جام عذبة صافية شافية ، والموت مهد وثير ، والموت طيف الخلود ، في تلك الصور يعلل الشاعر لرؤياه ، ويصير الموت في الرؤيا وعبر التجربة درب الخلود والطمأنينة والراحة ، فلم لا نسعى إلى تلك الحياة؟! وكأن الموت ولادة أبدية للراحة والأمان ، ومطلب يلح عليه الشاعر ليصل إلى حياة بعيدة عن الأحزان والخوف من الفناء الذي يسبب الشقاء ، وكأن البراءة الأولى عادت من جديد تنهض بين جنبات رؤيا الشاعر لتدب الحياة الأبدية في أوصال الموت .

وتتجلى النفس قائدة للصورة الفنية ، ولأن الصورة ابنة النفس مع ما فيها من توترات تنطق بها الصورة تعبر عن وجدان الشاعر. من ذلك قوله في قصيدة (إلى قلبي التائه):<sup>١</sup>

أنت يا قلبي عَشٌّ ، نفرتُ عنه القطاة  
فأطارته إلى النهر الرياحُ العاتيات  
فهو في التيار أوراق ، وأعواد عُراة  
أنت حقلٌ ، مُجذبٌ ، قد هزأتُ منه الرعاة  
أنتَ ليلٌ ، معتمٌ ، تندب فيه الباكيات  
أنت صرْحٌ ، شادهُ الحب على نهر الحياة  
أنت قبرٌ ، فيه من أيامي الأولى رُفات  
أنت عود ، مزقت أوتاره كفُ الحياة  
فهو في وحشته الخرساء ، بين الكائنات  
صامت كالقبر ، إلا من أنينِ الذكريات  
أنت لحنٌ ساحرٌ ، يخبط في التيهِ الموات  
أنت أنشودةٌ فجرٌ ..، رتلتها الظلمات ..

١ - أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص. ١٣٤

التشبيهات في الصورة تحمل دلالات فنية عميقة ، تتصل بالألفاظ الموحية، والتي تحمل طاقات تعبيرية للتجربة الشعرية التي يعانيتها الشاعر ، فالقلب عش ، يدنيك هذا اللفظ من الأمن والأمان ، الذي سرعان ما يتغير وفقا لتوتر الشاعر النفسي ، فالعش صار إلى مهب الرياح . وكذلك عندما يشبه القلب بالحقول ، أول ما يتبادر إلى الأذهان ما في صورة الحقول ؛ من مروج خضراء، وحياء مرح وسرو ، والشاعر في حقيقته وأعماقه صورة للحياة الندية الباسمة المستبشرة ، ولكن المصائب زرعت في نفسه آلاما حجت الحقيقة ، وفي الصورة بدلت الرؤيا الحقول فجاءت الصورة مناسبة للنفس التي نزع منها الفرح والأمل ، فصار الحقول جديبا قاحلا ، وصارت صورة القلب ليلا معتما مليئا بعويل النائحات ، والقلب كهف مظلم ، وصرح مقوض ، والقلب يمتلئ أنينا ، صور تراكمت لتعبر عن اليأس والخراب ، ولكن الشاعر — وعلى عهده في ديوان أغاني الحياة — يرى الولادة في رحم الموت ، فأنشودة الفجر ترتلها الظلمات، وكأن الضد يولد في الضد، والصورة متخيلة ومغايرة للواقع الخارجي ، جديدة ومدهشة، تعبر عما في نفس الشاعر من إحساس بالرحيل والألم والحسرة والأسى ، و تساعد في رصد جو الألم هذه القافية المقيدة التي تدل على غصص في النفس والروح .

التشبيه عند الشاعر جرى في الأغلب في النفس ، ليعبر عن عمق التجربة ، و عن توتراته النفسية ، ووجد أسرار الحياة تندرج مع أسرار النفس في الطبيعة التي توحد بها، فخرجت جديدة متناسقة في التعبير عما في نفسه وروحه ، وقد عبر من خلالها عن حقائق من الحياة والوجود ، ونراه يرتفع عما في حياة الناس فيسمو ويتفرد لتتم له الرؤيا ، وبما أن الطبيعة حاملة للحلم فيتوحد معها ، وقد تصير رمزا للفناء والزوال ، ويحاول الشاعر جاهدا الوصول إلى عالم الحرية والصدق والنور والخلاص من القهر والظلم .



## المبحث الثاني :

\* دور الاستعارة في الصورة الفنية :

رد أهل البلاغة الاستعارة إلى المشابهة وكانت مترلنتها في التراث النقدي عند معظم النقاد ( أقل قدرا من التشبيه ) وكان الآمدي يرى ضرورة مشابهة الاستعارة للحقيقة ومقاربتها لها : (( وإنما استعارت العرب المعنى لما ليس له إذا كان يقاربه : أو يناسبه أو يشبهه في بعض أحواله ... ))<sup>١</sup>، وتنبه عبد القاهر لفضل الاستعارة حيث قال : (( ومن خصائصها التي تذكر بها ، وهي عنوان مناقبها : أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ ؛ حتى تخرج من اللفظة الواحدة عدة من الدرر ))<sup>٢</sup>. كانت الاستعارة تعتمد على المشابهة و على نقل اللفظ إلى مجال جديد وفق قانون الجامع في كل وخضعت للمنطق والعقل ، لقد وقف الناقد القديم عند الحدود الخارجية للاستعارة فعزل الاستعارة عن العمل الفني وبقي عند الحدود اللغوية للمستعار منه والمستعار له وكانت تابعة للتشبيه<sup>٣</sup>.

وتطور مفهوم الاستعارة في العصر الحديث وأصبح لها دور هام في، التعبير، والتصوير حيث أصبح لهما الدور الفاعل في عملية البناء الفني للقصيدة ، ويأتي دور الخيال الذي يعيد التشكيل وفق الرؤية القادمة من التجربة أي من وجدان الشاعر، وتتآلف الأشياء في الخارج مع ما في النفس وفق التصور الجديد عند الشاعر، ومن هنا يبدو دور الخيال الشعري الذي وصفه كولردج بقوله : (( يذيب ويلاشي ويحطم لكي يخلق من جديد ))<sup>٤</sup>، والصورة التي تعتمد على الاستعارة، أو سواها تقاس بما تملك من جدة ودهشة، رغم أن عناصرها مما تقع عليه أعيننا ، ويعود ذلك إلى التفاعل المستمر بين طرفي الاستعارة، ووفق السياق الذي تأتي به عبر الخيال ، الذي أعاده أتباع المذهب الرومانسي إلى الواجهة، وأخذ دور الريادة في الشعر ، وقد أخرج الخيال الاستعارة من حدود المنطق والعقل، حيث كان ذلك قيذا على الاستعارة في

١- الموازنة : ص ٢٤٥.

٢- أسرار البلاغة : ص ٤١.

٣- تامر سلوم : مرجع سابق، ص ٢٨٥.

٤- كولردج : د محمد مصطفى بدوي، دار لمعارف ١٩٥٨، ص ١٥٦.

الشعر الكلاسيكي ، وصار الخيال في الشعر الرومانسي قائدا للمشاعر ، فسرت الحياة في الاستعارة التي اعتمدت على التشخيص والتجسيد والتجسيم ، فنطق الصامت ، وتجسد المعنوي ، وتجاوز الشاعر في استعاراته العلاقات الحسية ، حيث توحدت ذاته مع الموضوع . وبذلك تبدو الصورة الناتجة جديدة وطريفة ، وكأنها تولد من جديد حاملة ما في نفس الشاعر و معبرة عما يحمل من مشاعر قد توحدت في الصورة التي تعبر عما في وجدانه ، وتكشف عالمه ورؤاه حيث يجعل طرفا من طرفي الصورة فعلا إنسانيا ، كما يجسم المعنويات من خلال إعطائها أعضاء الإنسان أو الحيوان ، مما يضفي على الحواس أساسا نفسيا عند تلقي الصورة المتخيلة ، والتي أنتجتها التجربة ، فيظهر في مداركها الجديدة ، وما تحمل من مشاعر وجدانية ، منحها إياها الشاعر عبر التصوير الاستعاري ، حيث يدخل الشاعر إلى روح مكونات الصورة ، ويصير وحيها وملهمها ، ويبصر بحدسه الشعري ما لا يرى بالحواس ، فيعطي للصورة لونا جديدا ويكسبها حياة مختلفة وكأنها تولد من جديد ، رغم وجود عناصرها تحت حواسنا ، فيدهشنا بطرافتها ، ويشدنا إليها بكل ما نملك"<sup>١</sup> .

ولقد بين شاعرنا في كتابه الخيال الشعري عند العرب أهمية الخيال بقوله ((وصفوة القول أن الإنسان مضطر إلى الخيال بطبعه ، محتاج إليه بغريزته لأن منه غذاء روحه وقلبه ولسانه وعقله))<sup>٢</sup> فالخيال هو الموقد للشعور، وهو الفاعل الحقيقي في التجربة الشعرية عند الشاعر ، وتأتي الصورة وفق سياق خاضع لرؤية الشاعر صورة جديدة ، تلك الصورة التي يحاول الشاعر أن يضع من خلالها حلولا للإنسانية التي وجدها الرومانسي تنساق وراء المادة تاركة خلفها الآلام والمآسي والأحزان ، فجاء الخيال ليعبر بالصورة عن هذه الظواهر المؤذية ، ويضع الحلول لهذه الأزمة التي خيمت على الإنسان ، وسلبته كرامته وحرية وإنسانيته ، من خلال الصورة الناتجة عن الاستعارة عبر التشخيص والتجسيم ، وفق رؤية يخوضها الشاعر عبر تجربته الشعرية ، ولجأ إلى الطبيعة وتعنى بها ، وكانت متنفسا ومعادلا لما في المجتمع والحياة من

١- نعيم البياقي : الشعر العربي الحديث ، ص ١٠٣ - ١١٦ .

٢- أبو القاسم الشابي : الخيال الشعري عند العرب ، ص ٦١ .

مظالم وفساد وألم ، فحملت التجربة الشعرية لدى شاعرنا بأطراف المعاناة داخليا من خلال الصراع مع المرض ، وخارجيا من خلال الصراع على جبهتين : صراع مع الظلام الذي خيم على نفوس أبناء جلدته ، وصراع ضد الظالم المستبد الغاشم الذي سلب الحقوق وزرع الظلم والظلام والدمار ، وجاءت قصائد الخلاص والحب والثورة والألم والتأمل التي ولدت في أحضان الطبيعة التي نطقت بالفرح والرحمة والأسى والسواد ؛ تتلون بألوان الروح ، وتنطق بما يعانيه الشاعر وما في نفسه، ((هكذا تكون الصورة مفاجأة و دهشةً — تكون رؤيا، أي تغييرا في نظام التعبير عن هذه الأشياء .))<sup>١</sup> ويبدأ الشاعر ووفق الرؤية يشخص الطبيعة ويجسدها، ويجعلها تبكي وتضحك وترقص وتحزن ، وأخذ يتناجى مع النبات والجماد ، وتخطبه الأشياء ، ويصغي إلى حديث الليل والنجوم والنهار والأشجار والأطيوار والرعد، وبذلك تأتي الصورة مثيرة ومدهشة تتسم بالصدق والعفوية ، وتعبر عن المعاناة، وتمتد لتمتزج عبر أطياف الوجود والإنسانية .

والشاعر يعبر عن رؤياه بصور الحب والأحلام التي ملأت قلبه ، فالحب معلم الشاعر ، والحياة بالحب تكون جميلة هائلة رغيدة ، فلغة الحب ولغة الصدق نبض للقلب ، ولغة للشعر ، والشاعر ربط بين القلب والفن ، وعقد بينهما العهد ، العهد الذي تلاحم فيه الشعر والشاعر والحب ، حتى غدا ترابطا لا انفصال بين عراه على امتداد الديوان ومن ذلك ما نجده في قصيدة ( جدول الحب بين الأمس واليوم ) :<sup>٢</sup>

هو جدولُ الحبُّ الذي قد كان في قلبي الخَضِْلُ  
بمراشف الأحلام منطلقاً ، يسير على مهلُ  
\* \* \*

يتلو على سمعي أغاريدَ الحياة الطاهرة  
ويشير في قلبي أنا شيدَ الخلود الساحرة  
\* \* \*

١- أدونيس : زمن الشعر ، ص ١٥٤ .  
٢- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ٧٩ .

تنهض صور الاستعارة من خلال حركة جدول الحب الذي جسده الشاعر، وقد انطلق من قلبه ، واستحضر الأحلام مجسدة فجعل لها مرآشف ، لترتوي من جدول الحب ،النابت في قلب الشاعر ، والشاعر يرتوي من ذلك النهر ، ويشخص الحب بشاعر يتلو أفراح الحياة أفراح الطهر ، ويسمو بالحب الذي هو درب الخلود ، والذي هو دعوة رافقت الإنسان عبر رسالات السماء .

وترد ذات الشاعر متحدة بالشعر ، الذي يشخصه الشاعر ويناديه على سبيل الاستعارة المكنية ، ويث خلاله ما في وجدانه من مطامح عبر الخيال ،الذي يوائم بين الشعر والقلب في تشخيصه، وترتبط العرى وتتوثق، وتبدو الصورة أشد تماسكا وتضامنا ،من ذلك ما جاء في قصيدة (يا شعر )<sup>١</sup> :

يا شعر أنت فم الشعور ، وصرخة الروح الكئيب

يا شعر أنت صدى نحيب القلب ، والصب الغريب

\* \* \*

يا شعر أنت مدامع علق بأهداب الحياة

يا شعر أنت دم ، تفجر من كلوم الكائنات

\* \* \*

يستحضر الشاعر الشعر ويشخصه ، ويجسم الشعور بشكل إنسان ، ويصير الشعر فمه، فالشعر هو الناطق بلسان الشعور ، ويجسم الروح ،فتصرخ ويحمل الشعر صرخة الروح ، وتحمل الاستعارات أطراف الصورة التي يعبر فيها الشاعر عن ماهية الشعر ،فالحياة تجسدت بإنسان وصار الشعر مدامعه ، هذه صورة الحامل الشعر، وتنهض صورة الشاعر بما حمل تاليا ذلك لتوأمه الشعر، والقصة قديمة ،والشعر يدري بها، ويظهر التوافق في هذه الصورة بين الشعر وقلب الشاعر وكأنهما متوحدان فيما يحملان من مشاعر، فالجراح والأحزان والشقاء ،والمصائب والتعاسة اجتمعت فيهما، فالقلب إنسان ترسم المآسي على محياه ، وتذيبه أحزان الناس<sup>٢</sup> :

١- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ،ص.٥٢.

٢- المصدر السابق نفسه،ص٥٢.

يا شعر! قلبي — مثلما تدري — شقيّ، مظلمٌ  
فيه الجراحُ، التُّجُلُ، يقطر من مغاورها الدّم

\* \* \*

جمدت على شفّتيه أرزاء الحياة العابسةُ  
فهو التعيسُ، يذّيبه نوحُ القلوبِ البائسةُ

فالشاعر يعقد مقارنة من خلال النداء والمناجاة بين الشعر وقلبه، ليعبر بذلك عن رأيه في الشعر، فالشعر هو ما ينبض بالحياة وأحزان الناس، والشعر ابن القلب وصديق الناس، فهو يترجم عن الذات، وينقل المعاناة التي تلتقي مع الإنسانية، متأثراً في ذلك بما جاء في الشعر المهجري من أنسام رومانسية موشحة بضباب الأسى والحزن، وينطلق من ذلك إلى الطبيعة عله يجد فيها السلوى من الأحزان والبؤس<sup>١</sup>:

يا شعرُ! أنت نشيد هاتيك الزهور الباسمة

يا ليتني مثلُ الزهور، بلا حياة واجهه

الطبيعة أم وحنّنها دواء، والشعر في هذا الوجه يحمل صورة من أغاني الحياة، فالزهور تغني وتنشد وتبتسم والشعر هو النشيد، وتأتي الأمنية من الأعماق، تنهض بالشوق إلى الحياة الهادئة الباسمة، البعيدة عن الحزن والكآبة وتعبق روائح الزهور بالمكان مع أمنية الشاعر، تمتد الصورة لتعبر عما في النفس من جوانب مختلفة تمثل أطراف الحياة المختلفة في وجودها وابتسامها.

ويستمر الشاعر مزاجاً بين لوني الحياة حيث التناقض رحم الاستمرار والحياة ذاتها، حتى يأتي التوحد بين الشعر والشاعر فالشعر هو الحياة والراحة، وهو لسان حال الشاعر<sup>٢</sup>:

يا ناي أحلامي الحبيبة! يا رفيق صبابتي

لولاك متُّ بلوعتي، وبشقوتي وكآبتي

\* \* \*

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ص. ٥٩.  
٢- المصدر السابق نفسه، ص. ٦٠.

فيك انطوت نفسي ، وفيك نفختُ كلَّ مشاعري

فاصدحْ على قمم الحياة بلوعي ، يا طائري

ويختتم القصيدة باعتراف يظهر فيه أهمية الشعر وصدوره عن الوجدان والحب ، ويحمل النفس وما فيها وكأنه يختصر بذلك تعريف الشعر كما يراه معبرا عما في النفس ، ويأخذ التجسيد و التشخيص مداه ، والشعر طائر يصدح على قمم الحياة ، و تنتقل الصورة معبرة عما في نفس الشاعر من توتر وقلق تجاه الحياة وعن موقفه من الشعر . والشاعر لا يرجو من الناس مواساة فلا جدوى من انتظار ما لا يرجى ، فلا يجد السلوى

من العذاب إلا بالشعر ومن ذلك قوله في قصيدة (قلت للشعر ) :<sup>١</sup>

وأناجيه في المساء ، لئلهيني  
أنا لولاك لم أطق عنتَ الدهرِ  
فياك ما في الوجودِ من نعمٍ ،  
مرآة عن ظلام الوجود  
ولا فرقة الصباح السعيد  
حلو ، وما فيه من ضجيج شديد

ويتوحد الموقف الاستعاري عبر التشخيص بالمناجاة والتجسيم للمعنوي ، فالشعر يبعد الشاعر عن مآسي الوجود ، وبالشعر يتحمل عنت الوجود ، وفراق الصباح السعيد ، و يعبر الشاعر عن علاقة الوجود بالشعر وهنا تبدو صورة الشعر الفطرية الصادقة لموافقة ما في الوجود من براءة وصدق ، والشاعر يفيض بما في وجدانه من رؤى وأحلام ، عن طريق المناجاة تارة والتصوير تارة أخرى ، والبوح تارة ثالثة ، ويكون الخيال الشعري صلة الوصل بين الوجدان والشعر وهذا ما جعل الخيال حاضرا في الصورة التي تعبر عن فيض الشعر والحياة في وجدان الشاعر ، تتسع الصورة لتسع الوجود قائما في قلب الشاعر وماثلا في شعره الذي ينطق بحاله ليعبر عن موقفه حيال الشعر حيث يقول :<sup>٢</sup>

فيك ما في عوالمي من ظلامٍ  
فيك ما في عوالمي من نجوم  
سرمدني ، ومن صباحٍ وليد  
ضاحكات خلف الغمام الشرود

١- أبو القاسم الشابي :أغاني الحياة ،ص.١٢٨  
٢- المصدر السابق نفسه ،ص١٢٧.

فيك ما في عوالي من ضباب  
 فيك ما في طفولتي من سلام  
 فيك ما في شيبتي من حنين  
 فيك — إن عانق الربيع فؤادي  
 ويعنّي الصباحُ أنشودة الحب ،  
 ثم أجني في صيف أحلامي  
 فيك يبدو خريف نفسي ملولاً،  
 وسراب ، ويقظة ، وهجود  
 وابتسام، و غبطةٍ ، وسعود  
 وشجون و وبهجة و هجود  
 تنثني سنابلي و ورودي  
 على مسمع الشباب السعيد  
 الساحر ما لذ من ثمار الخلود  
 شاحب اللون ، عاري الأملود

جاءت الصورة عبر حشد من الألفاظ الرومانسية ، ليحمل — من خلال تلك الألفاظ المتلاحقة التي يوحي بعضها بالتمائل وبعضها الآخر بالتضاد — الصور، ويبدو الشاعر متعجلاً في رسم الصور التي لا تنضج، بل تدور لتعود من جديد في ثوب مشابه لما سبق جامعا أطراف الصورة، فالحزن ينبت فيه السرور والظلام السرمدي يجتمع مع الصبح الوليد، ونرى الكلمات تشابهاً فيها الأوزان ، وحملت صوراً متوافقة تارة، ومتناقضة تارة أخرى، حيث كان لها إيقاع متشابه : ( من ضباب وسراب ، من سلام وابتسام، من حنين وشجون ... ) وتجري الصورة مجرى النفس ، حيث الخيال يضيف على الأشياء صورتها الجديدة .

قلما ينفك التصوير عن قصائد الديوان ، ويأتي بمختلف الألوان :من كناية ، أو تشبيه، أو استعارات، أو مجاز . وغالبا ما يلتقي في القصيدة الواحدة وجهها الحياة؛ من السعادة ومظاهرها ؛ من رحمة وحب وحنان ، والأسى ومظاهره؛ من قسوة وشقاء ، حيث ينبتان في أصل واحد، وهذا التناقض يدل على الحياة التي تجري في عروق القصيدة .

ونجد أمثلة كثيرة على ذلك في الديوان منها قصيدة ( أيها الليل):<sup>١</sup>

أيها الليل !يا أبا البؤس والهو  
 فيك تجثو عرائس الأمل العذ  
 ل! ويا هيكل الحياة الرهيب !  
 ب، تُصلي بصوتها المحبوب

١- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ،ص.٧٢.  
 ٢- المصدر السابق نفسه ،ص٧٢.

فالصورة في البيت الثاني تفارق في اتجاهها الصورة الواردة في البيت الأول فالصورة في البيت الأول جاءت بالتشخيص في مناداة الليل و عندما صار الليل عن طريق الكناية أبا البؤس ليواسي البائسين ، وهيكلًا للحياة الرهيب حيث يصيخ السمع لكل البائسين، جاءت الصورة لتوحي بالأسى والظلام والخوف ، و سرعان ما تنهض صورة أخرى لليل نفسه تلبس ثوب الأمل والطمأنينة ، ويتابع في القصيدة مزاجاً بين الصورتين فتارة الصورة تكون صادرة عن الليل أو تكون أثرا من آثاره من ذلك: <sup>١</sup>

في شفاهِ الدهور بين النحيب	أيُّها الليلُ ! أنتَ نغمٌ شجيٌّ
في صدرك الركود الرحيب	إن أنشودة السكون التي ترتجُّ
رنةَ الحق ، والجمال الخُلوب	تُسمعُ النفسَ ، في هدوءِ الأمانِ
قهر الحياة هزَّ الخطوب	فتصوغُ القلوبُ ، منها أغاريدا
س ، فتبكي بلوعة ونحيب	تتلوَّى الحياة من ألم البؤ

ونرى الأفعال المستعارة التي تؤدي دورها التعبيري قي الصورة التي تنطق بالحزن ، ونرى من خلالها الحياة آدمي يتوجع ويبكي ويتألم ، و في الصورة تراسل للحواس فالليل ندركه بالبصر وجعله الشاعر نغما ، وجعل للسكون أنشودة ، وتسمع النفس صوت الحق سبحانه وتعالى وسط السكون ، ويسمع الجمال الرائع ، نراه يسمع ما يرى ، ناقلا الحواس لشبه نفسي (( فقد يترك الصوت أثرا شبيها بذلك الذي يترك اللون أو تخلفه الرائحة ، ومن ثم يصبح طبيعيا أن تتبادل الحسوسات ، فتوصف معطيات حاسة بأوصاف حاسة أخرى )) <sup>٢</sup> والقلوب تصوغ من أنشودة السكون أغاريد فرح ، وأي فرح الذي يهز الحياة كالمصابب العظيمة ، إنها عجيبة تلك الأغاريد التي ولدت عبر خيال الشاعر جديدة ومدهشة.

ولنقف بين يدي الليل كما يراه أبو القاسم ، فملامح الليل تمتزج مع عصارة نفسه مع وجدانه وضميره لقد اتحد مع الليل وبدأ يعبر عما في أعماقه ومن ذلك هذه الأبيات: <sup>٣</sup>

١- محمد فتوح: الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر ط٢ دار المعارف القاهرة ١٩٨٢م، ص٢٤٨.

٢- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص٧٣.



فلك الله من فؤاد رحيم ! ولك الله ! من فؤاد كتيب

يهجع الكون في طمأنينة العصفور ، طفلاً بصدرك الغريب

وبأحضانك الرحيمة يستيقظ ، في نضرة الضحوك ، الطروب

ويتابع قائلاً :

فيك تنمو زنايق الحُلم العذ ، وتذوي لدى لهيب الخطوب

وبفؤديك ، في ضفائرك السود ، تدبُّ الأيامُ أيَّ ديب

معان وجدانية تفيض بها الأبيات ، لتعبر عن فيض تدفق من النفس من قلب المعاناة ينقل ما فيها عبر الخيال الشعري ليراه في صورة الليل ، فتطغى الروح والنفس على عناصر الحس ، ويصير الليل فؤادا رحيمًا ، والكون عصفورا يهجع في أحضان الليل ، إنه ابتكار من وحي روعي ، يدل على عبقرية فذة ، تفرض ما بداخلها من رؤى ، تجعلنا ندهش بها ، وها هو الليل يأتي جديدًا ، مخالفًا لما تقع عليه حواسنا ، بل نابضًا بما في نفس الشاعر من توترات ورؤى وأحلام ، وكأننا نراه للوهلة الأولى ، وهذا مما تميز به الشاعر الرومانسي الذي آثر الليل لأنه ينعم فيه بالراحة والطمأنينة بعيدًا عن الضوضاء ، وتبدو الرحمة النابعة من قلب الشاعر ، والتي ظهرت في صورة الليل ، تلك الصورة التي يعبر بها عما في نفسه من انفعالات ومشاعر متباينة تعبر عن الوجود وعن الحياة بأقطابها المتباينة ، ويشخص الليل ، والأيام ويجعل للحلم زنايق تنمو ، وجعل الحلم عذبا وكأنه يشرب ، وتلك الاستعارات يلقي على الليل من خلال الصور ما في نفسه من مشاعر وأحاسيس وكأنه اتحد به فشرع يعبر عما في ضمير الليل وقد منحه الإحساس والمشاعر والانفعالات ، ويشخص الحلم ببراءته وصفائه فنلمحه في الزنبق الأبيض البريء ، ويشخص الليل حيث جعل له فودين وطفائر ، فجاءت الصور وفق الرؤيا وليدة الخيال الذي يعيد ترتيب الصورة الحسية الخارجية وفق مقتضيات الوجدان فتبرز جديدة ومدهشة وهي تحمل وجها الحياة من فرح وحزن وتعبر عما في نفس الشاعر .

ويتردد صدى الإيمان بعفوية تنم عما استقر في أغوار النفس من إيمان عميق ، عبر

الشاعر عنه من خلال وقوفه على صورة الرعد وهو يسبح الله ، يرتل نشيدا تردده

الكائنات ، وتأتي صورة الرعد لتغير حالة الخشوع التي عمت الكون بما فيها من جلال وسط ظلام الليل إلى صورة تنبه إلى عظمة الخالق ، ويعبر الشاعر عما بداخله من مشاعر وأحاسيس وهي تتمدد داخل الكون و في ذلك يقول في قصيدة أنشودة الرعد<sup>١</sup>:

عائق الكون الخشوع	في سكون الليل لما
خلف آفاق المهجوع	واختفى صوت الأمامي
*	*
رددته الكائنات	رتل الرعد نشيداً
ح بأعماق الحياة	مثل صوت الحق إن صا
ورهيبة كئيب	فسألت الليل ، والليل
جميل وغريب	شاخصاً بالليل والليل
و حنين	أثرى أنشودة الرعد
مهجة الكون الحزين ؟	رئمتها بخشوع
ظل ركوداً جامداً	غير أن الليل قد
القفر من غير صدى	صامتاً مثل غدير

لقد فهضت الصورة في الأبيات على الاستعارة في الغالب ، فالخشوع ، وصوت الأمامي ، ومهجة الكون مجردات ، ويأتي سؤال الشاعر لليل على سبيل التشخيص ، والليل كئيب ورهيبة وغريب وجميل ، وتبدو الحركة التي دبت في أرجاء الكون آتية من قبل صوت الرعد ، وكأن الشاعر جعل عناصر الكون تحمل ما في نفسه من مشاعر فانكفاء الأمامي وهجوعها داخل نفس الشاعر، قابلها خشوع للكون ، ونفس الشاعر قلقه مضطربة وكذلك الكون الذي فهض الرعد في وسط سكونه ليعيد إلى الأذهان تذكر قدرة الخالق وآياته في الكون ، وتمثل هذه الصورة اعتراض الشاعر ، وتذمره على الكآبة والغربة والرهبنة التي شخصت في الليل لتعبر عما في نفس الشاعر من توتر

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص ٣٦.

تجاه الحياة والمجتمع ، و ما يعاني منه ، وما يواجهه ، وتبدو الصور وليدة المعاناة النفسية ، ولقد رتبها الخيال لتؤدي ما في النفس ، والليل الذي لم يتأثر ولم يتغير وهذا يدل على عجز في نفس الشاعر واستسلام في تفسير اختلاطات النفس والكون معا ، والشاعر يجعل الأفعال الإنسانية تسري في أعماق الليل والمجردات .

والصورة الاستعارية التي يعتمد في تشكيلها على الأصوات حيث يغدق الشاعر ما في نفسه فتتشكل به الطبيعة التي تعبر عما في داخله من توترات وآمال وأشواق تتناوب في صورته ، فنجد الشاعر يوائم بل يوحد ما في نفسه وما في الطبيعة فتلبسه الطبيعة ويلبسه الكون ، وهذا منطوق وحدة الوجود السائد في الأدب الرومانسي من ذلك قوله في قصيدة أغنية الأحران :<sup>١</sup>

غَنِّي أنشودةَ الفجرِ الضحوكِ

أيها الصَّدَاحُ!

فلقد جرعني صوتُ الظلام

ألماً علمني كرهَ الحياة

إن قلبي ملَّ أصداًءَ النواح

غَنِّي ، يا صاحُ

يستوقف شاعرنا طائرا صداحا راجيا منه على سبيل الاستعارة أن يطربه بأنشودة الفجر الضحوك على أمل بالفرح ، فصوت الفرحة في الفجر أمل بخلاص من صوت الظلام ، الشاعر يبني صورته الاستعارية على التقابل بين النقيض ونقيضه ، فاستعار للظلام صوتا وصوت الظلام يدل على مدى الظلم الذي أحيط به من المجتمع فيدعو صاحبه الصداح للغناء ربما ينسى الأحران ، إنه يتشوق إلى أغاني الحياة التي سرعان ماتفتلت وقررت لتولد صورة سيطرت على الشاعر وملكت نفسه :<sup>٢</sup>

حَطَّمْتُ كَفُّ الأسي قيثارتي

في يد الأحلام

١ - أغاني الحياة : أبو القاسم الشابي ، ط ١٩٩٤ ، ص ٦٥ .

٢ - أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ٦٥ .

٣ - المصدر السابق ، ص ٦٧ .

فقضت صمّتا ، أناشيدُ الغرام

بين أزهار الخريف      الذاوية

وتلاشت في سكون الاكتئاب

كصدي الغريد

وتنهض الصورة ما بين التجسيم والتشخيص ، وتأتي كف الأسي لتحطم فرح الشاعر  
بقيثارته التي مسكتها أحلامه ، وتحول الغناء إلى صمت ، وتوقف الحلم وجاء الخريف ،  
وحل سكون مفزع سكون الاكتئاب ، و ضاعت أناشيد الغرام مع صدى الغريد ،  
ويتابع الشاعر صورته التي ترصد حاله التي صار إليها عبر الاستعارة ، فنراه يشرب  
الآلام ، وأوجاع الهموم ، ويطلب من الغريد أن يغنيه نذب الأماني ، والليالي السود :<sup>١</sup>

غني يا صاح ، أنات الجحيم

واسقني الآلام

أترع الكأس بأوجاع الهموم

واسقني ، إني كرهتُ الابتسام

غني نذب الأماني الخائبة

والليالي السود

غني صوت الظلام المكتئب

إنني أهواه

و تأتي الصورة صدى لأعماق النفس التي يرى بها الحياة والأشياء ، فنبت الكون معبرا  
عما في نفس الشاعر من هموم ، ويعتمد الشاعر في صورته على الاستعارة وتراسل  
الحواس ، فقد جعل للهموم أوجعا تشرب ، وللظلام صوت مكتئب ، و أضاف  
الاكتئاب إلى صوت الظلام ليعبر ذلك عن معاناة الشاعر وكثرة آلامه ، وكم توحى  
الصورة بالوحشة والخوف ! ويتابع الشاعر الغوص في عالم الأحزان والظلام ، باحثا  
عن النور والحياة ، وتأتي صورة النور لتظهر في نهاية النفق :<sup>٢</sup>

١- أبو القاسم الشابي :أغاني الحياة،ص٦٨

١-أبو القاسم الشابي :أغاني الحياة ،ص٦٨.



## وتَهَادَى الثُّورُ فِي تَلِكِ الْفِجَاجِ الدَّامِسَةِ

جاءت الاستعارات عند الشاعر من أعماق النفس بعد أن عاش الشاعر التجربة فكانت الصور ومضة إشراق في عالم من القتام ، وقد امتزجت أطراف الصورة مع بعضها ، وتلونت الطبيعة بما في النفس من مشاعر متقدة وأضواء، انبثقت لتشرق في أحضان الطبيعة ، فهاهو الصبح يقبل يغني وسط الحياة الناعسة المستبشرة ، وهاهي الربى تحلم و تنام مطمئنة تحلم بالبشر والفيض الروحي على عناق بما في نفس الشاعر ، وبما في الطبيعة من توافق وانسجام التي تعبر عن التجربة التي يعيشها الشاعر ، والنور يشخصه في صورة إنسان يتمشى في الطرقات الممتدة بين الجبال يلقي بأنواره شيئاً فشيئاً ليملاً كل مكان والشاعر يجد حالة الأنس الداخلي في وجوده في أحضان الطبيعة وهكذا تصوير الطبيعة بما فيها من نقاء وصفاء وجلال، موطن الاطمئنان والأمان ويبقى الأثر النفسي يشع في الصورة الاستعارية التي تعبر عن وجدان الشاعر .

وسأقف إن شاء الله عند الاستعارات التي عبرت عن صور المساء ، والغاب ، والحب .

### أ- صورة المساء

للمساء خصوصية عند الشاعر الرومانسي ، فهو لحظة من اليوم لا تقابل النهار بل هي فترة بين الليل والنهار ، تدل على الرحيل ، رحيل النهار وقدم الليل ، ولهذا اللحظة الوجدانية المثيرة لوداع النهار وسط الأضواء المتغيرة، والمتحولة من حال إلى حال ، أثرا على النفس تصعد عبر الخيال لتجعل منه رمزا ، لما فيه من ظلال وألوان وإيحاء تدل على حالات متناقضة تستنهض الأشواق والأحزان والأفراح والذكريات من أعماق الوجدان ، ويعبر الشاعر عن قبوله لتلك التناقضات رضوخا لحركة الحياة، ويبدو الفرح والأمل يقينا سيصله بعد انتظار ، خارجا من دائرة اليأس والعممة ليدخل دائرة الضوء والفرح الموعود ، يبدو ذلك في قصيدة (المساء الحزين) :<sup>١</sup>

أظَلَّ الوجودَ المساءُ الحزينَ      وفي كفه معزف لا يبين

١ - أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص ١٠١ .

وفي طرفه حسرات السنين  
وفي قلبه صعقات المنون  
كما يلثم الموتُ وردَ الغصون  
وسر الظلام ، وحن السكون  
فغنتَ بها في الظلام الحُزون

\*

ويقضي يَؤوساً لديها الحنين  
وأمله من سَلافِ الشؤون  
وفي روحه حلمٌ مستكين  
طروبٌ وقد ظلَّته الشجون  
وتحصنه شهقات الأنين  
إذا ما تألَّق بين الجفون  
لقد حجبتَه صروف السنين!

وفي ثغره بسمات الشجون  
وفي صدره لوعة لا تقرُّ  
وقبله قبلاً صامتات  
وأفضى إليه بوحى النجوم  
وأوحى إليه مزاميره

\*

وعلمه كيف تأسى النفوس  
وأسمعه صرخات القلوب  
فأغفى على صدره المطمئن  
ضحوكٌ، وقد بللته الدموع  
تعانقه سكرات الهوى  
يشابهُ روحَ الشباب الجميل  
أعاد لنفسه خيالاً جميلاً

ويتابع صور المساء حتى نهاية القصيدة فيطلع فيها الفرح وسط غابات الحزن ، ويأتي الفرح ناهضاً في صورة الحياة التي جاءت وفق رؤيا الشاعر من خلال الوجود حقيقة ساطعة على أمل بولادة الصباح البهي :<sup>١</sup>

((ولا تأسَ من حادثات الدهور  
((ولولا غيومُ الشتاء الغضابُ  
(( ولولا ظلام الحياة العبوسُ  
فخلف الدياتير فجرٌ جديد))  
لما نضدَ الروضُ تلك الورود))  
لما نسج الصبحُ تلك البرود))

لا تنفك صورة الأمل بالفرح القادم رغم الأسى والظلام ، تطل من أفق الخلاص ، لترقب الصبح القادم فالاستعارة حملت الصورة التي عبرت عن وجدان الشاعر .

ب : صورة الغاب :

إن شعراء الرومانسية يفرون إلى الطبيعة ، ليتنفسوا من عنت الحياة الاجتماعية ، ولأنهم وجدوا فيها مظاهر الجمال والاطمئنان والحب والحرية ، وفيها تصوير العلاقة

١ - أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص ١٠٣ .

بين الذات والموضوع فاعلة ومنفعلة ، فتبدو عناصر الطبيعة جزءاً من الشاعر ، تنفعل وتحس بما في نفسه والشابي تغنى بالغاب الذي ينشد فيه الراحة والصدق والجمال، وفي الطبيعة بعد عن المعاناة ومن عنت الحياة وما فيها من مآسي وويلات ، فتفيض النفس بما فيها من مشاعر ووجد وتسكبه في الطبيعة التي أخذت تنفعل وتحس وتضحك وتحلم فولدت الاستعارات وفق مقتضيات الرؤيا وعلى جناح الخيال حيث يقول في قصيدة الغاب<sup>١</sup>:

بيتٌ ، بنتُهُ لي الحياةُ من الشَّدَى	والظِّلُّ ، والأضواءُ والأنعامِ
بيتٌ ، من السحرِ الجميلِ ، مُشَيِّدٌ	للحُبِّ ، والأحلامِ ، والإلهامِ
في الغابِ سحرٌ رائعٌ مُتَجَدِّدٌ	باقٍ على الأيامِ والأعوامِ
وشذَى كأجنحةِ الملائكِ ، غامضٌ	سَاهٍ يرفرفُ في سكونٍ سامِ
ومخارفٌ نسجَ الزمانُ بساطها	من يابسِ الأوراقِ والأكمامِ
وحنا عليها الدوحُ ، في جَبَروته	بالظِّلِّ ، والأغصانِ والأنسامِ
في الغابِ في تلكِ المخارفِ والرُّبَى	وعلى التَّلَاعِ الحُضْرِ والآجامِ
كم من مشاعرٍ ، حلوةٍ مجهولةٍ	سكْرَى ، ومن فِكْرٍ ، ومن أوهامِ
غنَّتْ كأسرابِ الطيورِ ، ورفرفتُ	حولي ، وذابت كالدخانِ أمامي
ولكَمْ أصحْتُ إلى أناشيدِ الأسي	وتنهَّدِ الآلامِ والأسقامِ
وإلى الرياحِ النائحاتِ كأنها	في الغابِ تبكي مَيِّتَ الأيامِ
وإلى الشبابِ ، مغنياً مترنماً	حولي بألحانِ الغرامِ الظامي
وسمعتُ للطيرِ المغرَّدِ في الفضا	والسنديانِ الشامخِ المتسامي
وإلى أناشيدِ الرعاةِ ، مُرْفَةً	في الغابِ ، شاديةً كسربِ يمامِ
وإلى الصدىِ المِراحِ ، يهتف راقصاً	بين الفجاجِ الفيح <sup>٢</sup> والآكامِ
حتى غداً قلبي كنايٍ ، مترع	ثملٍ من الألحانِ والأنغامِ
فشدوتُ باللحنِ الغريبِ مُجَنِّحاً	بكتابةِ الأحلامِ والآلامِ" <sup>٣</sup>

١ - أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص ٢٥٦ .

٢ - الفيح : جاء في القاموس المحيط مادة فيح : خصب الربيع في سعة البلاد، ص ٢١٣ .

٣ - أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص ٢٥٧ .



بيت الغاب جاء من نسج الخيال ليعبر عما في نفس الشاعر ،بيت من السحر موطن الأحلام والآمال ،بني من الشذى وهو موطن الحب والأحلام ،يتجدد مع كل صباح ، والصور تندفق حول الشاعر من صور الغناء والأصوات ،وللشذى أجنحة ،و الدوح يحنو ،والرياح تنوح ، والأطيّار والأشجار تهمس للشاعر ،لقد توحد مع الطبيعة عبر تلك الصور التي أخذت تبوح له بأسرارها، وأعاد الشاعر تشكيل الصورة مما في نفسه فبدت حية وكأن الطبيعة صارت تحمل الأحاسيس والمشاعر فأسند لها أفعال الإنسان وانفعالاته على سبيل الاستعارة المكنية ، واكتملت صورة التلاحم بين الذات الشاعرة والطبيعة من خلال البوح والهمس وصارت العلاقة علاقة تفاعل وانفعال، وخرجت من إطارها الحقيقي لتدخل في عالم الرؤيا الذي أراده لها الشاعر، فعدت مدهشة ومتفردة .والغاب عند الشاعر موطن الأمن والأمان ، لذلك في الغاب امتلأ القلب حياة وحبا ،وصار نايا ،وقد أصابته النشوة ، وارتمى الشاعر في أحضان بيت يطمئن به من أوصاب الحياة وهمومها ،ووحشة الغربة إلى عالم الأُنس والراحة والطمأنينة .

واستمر في قصيدته على ما بدأ به يستنطق الطبيعة وتحيط به الأرواح في عالم اصطفاها فغاص في أعماقه، وألبسه ما في داخله من وهج وسمو، توحد معه تاركا عالم الآثام خلفه ناسيا آلامه وأحزانه، ويتغلغل وسط الكون يسبح بخياله ليعبر عن نفس ترى في الطبيعة خروجاً من آلام الروح والجسد ،ويضع في نهاية القصيدة حلا لمعاناته، فتسمو نفسه فوق طبيعة البشر :<sup>١</sup>

ونثرُها لعواطفِ الأيام	وذروتُ أفكارِ الحزينةَ للدجى
كالنهرِ في فِكْرِي ، وفي أحلامي ))	وهتفت: (( يا روحَ الجمالِ تدفقي
ذَبَلْتُ من الأحزان والآلام ))	((وتغلغلي كالنور ، في روعي التي
كالنار ، في روح الوجود النامي))	((أنتِ الشعورُ الحيُّ يزخرُ دافقاً
عُمُرِي نشيداً ، ساحرَ الأنعام	ويصوغ أحلام الطبيعة ، فاجعلي
في معبد الحق الجليل السامي ))	((وشذى يوضوع مع الأشعة والرؤى

٢ - المصدر السابق نفسه ، ص ٢٥٩ .

ونرى الاستعارات تتولد صور الشاعر لتعبر عن رجاء بلوغ الأسمى و الأبقى ، لذلك يتخلى عن الأحزان ويحضر روح الجمال الرباني الذي يدل على عظمة الخالق فالجمال هو الأسمى ، وهو يطمح وعلى طريقة التجلي عند الصوفيين ، ليصير نشيدا وعطرا نورا ينتشر في الطبيعة حيث يتم بذلك له الخلاص من الجسد ومتاعبه ليسمو إلى عالم الجمال تركا الحياة الفانية و متحددا في عالم من النور والعطور والجمال وفي ذلك الخلاص نفحة إيمانية أمام عظمة الخالق الذي أبدع جمال الكون ، ووقف الشاعر راجيا أن يترك رحلة الجسد ليعود لحنا جميلا من الألحان التي صاغها الله سبحانه وتعالى في الطبيعة وصار عنصرا من عناصر الكون يبقى ما بقي الكون ، الغاب موطن الحياة والعاطفة المتأججة إنه موطن حلم الرومانسي الذي يضيفي المشاعر والأحاسيس على الجمادات التي تتألم وتشعر حيث يبدو تفاعل الشاعر مع الطبيعة بل نراه يرتقي في علاقته مع الطبيعة حتى يحل بها حلولا إشراقيا يرفعه إلى درجة أكمل تخفف عنه هموم الدنيا التي علقت بالجسد الذي طهره الشاعر بالجمال، وأخذ يسمو هناك في عالم تفوق فيه على الحياة البشرية العادية ، ويبدو دور الخيال واضحا في تحقيق مطامح الشاعر ، فالشاعر خلع ما في نفسه على الطبيعة التي بدت جديدة ومدهشة في انفعالها ، وجاء التفرد وسط الرؤيا التي يقدمها كحل لواقعه، وطموح لاستمرار في الحياة ما دامت الحياة مستمرة ، ومستشعرا جلال الخالق في خلقه و مترفعا عن حياة البشر .

علاقة التودد قائمة بين الشاعر والطبيعة فنراه يشخصها على سبيل الاستعارة ويجسم المعنويات فتزداد الصورة حياة و ثناء وحركة وهاهو يصغي إلى حديث الغاب في قصيدة إرادة الحياة:<sup>١</sup>

وقال لي الغابُ في رِقَّةٍ ،	محببةٍ مثل خفق الوتر :
يجيء الشتاءُ شتاء الضباب ،	شتاء الثلوج ، شتاء المطر
وتهوي الغصونُ وأوراقها	وأزهار عهدٍ حبيبٍ نضير
وتلهو بها الريح في كل وادٍ ،	ويدفنها السيلُ أتَّى عبر

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص ٢٣٢ .  
٢- المصدر السابق : ص ٢٣٤ .

الشاعر يسقط على عناصر الطبيعة أفعالا إنسانية على سبيل الاستعارة فالغاب يقول ،  
والشتاء يجيء ، وشموي الغصون ، والريح تلهو .

ونرى الربيع يقبل البذرة التي عادت إليها الحياة على سبيل الاستعارة، على أمل  
باستمرار الحياة :<sup>١</sup>

وجاء الربيع بأنغامه وأحلامه، وصباه العطر  
وقبلها قبلاً في الشفاهِ تعيد الشباب الذي قد غبر

استعار للربيع الأنغام والأحلام ، وصار شخصا يقبل البذرة في الشفاه لتعيد سيرة  
الحياة الأولى، يقف الشاعر في صورته على حقائق الوجود الذي تضافرت عناصره لتعبر  
عن الصورة الفنية حيث صار الغاب معلماً والبذرة أملاً في استمرار الحياة .

ويسأل الشاعر الأرض فتشخص أمامه ويحاورها وتجب على سبيل الاستعارة :<sup>٢</sup>

وقالت لي الأرض — لما سألت:  
(أيا أمُّ هل تكرهين البشر!؟)  
(أبارك في الناس أهلَ الطموح  
ومن يستلذُّ ركوبَ الخطرِ))  
( (وألنُّ من لا يمشي الزمانَ  
ويقنعُ بالعيشِ عيشَ الحجرِ))  
هو الكون حيٌّ يحبُّ الحياة  
ويحتقر الميِّتَ مهما كُبر))

الشاعر يسأل الأرض، وهي تجيب، الأرض أمُّ تحبُّ لا تكره، وتبارك أهل الطموح،  
وتلعن من لا يسعى إلى الحياة، ويبقى متخادلاً، ويخلص الشاعر إلى درس الحياة  
فالكون يحب الحياة ويكره الكسل، فالحياة مجاز العمل والطموح والبحث، والموت  
مجاز الخمول والكسل والاستسلام، كل تلك الاستعارات تصور دعوة الشاعر على  
لسان عناصر الطبيعة والكون لتكون دعوة للحياة .

ج: صورة الحب

الشابي شاعر رقيق تربي على الأخلاق الإسلامية وعلى حب الفضيلة، ونبئت في  
روحه النظرة المثالية للحب ولعلاقة الرجل بالمرأة، ولقد انقاد بالخيال المتوثب العاشق  
إلى الطبيعة الأم الأبقى، فسافر إليها بقلبه العاشق، ونسج وسطها عالم الحب الذي

١ - أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ص. ٢٣١.

٢- المصدر السابق، ص-٢٣٢.

ارتبط بطهره ونقاؤه بطهر ونقاء الطبيعة التي ولد في أحضانها الدافئة ، حيث الأمل والأمان العذبة ، وهناك تولدت نشوة الحب المترفع فوق الشهوات والمادة القادم من عالم أثيري فاض من نفس شفافة عبر الخيال ليعبر عن لواعج القلب ، فالحب نبع تدفق من المرأة والطبيعة حيث ترفرف نسمات الروح وسط الجمال الإلهي الحي الخالد وموطن الكرامة والحرية والأمن والنشوة العلوية ، وغالبا ما يعتمد الشاعر في صورته الاستعارية على الفعل وخاصة الفعل المضارع لما يحمل من حركة تدل على التغيير والحياة، والطبيعة صورة تصدر عن نفس الشاعر وتحمل ما بين طياتها. ولنتابع بعض الصور التي جاءت في قصيدة أراك<sup>١</sup> :

أراك ، فتحلو لدي الحياة	ويملاً نفسي صباح الأمل
وتنمو بصدري وروؤد عذاب	وتحنو على قلبي المشتعل
ويغمُرُ روعي ضياءً ، رفيق	تكلمه رائعات الورود
وترقص حولي أمان طراب	وأفراح عُمرٍ خلي سعيد

ها هي الطبيعة تأتي رضية كل ما فيها جميل متوازن ينطق بما في نفس الشاعر من سعادة وهناء ، والطبيعة تسعد لحال الشاعر وما صار إليه عندما شاهد محبوبته فأقبلت عليه الطبيعة رائعة رضية بشوشة تأخذ بأطراف بعضها لتعبر عن صور فرح شق طريقه إلى نفس الشاعر فتجاوبت أصداؤه في عناق وتوحد مع الطبيعة التي جاءت تطرب وتغني تتغلغل في صدر الشاعر وفي روحه لتمنحه السعادة المنشودة . و نرى الشابي يشق أبعادا لما في نفسه فتزهر في الطبيعة تحت ظلال الحب ومن ذلك ما جاء في قصيدة تحت الغصون قوله<sup>٢</sup> :

وسكتنا وغرد الحب في الغاب ، فأصغى حتى حفيف الغصون  
وبنى الليل والربيع حوالينا من السحر والرؤى والسكون  
معبداً للجمال ، والحب شعرياً مشيداً على فجاج السنين  
تحت يزر الزمان ، ويجري صامتاً في مسيله الحزون

١ - أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ص ١٨٢ .

٢- المصدر السابق نفسه ، ص ٢٣٧ .

٣- المصدر السابق ، ص ٢٣٨ .

وتمرُّ الأيامُ ، والحزنُ ، والموتُ ، بعيداً عن ظله المأمون  
معبداً ، ساحراً ، مباحره الزهر على الصخر والثرى، والغصون  
فالحب صورة الحياة التي تتفاعل في الغاب الحب يغرد وحفيف الغصون يسمع،  
استعارات تصور ما في نفس الشاعر، والليل والربيع بينان الجمال والأحلام ،  
والشاعر يلوذ بأطراف الحب لما فيه من معنى الاستمرار فيتحد مع الطبيعة الأم التي  
ترعى المحبين وتحنو عليهم ، لاستمرار في الوجود ، وانفلات من الهلاك الذي ينتظر  
البشر ، ويبقى الحب وأهله ما بقيت الحياة يدور ويأتي متجدداً مع كل ليل وكل ربيع  
فالزمن يترك الحبيبين في هناء وسعادة وتبتعد الأحزان عن صور الحياة والأحلام ،  
وينسى الموت مؤكداً على خلود الحب ، والشاعر في ذلك يتعلل بالحب هاربا من الداء  
الذي يدب في جسده ويسير به نحو النهاية المحتومة ، فيخرج الأمل ليعانق أطراف  
الوجود وتعبّر الصورة عما في النفس ، وينسج الخيال الرؤيا ويعيد ترتيب الكون لما في  
النفس من مشاعر الرضا بالحب وآثاره حيث يقول :<sup>١</sup>

آه ما أجمل الظلام! وأقوى وحيه في فؤادي المفتون!

انظري الليل فهو في حلة الأحلام يمشي على الذرى والحزون

واسمعي الغاب فهو قيثاره الكون تغني لحبنا الميمون

إنَّ سحرَ الضباب ، والليل والغاب بعيد المدى قويُّ الفتون

وجمال الظلام يعبق بالأحلام والحب ... فابسمي، والثميني

وبدا الظلام جميلاً يعبق بالأحلام ، والليل فقد وحشته ورهبتة ، واكتسى الكون معنى  
جديداً، وقدمت الصورة الاستعارية في هذه الأبيات ما في قلب الشاعر فجاءت الصور  
الخارجية من الليل والظلام والضباب تخطو في تعبيرها لتشد ما في النفس من فرح  
وأمان في ظلال الحب ، فصارت الحياة جنة تحولت تحت ظلال الحب ، وانجلت عن  
صفحتها المموم والأحزان ، تجربة الحب عند الشابي رومانسية تتخفي فيها صورة المرأة  
في ثنايا الحلم ، نتلمسها روحاً أو ملاكاً ، لذلك يبقى الحب الرومانسي والحب عند

١ - أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ص ٤١.

الشابي أقرب إلى الصوفية في سموه وحلوله في الكون ، وربما الشابي ارتفع بالحب  
ليجعل رسالته سامية تبقى في مواجهة عوادي الزمن والمهرم والزوال .

وكما ضحك الكون وابتسم لفرح الشاعر وسروره ، يجعله في موقف آخر يبكي  
ويتألم فالتجربة الشابية تعبر عن الأفكار بالصورة التي تغني التجربة الشعرية وتعود  
الخليقة كما في البدء موحدة تتجاوب فيما بينها كل ذلك حسب الرؤيا التي ولدت  
بالخيال الذي استطاع أن يعيد الصور إلى ما يناسب التجربة الشعرية ويغذيها ومن  
ذلك قول الشاعر في قصيدة مآثم الحب :<sup>١</sup>

ليت شعري

أيُّ طيرٍ

يسمع الأحزان تبكي بين أعماق القلوب

ثم لا يهتف في الفجر برنات النحيب

بخشوع ، و اكتئاب؟

فلاستعارة بالتشخيص والتجسيد تنقل الصورة لتعبر عما في نفس الشاعر ، فالطيور  
تسمع ، والأحزان تبكي ، والفجر ينقل رنات النحيب ، إنه الشاعر يدخل إلى أعماق  
الكون وتأتي الصورة منسجمة مع ما في نفسه ووجدانه من انفعالات على سبيل  
التوحد بين عناصر الكون وفق دعوة الرومانسية ورؤيتها ويتابع أطراف صورة الحزن  
على فقد الشاعر لحبيته :<sup>٢</sup>

ذل قلبي

مات حبي!

فاذري يا مقلة الليل الدراري عبرات

حول حبي ، فهو قد ودَّع آفاق الحياة

بعد أن ذاق اللهب

١ - أغاني الحياة : أبو القاسم الشابي ، ص ٤٣ .

وانديسه،

واغسلية،

بدموع الفجر، من أكواب زهر الزنبق

وادفنيه بجلال ، في ضفاف الشفق

ليرى روح الحبيب

الشاعر زواج بين الخبر والإنشاء ليعبر عما في الوجدان من توتر وآهات تمتد لتشمل الكون ، والشاعر في استعاراته يدعو الليل ليذرف على العبرات وأي عبارات إنها الدراري تلك النجوم دموع الليل إنه الحزن الوجودي الذي لا يعوضه سوى انطفاء الوجود ، ذلك الحب الذي ودع آفاق الحياة ، وتستمر الصورة ويتابع الشاعر أطرافها فدموع الفجر وأكواب زهر الزنبق لتندب الحبيب وتغسله، يدعو الشابي الكون ليقوم مأم الحبيب وليشارك في مأساته التي وسعت الكون بأطرافه المترامية ، والشاعر وفق الرؤية الرومانسية التي تعشق التفرد ، يجعل صورة الدفن متفردة ، ويريد أن يجعل قبر حبه في الأفق ليسعى إلى روح الحبيب التي تسبح في الآفاق فهو يسعى إلى لقاء بعد فراق ، ونرى الشاعر قد استطاع من خلال الاستعارة أن يعبر عما في الوجدان ، وقد أعطانا صورة مقابلة للصورة السابقة وفي كل الأحوال تتبع الصورة من وجدان الشاعر ومن أعماق التجربة التي تجعل الكون نسقا جديدا متغيرا حسب الحالة النفسية والرؤيا التي يطمح الشاعر إليها .

الشابي الذي كبلته الحياة بالأسى والأحزان قد تفوق عليها في أشعاره فوجد في الطبيعة معاني التجدد والاستمرار ووجد الموت والحياة على تناقضهما متحدان في الطبيعة فالموت الذي يطفى الحياة ، التي سرعان ما تعود من جديد وهكذا الشابي في شعره يبتث الشيء ونقيضه في آن معا ، وقد استطاع من خلال التسامي فوق الجسد إلى عالم الروح على طريقة الصوفيين التخلص من آلام الجسد وتساوت النظرة عند الشاعر للموت والحياة بل يتفوق في الموت على الحياة لأنه يعود إلى ما كان عليه وفي ذلك السمو دلالة أكيدة على الانتصار

ونجد مثالا على تعلقه بالدنيا وانتصاره لها بإيمان وعزيمة ما جاء في قصيدة نشيد الجبار<sup>١</sup>:

وأسيرُ في دنيا المشاعرِ حالماً      غرداً — وتلك سعادة الشعراء —  
أصغي لموسيقى الحياة ، ووحيتها      وأذيب روحَ الكونِ في إنشائي  
وأصيحُ للصوتِ الإلهي الذي      يُحيي بقلبي مَيّتَ الأصدقاء  
فالشاعر يسير في دنيا المشاعر غرداً ، وللحياة موسيقاها ، والشاعر يذيب روح الكون في قلبه ، ويصغي إلى صوت الحق فهو يواجه المصائب والأعداء على السواء ، دعوة لانتصار الحياة والأمل رغم الداء والمصائب ، فجاءت عناصر الصورة عبر الاستعارة ، فاستعار الغناء للصباح ، والنعاس للحياة ، والرَبى تحلم والأوراق ترقص ، والنور يتهادى ، يشخص الشاعر عناصر الصورة التي تنطق بما في أعماقه من إشراق نطقت به الطبيعة ، وجاءت الصورة موافقة لحال الشاعر .

مما سبق نرى الشابي يتجاوز حدود العقل والممكن في تصويره متكنا على الخيال فبالخيال يسمع الجمادات ، ويخاطب النباتات وأشباهاها ، ويلج إلى داخل الأشياء ويجعلها تعبر عن تجربته ، فتحزن وتفرح ، وتناجي الشاعر ويستمع إليها إنما الرؤيا التي تصدر عن النفس ، تأتي الصورة لذلك مذهشة وغريبة وجديدة ، وشعراء الرومانسية (( قد يعبرون من الصورة الواقعية العاقلة إلى الصورة المثيرة بالدهشة وإلى الحوار الغريب فيما بينهم وبين الأشياء دون غرابة أو تعذر لأن تلك المعاناة واقعة في نفوسهم وإن كانت تستحيل في الواقع الفعلي ))<sup>٢</sup> وتتجاوز استعارات الشاعر الشكل البلاغي لما تحمل من علاقة نفسية ارتبط الشاعر من خلالها بالطبيعة وصارت الطبيعة تتحدث وتغني وتضحك وتحزن وتعشق ، والشاعر عاش المعاناة على الصعيد الشخصي ، وعلى صعيد الوطن النازف فوجد في الطبيعة أما تحتضن كل متعب فيغسل همومه فيها ويناديها وتناديه ويرحل مع الكون ، ويتجدد مع الفصول كرحلة الأبد متغلغلا وسط جمال طبيعي يسير وفق نظام إلهي يرجو فيه رحمة رب العالمين ، فينشئ بالمشاعر عبر

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص ٢٤٨ .

٢- إيليا الحاروي: الشعر العربي المعاصر ، ج ٢ ، ص ١٠٢ .



الخيال رؤيا، تبنى وفق ما في النفس من مطامح وأحلام للتخلص من الحرمان اليومي ،فتأتي الصور ابنة الشاعر ،الذي جعلها تعبر عما في الوجدان و بذلك يتجاوز صورة الواقع، ليعيش الحياة الحلم ، ويسمو فوق عالم الطين والجسد المهدد بالألم والفناء إلى عالم الروح ، ساعيا لاتحاد مع الطبيعة ليستمر متجددا كالفصول و لتستمر دورة الحياة .

## المبحث الثالث :

### \* دور الرمز في الصورة الفنية:

عندما جاءت الرومانسية دعت لامتزاج انفعالات الشاعر بالطبيعة وتوحدتهما ، والشابي صور الطبيعة وفق ما في الوجدان ووفق التوترات الخاصة بكل تجربة شعرية عبر عنها ، وقد توصل الشاعر من خلال التفاعل الحاصل بين الذات والخارج إلى اكتشاف علاقة تشابه بين شيئين ، وأخذ ذلك التشابه ينمو في رحم البناء الشعري ، حتى صار رمزا دالا على حالة معينة ينصرف إليها هذا الرمز ويرتبط بها . و قد بين ( جوته ) كيفية ولادة الرمز بقوله : (( فحينما يمتزج الذاتي بالموضوعي يشرق الرمز الذي يمثل علاقة الإنسان بالشيء ، وعلاقة الفنان بالطبيعة ، ويحقق الانسجام العميق بين قوانين الوجدان وقوانين الطبيعة ))<sup>١</sup> والشاعر بقدراته المتفوقة كما يرى الرومانسيون ، يستطيع أن يكتشف الرمز ، وذلك عن طريق ((اكتشاف نوع من التشابه الجوهرى بين شيئين اكتشافا ذاتيا غير مقيد بعرف أو عادة ، فقيمة الرمز الأدبي تنبثق من داخله ولا تضاف إليه من الخارج ))<sup>٢</sup> وفي ذلك تبد وقيمة الرمز بما يضيفه الشاعر إلى الكلمة الرمز ، ويبدو الرمز من خلال تراسل الحواس ، أو تجريد المحسوس وتشخيص المجرد ، وهكذا صارت بعض الألفاظ رموزا اتخذت معناها من خلال استعمال الشاعر لها في أغلب قصائده ، والصورة الشعرية عندما تتكرر تأخذ بعدا رمزيا ، والشابي شاعر الحياة كان دائم التشوق إلى الطبيعة التي حملت رموز الانبعاث والفرح والولادة حيث دعا الإنسان لأن يكون كالطبيعة التي تتغير وتتجدد باستمرار، ونرى الشاعر في التغير الذي تستمر فيه الحياة والطبيعة يدعو إلى الثورة ولكن الثورة التي تدعو إلى الحياة إلى التجدد، و إلى الخلاص الروحي الذي هو جوهر وأداة أي خلاص آخر. والطبيعة أم تمنح الخير ومن رحمتها طلع الحب روحا لامرأة شفافا عذبة تزرع الأمل في حقول الروح فتزهر السعادة في المدى وعلى الآفاق ياسمينا و حياة ، وتصير رمزا للحياة والحربة ، ولكن الصورة الشعرية قي الرؤية الشابية تصدر

<sup>١</sup> - Wellek (Rene):AHistory of modern Criticism, ١٩٥٥, P٢١٠, Yale University Press ١٧٥٠-١٩٥٠.

<sup>٢</sup> - محمد فتوح : مرجع سابق ، ص ٣٧ .

عن الحالة ونقيضها ، فيرى في الطبيعة ذاتها رموز الظلم والظلام والخوف والرعب والزوال ، وصوره تصدر عن نزعة تأملية فلسفية صوفية، تشرق وتتجلى بالحقائق العامة للوجود ، وكل ذلك يتم في رحاب الطبيعة (( وبذلك يظل رمز التوحد والتضاد ماثلا في الطبيعة من دلالتها على المعنى الواحد ونقيضه <sup>١</sup>) و الغاب عند الشاعر رمز للنقاء والطهر والفرح والنشوة ، وقد سبق جبران خليل جبران الشابي إلى هذا الرمز واستخدمه في هذا المعنى في قصائده (( فالغاب الذي تغنى به الشابي ، والذي تغنى به جبران من قبله ، وتغنى به شعراء آخرون في هذه المرحلة ، يمثل الطبيعة البسيطة الصادقة الخيرة والطاهرة والعادلة والبرية الأولى التي وجد فيها الرومانسيون مثلهم الأعلى ))<sup>٢</sup> ، ولم تتوقف الصورة عند الوجه الأول للرمز بل أخذ الرمز ذاته وجهاً آخر مناقضاً للوجه الأول، فجاء صورة لليأس والأحزان والحُرمان والعزلة ، وهذا الأمر يعبر عن صدق الشاعر في تجاربه الشعرية حيث كانت أشواقه إلى معانقة الحياة تغتالها يد المجتمع والمصائب والأدواء التي أحاطت بهذا الفتى ؛ الشيخ إن جاز ذلك فتتعادل في رؤياه صورتا الحياة والموت يجتمعان تحت ظل رحم واحدة يصدران عنها ، ورغم تناقضهما يأتلفان؛ ومن هنا غدت رموز الشاعر رموزاً متباينة فيحتوي الرمز نقيضه .

الوجه الأول لرمز الغاب نجده في أكثر من قصيدة منها (( ذكرى صباح ))<sup>٣</sup>:

قدس الله ذكره من صباح	ساحر ، في ظلال غاب جميل
كان فيه النسيم يرقص سكرانا	على الورد ، والنبات البليل
وضبابُ الجبال ، ينسابُ في رفق	بديع على مروج السهول
وأغاني الرعاة ، تحفُّقُ في الأغوار	والسهل ، والرَبِي ، والتلول
ورحابُ الفضاء ، تعبقُ بالألحان	والعطرِ ، و الضياء الجميل
والملاكُ الجميلُ ، ما بين ريحانٍ	وعُشْبٍ و سنديان ظليل
يتغنى مع العصافير ، في الغاب	ويرنو إلى الضباب الكسول
حلمٌ ساحرٌ ، به حلم الغاب	فواهاً حلمه المعسول !

١- إيليا الحاوي : الشعر العربي المعاصر ج ٣ ، ص ٢٢ .  
٢- دورة الأخطل الصغير : مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين ٢٠٠٠م ، ص ٦٨٢ .  
٣- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ٢٢١ .

الطبيعة تجري في حبور وسرور أينما اتجهت تغني للحياة ،وقد توحدت صورتها بألحانها وأنغامها وعطورها وطوبها وأضوائها وكلها تصدر عما في نفس الشاعر وعن رؤياه ،((فالرمز الشعري مرتبط كل الارتباط بالتجربة الشعورية التي يعانها الشاعر والتي تمنح الأشياء مغزى خاصا .))<sup>١</sup> فالحياة مقبلة لذلك أقبلت الطبيعة بصورتها الحاملة ،وهذه الصورة صورة الغاب الحياة والفرح والأمان العذاب .

والطبيعة مسكن الشاعر وبيته وهي تنشد ألوان الفرح والسرور ، حيث تولد السعادة من مشاهد الطبيعة وأنغامها وعطورها فتحلق الروح، فيصبح الغاب كما يصوره الشاعر رمزاً للبراءة الأولى حيث التلاحم الأبدي بين عناصر الكون والخلق سوية في عالم الرؤى في غاب الشابي حيث يقول في قصيدة الغاب :<sup>٢</sup>

بيت بنته لي الحياة من الشذى	والظل ، و الأضواء ، والأنغام
بيت ، من السحر الجميل ، مُشيدٌ	للحب ، و الأحلام ، والإلهام
في الغاب سحرٌ ، رائعٌ متجدد	باقٍ على الأيام والأعوام
وشذى كأجنحة الملائك ، غامضٌ	سأه يرفرف في سكون سام
وجداولٌ تشدو بمعسول الغنا	وتسيرُ حاملةً ، بغير نظام
كم من مشاعرٍ حلوةٍ ، مجهولة	سكرى ، ومن فكر ، ومن أوهام
غنت كأسراب الطيور ورفرفت	حولي ، وذابت كالدخان ، أمامي

فالشاعر استطاع بخياله أن يجعل الغاب موطن المشاعر والأحلام فخفقت الروح في عالم من السحر الحلال ، وتحول المشهد إلى صورة من عناق أبدي للرحمة والجمال والسعادة ، فالغاب رمز الحياة الرؤيا لذلك جاء بصورة أخرى مخالفة لحياة الناس في المجتمع ، حيث الحياة ملوثة بالشهوات ومضطربة بالأحقاد ، و حياة الغاب تكون بذلك رمزاً للطهر والبراءة وللإياس من حياة الناس ، ولذلك يتشوق الشاعر دائماً للحياة وسط منابت البراءة وشعوس الصدق وفي أحضان الرحمة الإلهية ، لذلك يتبرك روحه في أحضان الطبيعة كما يقول في قصيدة (مناجاة عصفور) :<sup>٣</sup>

١- د - عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر ، ص ١٧٢ .

٢- أبو القاسم الشابي :أغاني الحياة ، ص ٢٥٦ .

٣ - المصدر السابق نفسه . ص ١١١ .

آه من الناس الذين بلوثهم  
فقلوبهم في وحشتي وحبوري  
ما منهم إلا خبيث غادر  
متربصٌ بالناسِ شر مصير  
ويود لو ملك الوجودَ بأسره  
ورمى الورى في جاحم<sup>١</sup> مسحور  
وإذا دخلتُ إلى البلادِ فإنَّ أفـ  
كاري ترفرف في سفوح الطُّور

يصور البعد بين الشاعر والناس ، لذلك يجد نفسه غير منسجم معهم ، فيهرب إلى الغاب ليعتزل به ، ويرتاح وسط الطبيعة التي لا تعرف غير الحب والصدق ، والشاعر في تركه حياة الناس موت في وسط الجماعة ، وهذا رمز للعزلة عن الناس واليأس منهم ، وابتعاده عن حياة الناس كان سببا في بحثه عن الحياة الأولى في أحضان الطبيعة .

وينهض النقيض وسط النقيض فموت الشاعر بين الناس ، يعادل الولادة الجديدة في عالم البرء معانقا للوجود ، وقد عاد الشاعر طفلا ، عاد إلى الماضي الأول ، والطفولة عند الشابي وسواه من الرومانسيين ترمز إلى الفطرة والنقاء ، فالطفل لا هم له ولا يسأل عن حاجة في هذا العالم بل يعيش بفرح وسعادة بعيدا عن هموم الحياة ومشاكلها .

الطفولة هي رمز السعادة البريئة ، والعودة إلى الماضي ، ونجد مثل هذا الرمز لصورة الطفولة في قصيدة (الطفولة) وما جاء فيها :<sup>٢</sup>

لله ما أحلى الطفولة ! إنها حلم الحياة  
عهدٌ كمعسول الرؤى ما بين أجنحة السبات ..  
ترنو إلى الدنيا ، وما فيها بعين باسمه  
وتسير في عدوات واديها بنفس حاملة ..  
إن الطفولة [زهرة] تَهْتَرُ في قلب الربيع  
رِيَانَةٌ من رِيِّقِ الأنداء في الفجر الوديع  
غَنَّتْ لها الدنيا أغاني حَبَّها وحبورها

١- الجاحم : الجمر الشديد الاشتعال ، راجع القاموس المحيط ، مادة جحم ، ص ٩٨٠ .

٢- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ٧٩ .

فالطفولة حلم الشاعر وأمله ، لقربها من الخلق الأول حيث مازالت على براءتها وطهارتها أشبه بالطبيعة البكر ، لذلك تجتمع الطفولة والطبيعة وقد ارتبطتا بالوجدان فهما تحملان الأثر نفسه في النفس .

ومن ذلك قول الشاعر في قصيدة (الجنة الضائعة) :<sup>١</sup>

كَمْ مِنْ عُهُودٍ عَذْبَةٍ فِي عَدْوَةِ الْوَادِي النَّضِيرِ  
فِضْيَةِ الْأَسْحَارِ مُذْهَبَةِ الْأَصَائِلِ وَالْبُكُورِ  
كَانَتْ أَرْقَ مِنْ الزَّهْوَرِ ، وَمِنْ أَغَارِيدِ الطَّيُورِ  
قَضَيْتُهَا وَمَعِيَ الْحَبِيبَةُ لَا رَقِيبَ وَلَا نَذِيرَ  
إِلَّا الْطُفُولَةَ حَوْلَنَا تَلْهُو مَعَ الْحُبِّ الصَّغِيرِ  
أَيَّامَ كَانَتْ لِلْحَيَاةِ حَلَاوَةَ الرُّوْضِ الْمَطِيرِ  
وَطَهَارَةَ الْمَوْجِ الْجَمِيلِ ، وَسِحْرُ شَاطِئِهِ الْمُنِيرِ  
وَوَدَاعَةَ الْعَصْفُورِ ، بَيْنَ جَدَاوِلِ الْمَاءِ النَّمِيرِ  
أَيَّامَ لَمْ نَعْرِفْ مِنَ الدُّنْيَا سِوَى مَرَحِ السُّرُورِ  
وَتَتَبُّعِ النَّحْلِ الْأَنْبِقِ وَقَطْفِ تَيْجَانِ الزَّهْوَرِ  
وَتَسَلُّقِ الْجَبَلِ الْمَكَلَّلِ بِالصَّنَوْبَرِ وَالصَّخُورِ  
وَبِنَاءِ أَكْوَاخِ الطُّفُولَةِ تَحْتَ أَعْشَاشِ الطَّيُورِ  
مَسْقُوفَةً بِالْوَرْدِ ، وَالْأَعْشَابِ ، وَالْوَرَقِ النَّضِيرِ

ويجري على عادة الرومانسيين باستحضار الماضي الجميل فحضرت الطبيعة ترفل بما في نفس الشاعر من راحة وهدوء واطمئنان إنها الطفولة رمز البرء والطهر حضرت إلى الطبيعة وكان العناق صورة رضى وحب لا يكدر .

وترافق مجموعة من الرموز رمز الطفولة وتنهض معه ، ومن هذه الرموز ما يدل على السعادة والحياة وفرح الروح والتفاؤل والأمل ، حيث الزمن زمننا رغدا ، والطفولة عذبة بلا هموم ، إنها فترة من البراءة والصدق والعفوية من هذه الرموز التي

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص ٢٠٧ .

تدل على هذه المعاني المرافقة لهذه الفترة العمرية: — البلباب ، الربيع ، الفجر ، النور ، الوادي ، والأزهار ، والصنوبر ، والأصداء ، والأكواخ ، والنحل والجبال، .... — هذه رموز أشرقت في نفس الشاعر في ذلك العهد عهد الطفولة .

والشابي أخلص للطبيعة محاولاً أن يتعرف على أسرار الحياة والوجود من خلال التعرف على الطبيعة لذلك سعى إلى أعماقها وأصغى إلى همساتها وأصواتها ، واتصل بروحها محاولاً الوصول إلى حقائق الحياة لذلك كانت الطبيعة مهد الحب والحريّة والحق والجمال بث فيها الله آيات تترجم سر الوجود لمن يصغي إليها وينفذ إلى أعماقها ، والشابي اعتزل حياة الجماعة يتأمل أعماق الكون ليصل إلى اليقين ، فترفع عن حياة المجتمع الحياة المادية ودلف بدأب وأشواق متصلة باحثاً عن حقيقة الإنسان والوجود .

والشاعر يقف أمام الزمن محاولاً التوحد معه ، صورة الزمن الذي اجتمع فيه قطبا الحياة والموت لذلك صارت موضوعات شعر الطبيعة على يديه رموزاً متباينة للحزن والفرح والأمل واليأس والموت والولادة ، ونرى التناقض في صورة الليل الذي هو جزء محدد من الزمن ينظر الشاعر إلى أعماق الليل فيرى النقائص تنهض فيه على حد سواء كما يبدو في قوله من (قصيدة أيها الليل ) :<sup>١</sup>

ل يا هيكل الحياة الرهيب	أيها الليل يا أبا البؤس والهو
ب ، تصلي بصوتها الخجوب	فيك تجثو عرائس الأمل العذ
حجبتها غيوم دهر كئيب	فيشير النشيد ذكرى حياة
في شفاه الدهور بين النحيب !	أيها الليل ! أنت نغم شجي
في صدرك الركود الرحيب	إن أنشودة السكون التي تترج
رنة الحق ، والجمال الخلوب	تسمع النفس في هدوء الأمان
تمز الحياة هزّ الخطوب	فتصوغ القلوب منها أغاريداً
ولك الله ! من فؤاد كئيب	فلك الله ! من فؤاد رحيم

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص ٧٢.

يهجع الكون ، في طمأنينة العصفور، طفلاً بصدرك الغريب  
وبأحضانك الرحيمة يستيقظ، في  
نضرة الضحوك الطروب

فالليل رمز لاختلاف الزمن وتطوره، وتبدل الأحوال وانتقالها بل يجتمع في رحم الليل  
النقيض ونقيضه دفعة واحدة ، فالرحمة والقسوة ، والكآبة والفرح ، والقوة والضعف  
، كلها صور مختلفة لليل ، تجتمع كلها في رحم واحدة ، حيث يولد في صورة الليل  
الشيء ونقيضه ، يولدان دفعة واحدة في رحم واحدة ، ومن ذلك التناقض يعبر عن  
الحيرة واليأس والأمل والاطمئنان دفعة واحدة ، والليل هنا رمز للتحوّل والتبدل  
الذي يصيب الزمن ، ويعبر الشابي عن اللحظة القائمة وعن المستقبل ، والكون بكل  
مظاهره يعاني من داء الفناء والتغير والتبدل، ففي الأبيات الليل رمز للقسوة والظلم  
والظلام ، والرحمة والجمال والاطمئنان والأمل ، وبذلك جمع الشاعر القيم المتناقضة في  
رمز الليل الذي بدا فيه وجهان متناقضان من القيم الإيجابية التي تقابلها طائفة من القيم  
السلبية تخرجان من رحم واحدة.

وصورة الليل قد تكون رمزا للظلم ، والليل يحمل أوجها متعددة لهذا الظلم ، فهو  
وجه غريب ظالم لا يعرف الرحمة ، قتل صور الخير والجمال كما في قول الشاعر من  
قصيدة (إرادة الحياة):<sup>١</sup>

ولا بد للقيد أن ينكسر      ولا بد لليل أن ينجلي

فصورة الليل في هذا البيت رمز للظالم أيا كان ، والظلم والظالم سينتهيان ويأتي الفجر  
وتولد من جديد الحياة بإرادة الناس الذين يأبون الضيم والذل .

يجمع الشاعر في قصيدة (إلى طغاة العالم): بين معاني الظلم والموت ومعاني الثورة  
والحياة في صورة الظلام وذلك في قوله<sup>٢</sup>:

ألا أيها الظالم المستبد      حبيب الظلام ، عدو الحياة  
سخرت بأناتٍ شعبٍ ضعيف      وكفكُ مخضوبة من دماء  
وسرتَ تُشوّه سحرَ الوجود      وتبذر شوك الأسي في رُباه

<sup>١</sup> - أغاني الحياة : أبو القاسم الشابي ، ص ٢٣١ .

<sup>٢</sup> - المصدر السابق : ص ٢٥٥ .



رويدكُ إلا يحدّ عنكُ الربيعُ  
ففي الأفقُ الرحبُ هولُ الظلامِ  
حذارِ! فتحتُ الرمادُ اللهبُ  
وصحوُ الفضاءِ ، وضوءُ الصباحِ  
وقصفُ الرعودِ ، وعصفُ الرياحِ  
ومن يبذرُ الشوكَ يجنُ الجراحِ

ففي المقطع الأول صورة الليل الذي عبر عنه بالظلام ، رمز المستعمر المستبد الظالم ، وصورة الشعب الضعيف المستسلم ، وتنهض في المقطع الثاني رموز التحول فالظلام دليل على الثورة في قوله هول الظلام ، والشعب قوي ومتفوق ، لأنه سلك طريق المواجهة طريق الحياة و رؤيا الشاعر واقعية، والرمز تحول وانعطف من السلب إلى الإيجاب الرمز يحمله نقيضه في رحمه ، والربيع في الأصل رمز الهدوء والاطمئنان لكن الشاعر حوله إلى رمز الترقب والحذر والقلق ، وحملت صور هول الظلام ، قصف الرعود ، عصف الرياح ، صور التغيير والثورة ، تلك الرموز التي تحول بها الشعب إلى الحياة .

وتحمل صور الطبيعة كثيرا من الرموز التي يعبر بها الشاعر و يستنطق عناصر الطبيعة ويحملها معاني الرمز: فالريح ، والرعد، وسقوط المطر ، كلها رمز الثورة والتغيير المرتقب.

والريح حملت رسالة التغيير ، ونقلتها إلى أرجاء الكون ، وعناصر الطبيعة تحمل قيما جديدة تمليها عليها المستجدات والظروف التي لا تهادن الجماد بل ترفضه ، وبيث رؤياه إلى الكون ، فمن يريد التغيير لابد له من المغامرة وعدم الخوف من الجهول ، ونجد ذلك في قصيدة إرادة الحياة التي يقول فيها :<sup>1</sup>

ودمدمتِ الریحُ بينَ الفجاجِ  
و إذا ما طمحتُ إلى غايةٍ  
(( ولم أتجنّبِ وعورَ الشعابِ  
و فوق الجبالِ وتحتَ الشجرِ :  
رکبتُ المنى ، ونسيتُ الحذرِ ))  
ولا کبّةَ اللهبِ المستعرِ ))  
(( ومن لا یحبُّ صعودَ الجبالِ  
يعش أبداً الدهر بين الحفرِ ))

1- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص ٢٣١ .

فَعَجَّتْ بِقَلْبِي دَمَاءُ الشَّبَابِ      وَضَجَّتْ بِصَدْرِي رِيَا حُ آخِرٌ ..  
وَأَطْرَقَتْ أَصْغِي لِقِصْفِ الرُّعُودِ      وَعَزَفَ الرِّيَّاحِ ، وَوَقَعَ المَطَرِ

الشاعر يتحدث عن الريح بما ترمز إليه من قوة ومواجهة، ويرى الشابي ضرورة التغيير وعدم الخوف ، حيث دخل إلى أعماق الطبيعة واستحضر رموز الحياة فيها شاهد رموزها ببصيرته التي أرسلها لتقصي حقائق الحياة والوجود في أعماق الطبيعة الأم والمعلم فمن أراد أن يكون قويا طموحا عليه أن يتحدى الصعاب والمخاطر، ولعله يأخذ الدرس من عناصر التجدد والتغير عناصر البناء ورموز الحياة المنبعثة من جديد الرعد ، الرياح ، المطر .

ويحمل الربيع رمز التجدد والولادة رمز الانبعاث من جديد، وكذلك الفجر والنور رمز للخير والأمل نجد ذلك في قوله من قصيدة إرادة الحياة :<sup>١</sup>

وَجَاءَ الرِّبِيعَ ، بِأَنْغَامِهِ ،      وَأَحْلَامِهِ ، وَصَبَاهُ العَطْرِ  
وَقَبَّلَهَا قُبْلًا فِي الشِّفَاهِ      تَعِيدُ الشَّبَابَ الَّذِي غَبَرَ  
وَبَارَكَكَ التُّورُ ، فَاسْتَقْبَلِي      شَبَابَ الحَيَاةِ وَخِصْبَ العُمُرِ

فالربيع رمز الولادة والعودة إلى الحياة بعد الشتاء ، والنور رمز الولادة والإشراق والحياة رمز الخير والطهر رمز الحرية والسطوع والوضوح و نار الحياة رمز للروح . وقد تتغير الرموز فيصير الليل كالصباح ، وتكتسي عناصر الكون والحياة حلة جديدة ، لأن الحب قطب الحياة ، فنهضت من أعماق الوجدان صورا جديدة للرموز ، وفي زمن الحب تتغير صور الرموز وتأخذ مدلولات جديدة ، تعبر في صورها الجديدة عن رموز الخير والحياة ويصير الرمز واحدا حيث يموت الظلام في الليل، وتشب الأحلام أحلام الحب لتصير عباءة جديدة يرتديها الليل فيتغير الرمز ، إنها بصيرة الشاعر التي تعبر إلى الأعماق وتفكك الرؤى وتعيدها بما يناسب المقام وسمو الحالة التي يعانيتها الشاعر نجد مثالا على ذلك ما جاء في (قصيدة تحت الغصون):<sup>٢</sup>

((أبدا! أنت حالم ، فاسأل الليل ، فعند الظلام علم اليقين (...))

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص ٢٣٤ .  
٢- المصدر السابق ، ص ٢٣٧ .

أي ليل هذا بل أي ظلام الذي صار رمزاً للحقيقة والصدق بعد أن كان رمزاً للقهر والعسف والظلم والجهل ، لقد استطاع الحب أن يلبس الليل ثوباً مغايراً للحقيقة ثوب فصله له الشاعر يليق بالمقام الجديد الذي وفد إلى حضرته فأخذ بعداً مناسباً ورمزاً جديداً يدل على المعرفة والخير والجمال :<sup>١</sup>

وسكتنا ، وغرد الحب في الغاب ، فأصغى حتى حفيف الغصون

وبنى الليل والربيع حوالينا من السحر والرؤى والسكون

وهاهو الرمز يتبدل في الليل أيضاً فاستوى رمزاً للخير والبناء والجمال ، وكأن الحب أعطى روحه للأشياء فانبرت تبدل أثوابها تبدل مدلولاتها ورموزها فالشاعر يخضع الوجود إلى ذاته ويراه بعين بصيرته ويأخذ الرمز دلالاته من أعماق الوجدان جديداً كالصورة الجديدة التي خرجت من وجدان الشاعر .

وعندما تدلف صورة الحب إلى عالم الشاعر تختفي كل الصور المظلمة وتضاء الحياة بشموع الأرواح ، وتبدو الحياة كجنة ، تأتلف في حضرة المرأة وتتناغم عناصر الطبيعة والزمن وصورة المرأة تبدو كرمز للحياة المقبلة التي دانت بين الأشياء وأعطتها رؤى مشتركة تحت ظلال الحب الذي يتناغم مع الطبيعة فيتجاوبان في صورة من التوحد الروحي وتتضح الرؤية وتموت العتمة بل تضاء من وجدان الشاعر ونفسه ، وتكون المرأة هي محور التوافق والتودد والانسجام بين عناصر الطبيعة ويبدو أثر الحب واضحاً على كل عناصر الطبيعة والكون والزمن ، ومن ذلك ما جاء في قصيدة (تحت الغصون):<sup>٢</sup>

علني أستطيع أن أتغنى      لجمال الدُّجى بوحى العيون ((

((آه! ما أجمل الظلام! وأقوى      وحيه في فؤادي المفتون ((

((انظري الليل فهو في حلة الأحلام      يمشي على الذرى والحزون ((

((واسمعي الغاب ، فهو قيثارة الكون      تغني لحننا الميمون))

إنَّ سحرَ الضبابِ ، والليلِ، والغاب      بعيد المدى ، قويُّ الفتون

١ - أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ص ٢٣٧.

٢ - المصدر السابق ، ص ٢٣٨.

وجمال الظلام يعبق بالأحلام      والحب .. فابسمي والشميني ))

وكان للمرأة مقدرة عجيبة في تغيير صور عناصر الطبيعة والكون والزمن ، والصور أفلتت من عقابها في التجربة الشعرية للشاعر، أفلتت من عقابها بالخيال الذي طرز لها صوراً جديدة أشرفت بها، واستمدت نورها وحياتها وضيائها من بهاء الحب وأنواره ، وصارت رموزاً للحياة و للإشراق الذي لا يعرف العتمة، واكتست عناصر الكون رموز الحياة والأحلام واقتبست من إشعاع رمز المرأة رمز الحب الطاهر الصادق ، وكان الشاعر يدعو إلى الإخلاص والصدق لتشع الحياة نورا وأملاً وإشراقاً ، لا يخبو بريقه، ولا يتوقف ضياؤه .

ويستحضر الشاعر صورة المحبوبة الروحية الصورة النقية التي ترمز إلى الحياة والطهر فالمحبوبة تمنح الصورة دلالة رمزية جاءت من نقاء المحبوبة التي صاغها الله تبارك وتعالى فحملت صفات ميزتها وجعلتها تبت الحياة الكاملة والأمل حولها :

(( طهري يا شقيقة الروح ثغري      بلهيب الحياة بل قليني ))

(( إن نار الحياة و الكوثر المنشود      في ثغرك الشهي ، الخزين ))

إنّ صورة المرأة في هذه القصيدة فيها من التفرد والتميز ما يجعلها تحمل قيماً مختلفة تستطيع بها أن تعيد إلى الأشياء طهارتها وتغسلها من الآثام والخطايا، وتتفوق على عوادي الزمن، فالمرأة في القصيدة المرأة الرمز تحول الأشياء بمقدرتها على منح الأمل والحياة امرأة من عالم الروح تختلف عن النساء ، أحضرها خيال الشاعر مع نزعة صوفية رأى فيها طهارة وتفوقاً جعلها تمنح الحياة وتنقيها من أدران الوجود وتمنح الطهارة، إنها امرأة فوق الشهوات والعدم والتحول إنها رمز للسمو والرفعة ، وفي ثغرها طهارة للروح وأمل بالعودة إلى الصفاء وهكذا يأتي الخيال ليحل معاناة الشاعر لمواجهة الواقع وعوادي الزمن .

ويأتي رمز النور رمز الخير والصفاء ، ليعبر به الشاعر عن عالم الروح وهو العالم السامي الذي رحل عنه عندما انفصم عن النور وتقيّد بقيود الجسد التي حدثت من



فآدم في هذه الصورة رمز تشوق الشاعر إلى الطهر والخير رمز العودة إلى الإنسان الأول الذي لا يعرف الأحقاد ولا الشحناء .

وقد تتصالح الرموز المتضادة حيث يولد كل منهما من الآخر ويصير رمز الحياة والموت متكاملان لا تناقض بينهما ، ولا تضاد فالموت هو في سبيل الحياة ومن أجل ولادتها في أبهى صورها من جديد ، ومن ذلك ما نجده من رموز الهدم التي يراد بها ولادة رموز الخير والبناء الهدم من أجل البناء فالفأس ، و السيول ، والرياح ، والعواصف ، هي رموز الهدم الذي يتوجه فيه الشاعر إلى هدم القيم السلبية ، هدم الأفكار الجامدة والمتحجرة ، فالهدم هنا رمز إيجابي ولم يقصد به الموت والخراب بل يقصد به إعادة البناء بما يتناسب ومقتضيات الحياة الكريمة التي تنهض بالإنسان وتبث في أعماقه لحن الحياة الذي هو وسيلة للنهوض من جديد حيث يقول :<sup>١</sup>

أيها الشعب ! ليتني كنتُ حطاباً فأهوي على الجذوع بفأسي !  
ليتني كنتُ كالسيول ، إذا سالتُ تَهْدُ القبورَ رسماً برمس !  
ليتني كنتُ كالرياح ، فأطوي كلَّ ما يخنق الزهور بنحسي !  
ليتني كنتُ كالشتاء ، أُغشِّي كلَّ ما أذبل الخريفُ بقرسي !

فرموز الهدم رموز الخير لأنها رمز البناء ، فالهدم يعد للبناء للتغير والثورة، التي تريد أن تغير الواقع المظلم إلى واقع مشرق ، فتعانق الرمز وضده الرموز السابقة وسائل للهدم وليس للهدم فحسب بل هي من أجل إعادة البناء بصورة أجمل وأرحب ، ونجد في هذه الرموز توحد رموز الحياة والموت فالتنافر الظاهري ، يخالفه توافق مضمري ، والحياة تولد من جديد بعد الموت تنهض الحياة في حلق أبهى مما كانت عليه ، والشعب عند الشاعر يتنازعه رمز الحياة والموت فعندما تسيطر على الإنسان الغفلة وشهوات الدنيا، يصير رمزاً للموت ، حيث تتعطل في الشعب المقدرة على التقدم والحياة الحقيقية ، فيعيش الناس ليأكلوا فحسب وتتجمد الأفكار ، وتتغير مسيرة الحياة ، والشعب لا يريد أن

١ - أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة: ص ١٤٦

يتعلم ولا يفهم صور الحياة المبتوثة حوله في الطبيعة يعبر الشاعر عن صورة هذا الرمز بقوله من قصيدة (يا ابن أمي) <sup>١</sup>:

خُلقتَ طليقاً كطيف النسيم ، وحرّاً كنور الضحى في سماه  
كذا صاعك الله يا ابن الوجود وألقتك في الكون هذي الحياة  
فمالك ترضى بذلّ القيود وتَحني لمن كَبَلوك الجباه؟  
وتُسكتُ في النفس صوت الحياة القويّ إذا ما تغنّى صداه؟  
وتطبق أجفانك النيرّات عن الفجر، والفجرُ عذبٌ ضياه؟  
وتفنع بالعيش بين الكهوف فأين النشيد؟ وأين الإياه؟ الإياه: نور

الشمس

أتخشى نشيد السماء الجميل؟ أترهب نور الفضا في ضحاه؟

يذكر في مطلع القصيدة بأن الإنسان خلق طليقاً كالنسيم وحرّاً كنور الضحى ، فالإنسان أي الشعب منح حظ النسيم والنور في الانتشار والعطاء، لكنه هو الذي انحرف بنفسه ، عما أراد له الله سبحانه وتعالى حيث خلقنا مخيرين ويرفض الشاعر الحالة التي آل إليها الشعب من خنوع وذل ، ويريد أن يدل على جنب الشعب وخنوعه وقبوله بحياة الجمود والتخلف ، وترك حياة النور والخير التي أرادها الله سبحانه وتعالى للإنسان والنور دعوة ربانية لاقتباس الحق والسير في طريق الصواب والصدق ، ويستغرب الشاعر من شدة حماقة الشعب وجهله لأنه أعرض عن صوت الحق المدوي على المدى وأصم آذانه بالجهل والتخلف الشعب يغط في بحور من الظلمة مغمض العينين قانع بالجهل ومحاط بالتخلف وقد أسدل أستار الحياة وأصيب بغشاوة الموت لأنه عطل قواه التي منحها له الله سبحانه وتعالى فالشعب رمز التخاذل والجهل والتخلف .

لكن الشعب في قصيدة ( إلى طغاة العالم ) يتحول من رمز للتخلف و الموت إلى رمز يدل على الحياة يجرف بقوته التي تتعدى الحدود كل ألوان الظلم والظلام، وتنبت الحياة من جديد حيث يقول مهددا المستعمر بقوة الشعب ، الشعب الثائر الحي <sup>١</sup>:

١ - أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ١٢٩ .

رويذكُ إلا يخذعنك الربيعُ ،  
ففي الأفقُ الرحب هولُ الظلامِ ،  
حذارِ فتحت الرماد اللهبُ  
وصحوُ الفضاء ، وضوء الصباح  
وقصفُ الرعود ، وعصف الرياح  
ومن يبذر الشوك يجن الجراح

فيأخذ من صور الطبيعة ؛ هول الظلام وقصف الرعود ، وعصف الرياح ، رموز القوة التي تدل على أنها ستكون نبراسا للشعب الذي سيتصدى للغاصب الذي بذر أشواك الأسي وقتل الأطفال ودوخ التراب بما سقاه من دماء الأبرياء ، وينمحي ليل الخنوع والذل ، ويطل الشعب حاملا لواء الخلاص ، نابضا بدفق الحياة واعيا قويا :

تأمل هنالك .. أني حصدتَ  
رؤوسَ الورى ، وزهورَ الأملِ  
ورويت بالدم قلبَ التراب ،  
وأشربتَه الدمعَ ، حتى ثمل  
سيجرفك السيلُ سيلُ الدماء ،  
ويأكلك العاصفُ المشتعل

فالشعب رمز للوعي والقوة الثائرة التي تتخلص من المستبد ، وتقضي عليه ، الشعب عادت إليه روح الحياة ، فامتلاً قوة ونورا ومضاء .

وهكذا نجد الشابي في صورته كما في رموزه ، يتحول كالفصول حاملا رموز الموت والحياة دفعة واحدة ، و يتوقف معنى الرمز ودلالته على ما في نفسه من مشاعر حول موضوع التجربة التي يعيشها .

الصور كما الرموز التي تلد في أحضان التجربة هي أبناء للشاعر جاؤوا من نفق فيض الروح على جناح الخيال .

ولنتابع تغير مدلولات الصورة والرمز عند الشاعر ، والتي نجد مثالا عليها في

قصيدة ( إلى الموت )<sup>٢</sup> والتي قالها الشاعر ولم يتجاوز التاسعة عشر من عمره :

إلى الموت ! إن حاصرتك الخطوبُ  
وسدّت عليك سبيلَ السلامِ  
ففي عالم الموت تنضو الحياةُ  
رداءَ الأسي ، وقناعَ الظلام

١- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ٢٥٥ .

٢- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ١١٧ .



وتبدو ، كما خُلِقَتْ غَضَةً يفيض على وجهها الابتسام

الموت سبيل للخلاص من مصائب الدنيا ، والانتقال إلى عالم أرحب ، لا أسى فيه ولا عتمة، عالم فيه الولادة الجديدة؛ التي تشبه في براءتها عالم الإنسان الأول ، عندما أرسله الله إلى الأرض ، حيث الحياة البكر التي لم يشوهها الإنسان ، بل الحياة التي تقوم على البشر والأمل والفرح ، تحولت عناصر الصورة من العدم والألم إلى الخلود والسعادة ، ليتغير معها الرمز وفق الرؤيا الجديدة وبذلك يكون الشابي قد نقل مدلول الموت الرمز ، بين الوجود والعدم وتتقاذفه أمواج الحياة فيخلق عالما ليأتي بتباشير الولادة في قلب الموت ، ويتعدى في نطقه الإيماني ، فيحضر عالم الأرواح ويضع الشاعر عبر الرؤيا التي تدل على عمق إيمان وتأثر بالصوفية رغم صغر سنه حلا للمعاناة الوجودية معاناة الألم وحاجات الجسد وعوادي الزمن التي لا ترحم . وتتابع تطور الصورة والرمز في قوله :<sup>١</sup>

هو الموت طيفُ الخلودِ الجميلُ ،	ونصف الحياة الذي لا ينوحُ
هنالك .. خلف الفضاء البعيد ،	يعيش المنونُ القويُّ الصبوحُ
يضمُّ القلوب إلى صدره ،	ليأسوا ما مضى من جروح
ويبعثُ فيها ربيعَ الحياة ،	ويُبهجها بالصباح الفَروح

تتضافر عناصر الصورة مع بعضها وفق رؤيا الشاعر، فالموت خلود بلا دموع ولا أحزان ، بل يحنو الموت وهو يضم القلوب كأمر رؤوم ، ويواسي من يأتيه من جروح الدنيا ، وتعود الحياة رائعة جديدة بهيجة ، ويصير الموت رمز الحياة .

\* يضع الشاعر يده على قضايا كبرى في الحياة، كانت هاجسا قديما عند الإنسان الذي حاول أن يضع حلا لمشكلة الفناء والزمن والخلود، فنسج عبر خياله الأسطوري حلولا لما واجهه في حياته من عوادي الزمن والفناء. لكن الشاعر وفق الرؤيا الإيمانية التي استقرت في أعماقه وعبر مشاهدة صوفية استطاع أن يلج إلى عالم الروح الذي تشف به الأجساد وتصير أرواحا تسبح في عالم من الخلود الأبدي، يتفوق في رؤياه على الآلام الداخلية والخارجية، وينظر إلى الموت على أنه ولادة جديدة ولادة مضيئة

١ - أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة : ص ١١٧ .

سامية، تشف عن عالم الحياة الدنيا المليء بالآلام والشقاء إلى عالم الموت الذي تبعث فيه الروح في حياة بريئة وأبدية. وبذلك انطوت الصور المعروفة عن الموت، لتطل صور جديدة أزاحها عن عالمها المعهود، فتدهشنا وتشدنا بطرافتها وجدتها وبراءتها.

\* لقد استطاع بالخيال تجاوز المرئي والواقعي إلى الما وراء حيث الرؤيا تولد بالخيال الذي يعطي صوراً لواقع يتناسب مع تجربة الشاعر ويعبر عن طموحه، وهذا ما يدفع بالصور كما الرموز أن تعبر عن شيء؛ ولكن سرعان ما يحاط به، ويولد منه نقيضه.

وهاهو ينظر إلى أعماق الموت، فيراه رمزا للحياة، ويجعله الحياة الحقيقية التي تتجاوز عدمية الواقع وشهوانيته، وتتفوق عليه.

لذلك فتح ذراعيه للموت مهللاً ومرحبا، ليرجع إلى عالم الروح والأضواء الخالدة التي لا تتغير، ولا تهاب الزمن، ولا تعرف النقصان، بل تدور إلى الأبد في عالم من الكمال، وبذلك تفوق برؤياه وخياله على آلامه الداخلية والخارجية على حد سواء. واستطاعت تلك الصورة الجديدة للموت، أن تعبر عن فلسفة الشاعر تجاه قطبي الوجود المتضادين الحياة والموت، ويدل ذلك على عمق ثقافته، وخصوصية تجربته، وتفردتها.

## المبحث الرابع:

### \* الصورة الفنية والمنهج الأسطوري:

الأسطورة بما فيها من رواء ونماء، استطاعت أن تخلد أعمال كثير من الشعراء، لأنها تتفوق في حضورها في عالم الشعر لما تمنحه له من قدرات إضافية، فتضفي على العمل الشعري تميزاً وبقاءً (( إن الأسطورة ليست مجرد نتاج بدائي يرتبط بمراحل ما قبل التاريخ أو بعصور التاريخ القديمة في حياة الإنسان، وإنما لذلك لا تتفق وعصور الحضارة، وإنما هي عامل جوهري و أساسي في حياة الإنسان في كل عصر، وفي إطار أرقى الحضارات ))<sup>١</sup> والأسطورة عندما ولدت حملت الانفعالات الإنسانية وفق تصورات الخيال (( الأسطورة حكاية تصور حادثة لها منطقتها الخاص، ومن ثم فإنها لا تجري على قياس العقل وأحكام المنطق، أو في حدود الممكن إنها خارقة... ))<sup>٢</sup> بل وتقاس أصالة الشاعر في مقدرته على استحضر روح الأسطورة، والغوص في أعماقها واستحضار ما يناسب التجربة التي يمر بها، وقد ذكر شاعرنا دور الأسطورة في الشعر في الإمامة التي كتبها لديوان النبيوع لأبي شادي خلال حديثه عن دور التواصل بين الشاعر وتراث الشعوب وآدابها الحاضرة ((بل يستلهم هاته الأمم والشعوب وما لها من أساطير وخرافات ))<sup>٣</sup> ويؤكد على دور الأسطورة وسواها في منح حياة الشعر طاقة وحيوية ((ثم هو لا ينسى أن يستوحي ما في أدب اللغة العربية وتاريخها و أساطيرها من صور الفن وآيات الجمال، ثم هو يضيف إلى كل ذلك ما في حياة الأمة العربية الحاضرة من أحاسيس مختلفة وأحلام مشبوبة، وأطوار تشتبك فيها الحقيقة بالخيال... ))<sup>٤</sup>. والشابي اطلع على الأساطير وأصولها وفهم ما لها من دور هام في الشعر والحياة حيث يقول: ((وكل أسطورة صورة شيقة من صور الشعر يقرؤها الباحثون فيحسون أنها صادرة عن مخيلة قوية وإحساس فياض يشمل العالم ويحس بأدق أنباض الحياة ))<sup>٥</sup> لذلك وجب علينا أن نتلمس الأسطورة في أغاني الحياة التي ملئت بتفجع

١- د عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية ص ١٩١ .

٢- محمد حسن عبد الله: أساطير عابرة الحضارات ص ١٧.

٣- أبو القاسم محمد كرو: نثر الشابي ومواقفه من عصره، ص ٢٦ .

٤- المرجع السابق نفسه، ص ٢٦.

٥- أبو القاسم الشابي: الخيال الشعري عند العرب، ص ٧٣.

وأحزان في الحاضر ، وتشوق إلى ماض بعيد تتجلى فيه الحياة الأسطورة التي يتشوق إليها أبو القاسم في أغاني الحياة ((وعود إلى الأصول هو هاجس أسطوري بل هو الأسطورة الحاضرة للأساطير جميعا بل هو ضرب من الأسطورة الأجمع))<sup>١</sup>، ونجد في القرآن الكريم توضيح لعلاقة الأساطير بالدين وكيف كان يرجع الكفار آيات الله ومعجزاته إلى الأساطير (( إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين))<sup>٢</sup>، وهذا دليل على معرفة الأساطير في الحضارات القديمة .

ولقد جاء في ديوان أغاني الحياة كثير من عبارات التضمين التي تقف عند صورة من القرآن الكريم كصورة آدم والفردوس وغيرها<sup>٣</sup>، شاهدها ببصيرته وخياله الشعري محاولا تحقيق أحلام كبرى تفر منه، وهو بين البشر في حياة الجسد لذلك كانت تنهض حياة جديدة تختلط فيها الرمزية بالصوفية . من ذلك: صورة آدم وحواء باعتبارهما نهاية أشواق الشاعر إلى الأزل الأول حيث البراءة والصفاء والقرب من الله، ومناجاة آدم كل ذلك دفع الشابي في أغانيه على طريقة التجلي الصوفي الذي ظهر في ديننا الحنيف ، ومن ذلك تشوقه للعودة كآدم ووقوفه عند تلك الصورة التي يحاكي فيها الأسطورة وليست بأسطورة بل معتقد إيماني مستلهما منها عالم البراءة والنقاء؛ وكذلك نجد صورة الجنة والنار ؛ وصورة محبوبته ترتقي لتقترب من صورة حواء، حيث عالم الطهر والنقاء والصفاء الروحي .

وتنهض صورة الفردوس في قصيدة ( الأبد الصغير )<sup>٤</sup> :

وكم رسمت رسوماً ، لا تشابهها هذي العوالم ، والأحلام ، والنظم  
كأنها ظلُّ الفردوسِ ، حافلةً بالخورِ ، ثم تلاشتُ ، واختفى الحلمُ

تلك الصورة التي كانت نتاج القلب الذي لفظ الدنيا لأنه يتشوق إلى عالم غيبي لعله يعبر في صورته عما في قلبه ، فوجدت الصورة في قلبه ظلا من ظلال الفردوس الحافلة بالخور وفي الصورة أشواق الشاعر إلى عالم الصفاء والنقاء والحب المزدهر في قلبه

١ - حمادي صمود وآخرون : مرجع سابق ، ص ٢٣٧ .

٢ - سورة القلم ، الآية ١٥ .

٣ - حمادي صمود وآخرون : مرجع سابق ، ص ١٦٦ .

٤ - أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ١٥٣ .

، وهذا يدل على أشواق الشاعر المستمرة إلى الماضي السعيد ، ذلك الماضي الحلم الذي يشبه ظلال الفردوس حيث يتشوق المتصوفة والمؤمنون للفوز بها .

والغاب في شعر أبي القاسم موضع للأسطورة حيث ينتفي أثر الزمان والعدم ويزغ فجر الخلود ويبدو ذلك في قصيدة ( تحت الغصون )<sup>١</sup> :

وسكتنا ، وغرد الحب في الغاب ، فأصغى حتى حفيف الغصون  
وبنى الليل والربيع حوالينا من السحر و الرؤى والسكون  
معبدا للجمال ، والحب شعريا مشيدا على فجاج السنين  
تحت يزخر الزمان ، ويجري صامتا ، في مسيله المخزون  
وتمر الأيام ، والحزن ، والموت ، بعيدا عن ظله المأمون  
معبدا ساحرا، مباخره الزهر على الصخر والثرى ، والغصون

والصورة في هذه الأبيات تحمل حلم الإنسان في الارتقاء والانتقال من عالم الجسد والفناء إلى عالم الخلود والبقاء واللازمان ، وأشواقه إلى الزمن البدء زمن الأسطورة ، لذلك جعل طقوس العبادة تقام في الغاب ، والغاب معبد قديم معبد للجمال ، وبذلك حمل الغاب عند الشاعر صفة القدسي وصفة الأسطوري، حيث انطوى بساط الزمن تحت أقدام الغاب ، وبرز فيه عالم الخلود .

لا يخفى ما جاء في قصة الخلق والبدايات خلق آدم عليه السلام ، وقصة رحيله عن السماء من الجنة إلى الأرض ، رحلة من عالم الروح إلى عالم الجسد ، هذه القصة جاءت ولو بشكل مغاير في الديانة المسيحية لكنها تحدثت عن بداية الخلق والانتقال إلى الدنيا . وتحدثت بعض الديانات الوثنية عن ذلك ، وسنحاول اكتشاف رحلة الشابي في أغاني الحياة مستفيدا من اقتداء بقصة أبينا آدم عليه السلام بعدما طرد من رحمة الله من عالم النور إلى عالم الظلمة ، كما جاء في القرآن الكريم : (( وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من

١- أبوز القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص. ٢٣٧

الظالمين \* فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين))<sup>١</sup>

فحديث الشابي عن الشوق إلى الماضي البعيد إلى عالم النور شوق صوفي يحاكي فيه روح الأساطير في البحث عن الخلود الذي تجلى في كثير من الأساطير ((كأسطورة (تموز) البابلية وأسطورة (أدونيس) الفينيقية وأسطورة (إيزيس وأوزيريس) المصرية وغير هذه الأساطير كثير))<sup>٢</sup> وكثيرا ما نشاهد الشابي هاربا من ظلام الأرض، ساعيا إلى عالم النور السماوي، راجيا العودة إلى الخلود، متخلصا من فكرة الفناء، التي تحاصر الإنسان الجسد في الدنيا .

وفي وسط الغاب حيث للغاب قدسية خاصة ترفعه فوق عوادي الزمان ، والشاعر عندما يدخل الغاب يشعر بعودة الروح الأولى وحياة الأنوار والصفاء والسمو، الشاعر في قصيدة الغاب شعر بدخول الروح إلى جسده من جديد ، فاستحضر من اللازمان حيث عالم لبدء والولادة الأولى ولادة أبينا آدم عليه السلام في عالم النور الذي وجد فيه في الجنة ، الشاعر يعيش ذلك العالم في أشواقه المستمرة محاولا العودة إليه ، إنها لحظة الولادة في جنات الخلد ، وتتجلى عبر رحلة أشواق صوفية ، دانت بين الموقفين وتجلت الولادة في قوله :<sup>٣</sup>

وسنى كيقظة آدم لما سرى في جسمه روح الحياة النامي  
وشجته موسيقى الوجود، وعانقت أحلامه في رقة وسلام  
ورأى الفراديسَ الأنيقةَ ، تنثني في مُتَرَفِ الأزهار والأكمام  
ورأى الملائكَ كالأشعةَ في الفضاء تنسابُ ساجحةً بغير نظام  
وأحسَّ روحَ الكون تخفق حوله في الظلِّ، والأضواء و الأنسام

ها هي روح الشاعر تنبثق بولادتها وطهرها في الغاب في تشابه مع ولادة آدم عليه السلام ليختلط عبر التجلي الصوفي الطموح إلى غاية النفس التي تسعى إلى الأمثل والأكمل فنهضت صورة الخلق الأول لسيدنا آدم التي استحضرها الشاعر محاولا

١-سورة البقرة ، الآية (٣٥ ، ٣٦).

٢- حمادي صمود مرجع سابق ،ص ٢٦٦

٣- أبو القاسم الشابي :أغاني الحياة ،ص ٢٥٧

السمو إلى تلك الإشراق النورانية مستلهما منها حياة أبدية تنتفي فيها عوادي الزمن ، تلك الصورة التي ما فارقت الشاعر خلال ((أغاني الحياة )) فأشرقت صورة آدم نورا يقوي من روح الشاعر ، ويدفع به إلى عالم الأرواح والخلود إلى الجنة، وهذا ما نجده في أشواق الشاعر وفي أحلامه المستمرة للعودة إلى الحياة البدء .

والشاعر يتحسر لتركه موطنه الأول موطن النور حيث الخلود ، ويتشوق للعودة إليه ، ونراه حزينا غريبا لما حل به بسبب نزوله من الجنة من عالم النور إلى عالم الظلام عالم الجسد ، وتنمو في أعماقه الأشواق المستمرة إلى عالم النور، الذي هو الموطن الحقيقي لسيدنا آدم ، زمن البدايات والموطن الأول للإنسان ، من ذلك ما جاء في قصيدة (صوت تائه ) :<sup>١</sup>

شُرِّدْتُ عن وِطْني السَّمَاوِيِّ الذي ما كان يوما واجما مغموما

شُرِّدْتُ عن وِطْني الجَمِيل . أنا الشَّقِيّ، فعشتُ مشطور الفؤاد يتيما

فالشاعر حزين لمفارقة وطنه ، حيث الزمن يتوقف في عالم من نور ، وتراه يرتقي بالصورة الفنية إلى منابع الحياة الأولى معتمدا على رصيده الإيماني وعلى ما استقر في أعماقه من الموروث الإسلامي محاولا أن يرقى إلى حقيقة سيدنا آدم عليه السلام ، ويحاكي في تجلياته ما عرفه عن الموروث الصوفي، كل ذلك انغرس في أعماقه ، وأخذ يشع بالإيجاء والدلالات التي تغوص في أعماق النفس لتطل من جديد في عالم النور حيث يتوقف الزمن وتسبح الأرواح في عالم الخلود .

والشاعر في عودته إلى البدايات وقف عند مرحلة الطفولة التي رآها رمزا لحياة النقاء والصفاء، ولقد تحدث في كتابه (الخيال الشعري) عن علاقة الطفولة بالحب الذي جعلته الأسطورة مولودا حيث قال : ((ثم ألا ترون هاته الأسطورة الأخرى التي تجعل من الحب طفلا جميلا نبيلًا أحبته أفروديت))<sup>٢</sup> والشاعر في ديوانه يوائم بين آرائه النظرية الشعرية وبين أشعاره التي تتربط فيما بينها وتتكامل على صفحات الديوان

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ص. ١٢٠.  
٢- أبو القاسم الشابي: الخيال الشعري ، ص ٧٢.

لتوحد الصورة ، فالطفولة دائما رمز للعودة إلى حياة البراءة والصدق والسمو ،  
ونجد مثالا على ذلك في قصيدة ( صلوات في هيكل الحب ):<sup>١</sup>

عذبة أنت كالطفولة كالأحلام كاللحن كالصباح الجديد

وعندما تشرق صورة الخلود وسط الشوق الصوفي تحضر الأشياء مناسبة للمقام  
الجديد، ويخلق في عالم من الجمال الروحي، محاولا نيل مرامه في القرب من عالم ينحسر  
عنه الوجد، ويتوقف فيه الخوف من الزمن فتقف الصورة عند حدود البدايات المشرقة  
فجعل صورة المحبوبة عذبة كالطفولة والحلم واللحن والصبح الجديد، ويدل على ذلك  
الشوق قوله:

أنت ما أنت ؟ أنت فجر من السحر تجلى لقلبي المعمود

فأراه الحياة في مونق الحسن و جلّى له خفايا الخلود

أنت روح الربيع ، تختال في الدنيا فتهتئ رائعاتُ الورود

أنت قُدسي ، ومعبدي ، وصباحي وربيعي ، ونشوتي، وخلودي

فالشاعر في توق مستمر إلى عالم أسطوري يتجلى بالأشواق إلى الخلود حيث الفجر  
أزلي لا يتغير ولا يتبدل عالم خالص من الأنوار ، وهو رمز البداية الأولى، حتى أثر الربيع  
رمز التجدد في الحياة والعودة من جديد على ما جاء عند الفرس من احتفالات الربيع  
(كانت تقام عند الفرس أعياد النوروز وهي احتفالات أسطورية بميلاد الكون من  
جديد وفي الربيع يرجع أدونيس حسب الأسطورة الفينيقية)<sup>٢</sup> وتدب الحياة مع  
حضور الحبيبة في أطراف الكون من جديد . فالشاعر يدور في فلك عناصر الخلود  
والتجدد من الأشواق إلى الفجر وإلى الربيع راجيا العودة من جديد ، ويلتقي المنهج  
الأسطوري مع المقدس وتتكشف الصورة حتى يتعانق الشاعر مع صورة يعبر فيها عن  
تجلياته و مشاهداته محاولا أن يعود بالعالم والحياة إلى عالم الرمز وعالم التعبير ((فالمنهج  
الأسطوري إذن هو تقديم التجربة في صورة رمزية ، وقد كانت هذه الصورة من  
التعبير أقدم صورة عرفها الإنسان ، وما تزال حتى اليوم أصدق وأقرب صورة من

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ،ص١٧٨ .

٢- حمادي صمود : مرجع سابق ،ص٣٠٤ .



صور التعبير .)) 'وبقي على عهد مع المنهج الأسطوري حيث يبدو شوق الشاعر المستمر إلى لقاء الخالد في البشرية، يمتزج في رؤياه ، ويعبر عنه من خلال ( قصيدة إرادة الحياة ) التي تزخر بصور الولادة ، و هاهي الطبيعة تنهض بصور الحياة والولادة الأبدية من خلال صورة الحياة التي تدب في البذرة :<sup>٢</sup>

(( وما هو إلا كخفق الجنا ح حتى نما شوقها وانتصر))  
(( فصدعت الأرض من فوقها وأبصرت الكون عذب الصور ))  
(( وجاء الربيع ، بأنغامه ، وأحلامه وصباه العطر ))  
وقبلها قبلا في الشفاه تعيد الشباب الذي قد غبر ))

فالشوق إلى الحياة الأولى حيث البراءة والنور والفجر الأبدى ، أشواق يحتضنها ديوان الشاعر والشاعر يلتقي مع ما جاء في الأساطير الإنسانية ليحبر على جناح الصور وعالم الخيال

متجاوزا الزمن الحاضر زمن الفناء محاولا تلمس زمن الخلود ، ونراه يسبح وراء عالم الخلود، فتنهض الصورة من عالم الغيب بعد الموت، ويزداد الشوق هروبا من زمن العدم وتوحدا صوفيا في زمن الخلود، ويصير الموت تحت ظلال الشوق ولادة أبدية، يخرج بها من آلام الحاضر ليحتضنه عالم الخلود على إيمان إسلامي و يقين بحياة أبدية تجري في عروقها رؤية صوفية وتتظلل بأفياء الأساطير ، ولنتابع صورة عالم ما بعد الموت في قصيدة (إلى الموت):<sup>٣</sup>

إلى الموت ! لا تخش أعماقه ففيها ضياء السماء الوديع  
هو الموت طيف الخلود الجميل ونصف الحياة الذي لا ينوح

فشوق الشاعر إلى عالم الخلود، حيث الفجر والنور مسعى البشرية ، فوافق ذلك النهج ما جاء من أشواق الشاعر وتجلياته التي ترتقي إلى مشارف الأساطير الإنسانية لتجري معها إلى الأبد .ومن أراد أن يقف على أطراف عالم الأسطورة في ديوان الشابي، يحتاج

١- عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر ، ص ١٩٤ .

٢- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص. ٢٣٣

٣- أبو القاسم الشابي :أغاني الحياة ، ص. ١١٧

إلى كثير من العناية والدربة والقراءة العميقة ، حتى يخرج بما في الديوان من نفس أسطوري .

### شخصيات أسطورية :

لم يصرح الشاعر بذكر شخصيات دينية إسلامية أو مسيحية بل جاءت بعض الصور تحمل إشارات تدل على المسيح حيناً أو على سيدنا إبراهيم — عليهما السلام — حيناً آخر، ومن ذلك؛ شخصية بروميثيوس التي ظهرت في قصيدة نشيد الجبار، التي يقف فيها قويا متحديا الأعداء مؤمنا بتفوقه عليهم ، كما تفوق بروميثيوس على زيوس وسرق النار وأعطاهما للإنسان وعلمه الصناعات المختلفة (( وتروي الأسطورة أن زيوس غضب على بروميثيوس وعاقبه بأن قيده على صخرة وخلق الطيور تنقر عينيه فكانت العينان تستبدلان وتستمر حالة العذاب الأبدي ، لكن بروميثيوس رغم العقاب المر لا يستسلم ويظل ثائرا متحديا ))<sup>١</sup> والشاعر يقف بوجه المتاعب باعثا الحياة التي لا تستكين فيعيش فوق الآلام والأعداء متشوقا إلى عالم النور مقتربا من نهج بروميثيوس في مواجهة التحديات ،ومفارقا في الأشواق النورانية و الروحانية :<sup>٢</sup>

سأعيشُ رغمَ الداءِ والأعداءِ      كالنسر فوق القمة السماء  
أرنو إلى الشمس المضيئة ..هازناً      بالسحبِ ، والأمطارِ ، والأنواء  
النورُ في قلبي وبين جواني      فعلامَ أخشى السير في الظلماء!  
وأصيحُ للصوت الإلهي الذي      يُحيي قلبي ميّت الأصداء

ويتشوق إلى عالم النور والإيمان ،وبذلك خالف تمرد بروميثيوس ومواجهته مع الألهة بل نراه في شوق مستمر إلى العروج إلى عالم النور مصغيا آملا في سماع صوت الإله راجيا العودة إلى عالم الخلود عالم الأنوار.ويبدو ذلك في قوله :

لأذوب في فجر الجمال السرمدي      وأرتوي من منهل الأضواء

فالشوق من وحي الروح الإيمانية والصورة تتحدث عن نفس تتشوق إلى عالم النور الأبدي .

١- ريتا عوض : أبو القاسم الشابي ،ب ط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت ١٩٨٣م، ص ٩٤ .  
٢- ابو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص.٢٤٨

وصورة بروميثيوس المقيد بالأصفاد في الأسطورة تتحول عند الشابي إلى صورة  
 نسر يواجه الأعداء ويواجه الآلام ، فوجه الشبه بين صورة بروميثيوس الشابي  
 ، وبروميثيوس أسخيلوس هو الاسم في العنوان، و لكنهما في المواجهة لا يتفان ، حيث  
 نرى سمو الصوفية إلى عالم الأنوار عند الشابي ، يختلف عما جرى عند بروميثيوس  
 سارق النار في الأسطورة اليونانية ، ويذهب الدكتور محمد عصفور إلى أن بروميثيوس  
 يتحول (إلى شخصية أقرب إلى شخصية المسيح) <sup>١</sup> ونلاحظ تلك الصورة حيث يقول في  
 المقطع الأخير من القصيدة :

وأقول للجمع الذين تجشّموا هدمي وودّوا لو يخزُّ بنائي  
 ورأوا على الأشواك ظلي هامداً فتخلّوا أني قضيتُ ذمائي  
 وغدوا يشبّونَ اللهبَ بكلِّ ما وجدوا ليشووا فوقه أشلائي  
 ومضوا يمدّون الخوانَ ، ليأكلوا لحمي ، ويرتشفوا عليه دمائي  
 إنّ المعاول لا تهدُّ مناكي والنار لا تأتي على أعضائي

نشاهد في الصورة شخصية المسيح عليه السلام الذي يؤكل لحمه، ويشرب دمه  
 .وصورة سيدنا إبراهيم الذي تعد له النار ليلقى بها ،وهكذا نجد الشابي يخلق في عالم من  
 الأساطير والرؤى الصوفية ،معتمدا على الخيال يجري على قوله في الخيال الشعري  
 :))أريد أن أبحث في الخيال من ذلك الجانب الذي يتكشف عن نهر الإنسانية الجميل  
 الذي أوله لانهاية الإنسان وهي الروح ، و آخره لانهاية الحياة وهي الله ))<sup>٢</sup>، وفي كل  
 ذلك يبدو شوق الشاعر إلى عالم الصفاء والنور ذلك النور الذي يتشوق إليه تشوق  
 المؤمن الصادق المخلص للقاء ربه الكريم حيث نرى الأساطير تنطوي صورها لتدور  
 في فلك الروح وتأتي عبر التجليات الصوفية التي توافق ما في أعماق الشاعر من إيمان  
 عميق .

ومن الشخصيات الأسطورية التي ذكرها الديوان ، شخصية (أفروديت) في  
 قصيدة (الجمال المنشود) ، ثم تبعها شخصية (فينيس) في قصيدة (صلوات في هيكل

١- دورة ، أبو القاسم الشابي ، ص ٢١٠-٢١١ .  
 ٢- أبو القاسم الشابي :الخيال الشعري عند العرب ، ص ٦٣ .

( الحب ) ومنها (إله الغناء ورب القصيد)، وردت هذه الشخصيات ومن خلال الصورة الفنية لتعبّر عن قوة الأسطورة ودورها في منحها نماء وتدققاً وحياء ، وقد توافق ما جاء في الأغاني مع ما جاء في النثر حيث تحدث في الخيال الشعري عن الأساطير)) فكما إنهم قد جعلوا للحب إلهاً وللجمال آلهة فكذلك جعلوا للحكمة آلهة وللشعر وللموسيقى إلهاً ، ولغير هذه من المعاني العميقة و مظاهر الكون الرائعة أرواحاً وحياء تحس وتشعر ، بحيث كانوا ينظرون إلى الوجود من خلال أساطيرهم نظرة فنية تحس بتيار الحياة يتدفق في كل كائن و يستجيش في كل موجود..))<sup>١</sup>، ومن خلال الديوان نقف على ما يؤيد ما اطلع عليه من آداب وأساطير الأمم الأخرى وتطالعنا قصيدة (الجمال المنشود) بصورة عذارى أفروديت الجمال المستحضر صورته بالنداء<sup>٢</sup>:

يا عذارى الجمالِ والحبِّ والأحلام بل يا بهاءَ هذا الوجود !  
 قد رأينا الشعورَ منسدلاتٍ كللت حسنَها صباحُ الورود  
 ورأينا الجفون تبسم ..أو تحلم بالنور ، بالهوى ،بالنشيد..

وبعد النداء يستمر في عرض صور الجمال ، ويأخذه خوفه من العدم إلى رؤيا يخرج بها إلى ما استقر في أعماقه من روحانية يتشوق إليها دائماً، وفي ختام القصيدة يسمو فوق الجمال المادي ساعياً إلى جمال الروح الذي يبقى زمان الخلود<sup>٣</sup>:

غير باق في الكون إلا جمال الروح غضا على الزمان الأبيد

وينفلت بذلك من الأسطورة اليونانية ، ليدخل إلى ما استقر في قلبه من إيمان ، ويشرق الخلود في عالم الأرواح .

وتطل علينا صورة فينيس في قصيدة (صلوات في هيكل الحب )<sup>٤</sup>:

يا لها من وداعةٍ و جمال وشباب مُنعمٍ أُمْلودِ !  
 يا لها من طهارة تبعثُ التقديـسَ في مهجة الشقيِّ العنيد!

١- أبو القاسم الشابي: الخيال الشعري، ص. ٧٣.

٢- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ص. ١٥٧.

٣- المصدر السابق نفسه: ص. ١٥٨.

٤- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ص. ١٧٨.

أَيُّ شَيْءٍ تُرَاكٍ؟ هَلْ أَنْتِ ((فِينيس)) تَهَادتِ بَيْنَ الْوَرَى مِنْ جَدِيدٍ  
مَنْ يَنْظُرُ إِلَى عُنَاصِرِ الْكُونِ وَقَدْ مَنَحَهَا خِيَالَ الشَّاعِرِ أبعاداً فِيهَا مِنَ الْبَرَاءَةِ وَالْجُدَّةِ مَا  
يَجْعَلُ هَذِهِ الْمَحْبُوبَةَ فِي إِمكاناتِهَا تَتَجَاوَزُ الْعَادَةَ وَالْمَتَوَقَّعَ، بِجِدِّهَا تَدْنُو مِنْ أَجْوَاءِ الْأَساطِيرِ  
، وَهَاهُنَا تَحْمِلُ الْمَقْدِرَةَ عَلَى تَطْهِيرِ النُّفُوسِ الشَّقِيَّةِ وَبَثِّ الرُّوحِ وَالْحَيَاةِ فِيهَا مِنْ جَدِيدٍ ،  
وَتَحْضُرُ صُورَةَ (( فِينيس )) الرُّومَانَ مِنْ أَعْمَاقِ التَّارِيخِ الْإِنْسَانِيِّ تَحْمِلُ آيَاتِ الْحُبِّ  
وَالْجَمَالِ ، وَهَذَا التَّسَاؤُلُ يَنْمُو مَعَهُ اتِّجَاهٌ آخَرٌ لِيَخْتَلِطَ مَعَ مَا فِي نَفْسِ الشَّاعِرِ مِنْ  
مُوروثِ اسْتَقْرَرِ فِي الْأَعْمَاقِ وَتَأْتِي الصُّورَةُ مِنَ التَّرَاثِ الْإِسْلَامِيِّ لِتَحْضُرَ بِقُوَّةٍ فِي النِّصِّ  
:

أُمُّ مَلَائِكِ الْفَرْدُوسِ جَاءَ إِلَى الْأَرْضِ ضِ لِيُحْيِيَ رُوحَ السَّلَامِ الْعَهِيدِ!  
وَيَحَاوُلُ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ التَّرَاثِيَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ اسْتِلْهَامَ ،الصُّورَةِ وَاسْتِنطَاقِهَا لِيرسَمَ مِنْ  
خِلَالَهَا صُورَةَ لِلْجَمَالِ ، الَّذِي يُؤْمِنُ بِأَنَّهُ فِي عَالَمِ الْأَرْوَاحِ ، وَتَنْهَضُ مِنْ جَدِيدَةٍ آلِهَةِ  
الْغِنَاءِ :<sup>٢</sup>

أَنْتِ أَنْشُودَةُ الْأَنْشِيدِ غَنَّاءِ إِلَهَ الْغِنَاءِ ، رَبُّ الْقَصِيدِ  
لِيَقِفَ بِذَلِكَ عَلَى أَطْرَافِ الصُّورَةِ الْفَنِيَّةِ لآيَاتِ الْجَمَالِ لِيُولِدَ مِنْ جَدِيدٍ جَمَالَ اَزْدَانِ  
بِأَشْوَاقِ الشَّابِيِّ وَتَجَلِّيَاتِهِ، ذَلِكَ الشَّابِيُّ الَّذِي انْبَثَقَ عَالَمِ الْأَرْوَاحِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَفَتَحَ كِتَابَ  
الْإِنْسَانِيَّةِ لِيَقْرَأَهُ بِعَيْنِيهِ فَأَزْهَرَ قَلْبَهُ رُؤْيَ حَمَلِهَا خِيَالَ مَنفُوقٍ، وَأَخَذَ يَطُوفُ بِهَذِهِ الصُّورَةِ  
لِلْجَمَالِ الَّذِي رَسَمَهُ عَلَى أَطْرَافِ الْكُونِ ، وَفِي آيَاتِ الطُّفُولَةِ الَّتِي هِيَ الْحُبِّ وَفِي  
الطَّبِيعَةِ الَّتِي احْتَضَنْتْ هَذِهِ الرُّؤْيَ تَنْبَثِقُ آلِهَةُ الْغِنَاءِ لِتَعْطِيَ لِهَذِهِ الْمَحْبُوبَةِ كَمَا يَبْدُو مِنْ  
أَغْنِي الطَّبِيعَةِ وَأَحْأَانِهَا الَّتِي تَتَجَاوَزُ التَّصَوُّرَ الْعَادِي ، وَكَأَنَّ الشَّاعِرَ يَرَى فِيهَا حَلْمَ  
الْإِنْسَانِيَّةِ مِنَ الْأَزْلِ إِلَى الْأَزْلِ ، وَيَسْبَحُ فِي عَالَمِ مِنَ الرُّؤْيِ وَالتَّجَلِّيَاتِ الصُّوفِيَّةِ ، فَتَرَى  
صُورَتَهَا فَوْقَ الْخَلْقِ، وَتَصْبِحُ رَمْزاً خَرَجَ مِنْ أَفْوَاهِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَ أَساطِيرِهَا وَ دِيانَاتِهَا ،  
لِيَتَجَلَّى عَبْرَ خِيَالَ الشَّاعِرِ الْعَاشِقِ عَلَى عَادَةِ الشُّعْرَاءِ الصُّوفِيِّينَ وَلِتَكُونَ هِيَ فَوْقَ  
الْوُجُودِ لِتَكُونَ رَمْزَ اللَّهِ الْمَعْبُودِ ، وَتَبْزُغُ الصُّورَةُ الْجَدِيدَةُ فِي تَفُوقِ الْمَحْبُوبَةِ وَارْتِفَاعِهَا

١ - أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص ١٧٨ .  
٢- المصدر السابق نفسه ، ص. ١٧٩ .

فوق الوصف، وكأن الرؤية الصوفية رفعت مكانة هذه المحبوبة فوق الخلق، وعندها يصير الشاعر عبداً وتصير آيات الجمال معبوداً ويبدو ذلك في قوله: <sup>١</sup>

أنتِ قُدسي ، ومَعْبدي ، وصباحي وربيعي ، ونَشوتي وخلودي

وتتفق الصورة التي تجمعت بأطراف الأساطير وفي أحضان التجلي الصوفي الذي جاء عن طريق التضمين الذي امتزج مع رؤى الشاعر وأحلامه ، لتعبر أولاً عن ثقافة الشابي الثرية المتعددة المشارب ، وعن إيمانه العميق ثانياً الذي يصفو فيه دائماً في تجليه وأشواقه إلى عالم النور ، وطالما ارتقت هذه المحبوبة لتكون الصباح والربيع والخلود وهي عناصر يتشوق إليها الشاعر ليمتزج في عالم الأبد الذي يخرج من دائرة الفناء، لذلك نراه قد جمع فيها كل صفات المعبود الذي ترجى نوائله .

لقد استطاع الشابي أن يعبر إلى عالم الأساطير وفق رؤياه التي جاء فيها النسق الأسطوري مرتبطاً بالتجلي الصوفي ، مشدوداً إلى أوتاد الإيمان الذي ينظم هذه الدوائر ويجمعها ، وينفذ وفق الرؤيا الشابية وعلى جناح خيال وثاب إلى عالم صوفي مقدس ، عالم نوراني ، تنفتح عبره الرؤيا الشابية باتجاه الأشواق إلى عالم البدء والأضواء، والأسطورة صورة الخيال المغربية والتي حل فيها الإنسان أَلغاز الوجود المتناقضة، والأسطورة كما يرى الشابي في الخيال الشعري ((هي الكلمة الأولى التي توجسها الإنسان من تعابير الحياة وحاول أن يفهم منها معاني هذا الوجود المتناقضة و تتكثف الرؤى وتأتي الصورة ابنة الروح والأشواق مليئة وجامعة لأطراف الوجود ساعية إلى عالم الخلود .

١- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ١٨٠ .

١- أبو القاسم الشابي : الخيال الشعري عند العرب ، ص ٦٤ .

# الفصل الرابع

## الموسيقى والصورة الفنية

١- تمهيد

٢- المبحث الأول : دور الأوزان في الصورة الفنية .

٣- المبحث الثاني : دور القافية في الصورة الفنية .

٤- المبحث الثالث : دور الأصوات في الصورة الفنية

٥- المبحث الرابع : دور التكرار في الصورة الفنية

**نميسر:** للموسيقى الشأن الأبرز في العمل الشعري ، وبها يستحضر الشاعر أطراف الصورة ، معتمدا على الوزن والقافية ، والموسيقى الداخلية والإيقاع النغمي الذي يرتبط بالتجربة الشعرية والذي يأتي من وراء الوعي، والإيقاع الذي له بالغ الأثر في الصورة الفنية<sup>١</sup> ، لما له من علاقة مباشرة مع المعنى الذي يعيش في أعماق الشاعر، الذي يستطيع من خلال الموسيقى نقل الصورة من أعماق النفس عن طريق الخيال والتعبير بها بشكل أوضح ، عما في نفس الشاعر من توترات، حيث يولد نغم مناسب (( وهذا يعني أن الإيقاع نغم جديد في كل تجربة جديدة ، ويمثل إضافة خاصة إلى الوزن العروضي والقافية ، فهما يتآزران إن اجتمعا في إغناء موسيقى القصيدة ))<sup>٢</sup> ولقد أصاب موسيقى الشعر عبر تاريخها محاولات من التنويع والابتكار الذي أخذ أشكالا مختلفة في مدرسة أبوللو (( من حرية التنويع والابتكار في البناء الموسيقي للقصيدة ما لم يعهد قبلها))<sup>٣</sup> ، لكن أبو القاسم الشابي حافظ على وحدة البيت الشعري ، واتجه إلى نظام المقطوعة المتغيرة القوافي ، وهذا يعتبر امتدادا لفن الموشحات المعروف ، وظهرت روحه في الصورة الموسيقية التي امتزجت مع ذاته ونفسه ، والشابي يعتبر التجديد ضرورة ملحة في حياة الأدب وتطوره لتناسب الدور الجديد للأدب حيث يقول: ((لقد أصبحنا نتطلب أدبا جديدا نضيرا يجيش بما في أعماقنا من حياة وأمل وشعور ، نقرؤه فنتمثل فيه خفقات قلوبنا وخطرات أرواحنا وهجسات أمانينا وأحلامنا ))<sup>٤</sup>، وبذلك يحقق الشاعر وحدة بين الخيال والشعور ويمنح الصورة الفنية قيمة تعبيرية ، من خلال الترابط بين ما يجيش في النفس و الموسيقى (( واستطاع الشاعر أن يحقق بين أجزاء صورته قدرا من التكامل والتماسك يفوق ما حققته في إطار القصيدة القديم ، ويشيع في قصيدته ومقطوعاته أنغاما متعددة تلائم اللحظات النفسية المتعاقبة داخل التجربة الشعرية الواحدة ))<sup>٥</sup> ، والشابي يبدو تركيزه على دور الموسيقى من خلال

١- سيد قطب : النقد الأدبي أصوله ومناهجه ،ص ٢٢٣

٢- دورة الأخطل الصغير ، ص ٦٣٨ .

٣- دورة أبو القاسم الشابي ، ص ٢٦٧ .

٤- أبو القاسم الشابي : الخيال الشعري عند العرب ، ص ١٢٢ .

٥- عيد القادر القط : الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، ص ٣٣٢ .



عنوان ديوانه أغاني الحياة، ومن خلال عناوين بعض قصائده، وورود الألفاظ التي تدل على الأصوات والموسيقى على مدار قصائد الديوان، وما دار في قصائده من ألفاظ تدل على معاني الغناء، من مثل: غنى، تغنى و غنيني... ومن مترادفاتهما الكثير ((وتكاد لا تخلو قصيدة في الديوان مهما كان الغرض من كلمة تتصل بالصوت في مختلف أنواعه ودرجاته))<sup>١</sup>، والموسيقى في قصائد الديوان تحمل روح الشاعر وأنفاسه، حيث يستغرق مع تلك الأنغام التي تأتي من خلال صيغ لغوية معينة يلح عليها ويكررها. أو تترتب وفق قواف معينة؛ تنسجم مع تجربته، وتعطي الصورة الفنية قيمة جمالية إضافية، فالموسيقى عند الشاعر لها دورها البارز من خلال علاقتها مع عناصر القصيدة الأخرى، ولقد استطاع الشاعر بفطرته وأذنه الحساسة؛ استحضار الألفاظ التي تحمل إيقاعا منظما ضمن القصيدة؛ يخضع لخلجات النفس، مما يجعل الموسيقى، تسري كالروح بين الأبيات تتألف وتتجاذب حسب الحالة التي تعبر عنها، وهكذا استطاع الشاعر من خلال الموسيقى أن يربط بين الألفاظ ومعانيها فاستقامت الصور تحت أنوار الموسيقى ومن خلال الإيقاعات المتجاوبة بين أجزاء القصيدة وعناصرها التي تعانقت مع ما في نفسه من انفعالات ورؤى عبر خيال فياض ووجدان متدفق، وكان لجرس الكلمات دور بارز في تأثيرها في المتلقي، وقامت الأصوات الموسيقية بدور هام في تشكيل الصورة ومن التقطيعات داخل الأبيات والقوافي الداخلية وجاءت موسيقى القصيدة لتعبر عما في نفسه وما يوافق طبعه ورؤيته الخاصة ولم يسير في ركب التيار الرومانسي وخاصة بعض أعضاء جماعة أبولو (( فلم يجار هذا البعض في استحداث إيقاعات أو التنويعات أو المزج بين بحور، مما لم يعرفه الشعر العربي في أزمانه الطويلة))<sup>٢</sup> ويبدو اهتمام الشاعر واضحا بالموسيقى من اعتماده على تقسيم بعض قصائده إلى مقاطع طويلة لكل منها قافية خاصة، وعلى كتابة بعض القصائد على نمط الموشحات، وبعضها الأخر تتناوب فيها القافية بين الثنائيات والثلاثيات والرباعيات والخماسيات والسداسيات وغيرها، ومن أشهر

١- الطاهر الهمامي: كيف نعتبر الشابي مجددا، الدار التونسية للنشر ١٩٨٣م، تونس، ص ٢٧.

٢- دورة أبو القاسم الشابي، ص ٢٦٧.

الأوزان الكاملة التي نظم فيها الخفيف والكامل والرمل والمتقارب وكما استعمل مجزوء الكامل والرمل والبسيط، ولم يجعل وزنا معيناً حكراً للتعبير عن قضية من قضايا شعره بل نوع في البحور التي كتب عليها قضية واحدة، ونرى ذلك يخضع لحالة الشاعر ورؤيته الفنية عند التعبير عن تجربة ما، وتستدعي الموسيقى ألفاظاً تتجاوب بأنغامها وإيحاءاتها بما يخدم الصورة الفنية ويغنيها، فتتماشى مع ما في النفس من توترات أو هدوء أو قلق وتتجاوب أوزان البحور والموسيقى الداخلية التي تأتي من التوافق والانسجام بين الكلمات والأصوات التي تشكل القصيدة (( وكان للشاعر أذناً داخلية وراء أذنه الظاهرة، تسمع كل شكله وكل حرف وبهذه الموسيقى يتفاضل الشعراء ))<sup>١</sup> فالعلاقة بين الوزن والعناصر الموسيقية الأخرى داخل القصيدة علاقة تكامل وتعاضد، وذلك كله يتضافر ليساهم في تكوين الصورة التي تعبر عن معاناة الشاعر في تجربته (( والشعر لا يكون إلا حيث تكون المعاناة ))<sup>٢</sup> فالنغم الداخلي ينبع من التجربة ويعبر عنها بالإضافة للوزن والقافية .

١- شوقي ضيف، د: في النقد الأدبي، ط٦ دار المعارف مصر ١٩٨١م، ص ٧٩.  
٢- أدونيس: مقدمة للشعر العربي، ط٤، دار العودة بيروت ١٩٨٣م، ص ١٣٦

## المبحث الأول:

### \* دور الأوزان في الصورة الفنية:

الأوزان أو البحور هي الإطار الخارجي والوزن العروضي الذي يحقق نوعاً خاصاً من الموسيقى الخارجية التي تأتي من اختيار البحر الذي يوافق انفعال الشاعر، ويعبر عن التجربة الشعرية التي يعيشها من خلال التفاعل والترابط مع العناصر الموسيقية الأخرى في القصيدة والتي يجمعها نغم خفي يخرج من أعماق الشاعر، و الموسيقى من أهم عناصر الصورة الفنية، والشاعر الحقيقي يعبر عن صور الحياة من خلال الاختيار الموسيقي الملائم للتجربة الشعرية، ((وعلى هذا فإن الشعر الرفيع حياة موسيقية مختارة تعبر عن نفسها في فن من الكلام. والموسيقى حياة موسيقية مختارة ترفرف بألحان مجنحة في جو منغم موزون.))<sup>١</sup> فالشابي يرى الموسيقى حياة توائم المعنى وتعبر عنه بأنغام مناسبة ضمن وزن مناسب، ولقد عبر كولردج عن موقفه من الوزن بقوله: (( إن الشعر يصبح ناقصاً معيماً بدون الوزن))<sup>٢</sup> واختيار الشاعر للوزن المناسب، يجعل الصورة الفنية أكثر حياة ونماء في القصيدة، وذلك من خلال التآلف بين الموسيقى الناتجة عن الوزن العروضي والموسيقى الناتجة عن النغم الداخلي.

لقد التزم الشابي بإطار البحر العروضي ولم يضيف أي تغييرات عليه، واستطاع من خلال الصياغة الخاصة التي تميز بها أن يعبر عن انفعاله وتوترات نفسه ونقلها إلى المتلقي عبر الصورة الفنية التي تساهم الموسيقى بدور هام في بنائها، ورغم الرتابة التي يفرضها توالي تفعيلات الوزن العروضي، قد استطاع من خلال التحرك في الاستخدام التام و الجزوء للبحر التعبير عن انفعالاته موسيقياً.

ومن خلال عقد مقارنة بين قصائد الديوان المعتمد وجدنا الشاعر قد ركز نشاطه الموسيقي على عشرة أبحر وهي حسب ترتيب ورودها ( الخفيف، والكامل، والرمل، المتقارب، البسيط، الطويل، المجتث، السريع، المتدارك، المنسرح )، وكان الشاعر غالباً ما يستخدم البحور التامة و قليلاً ما يلجأ إلى الجزوء، واستطاع من خلال

١- أبو القاسم محمد كرو: نثر الشابي ومواقفه من عصره، ط١ ١٩٩٤م ص٣٢.  
٢- كولردج: د/محمد مصطفى بدوي، سلسلة نوابع الفكر الغربي (١٥)، دار المعارف، ١٩٧٣، ص ١٥.

ذلك التعبير موسيقيا عن انفعالاته الوجدانية ، في رحم التجربة الشعرية ، وعبر الخيال لتكتسي الصورة الفنية إحياءات ومعاني جديدة تحملها موسيقى البحر العروضي الذي كتب عليه الشاعر قصيدته ((ويكون الوزن على هذه الحال ، عنصرا صميميا في الفن الشعري وليس صورة زخرفية بعيدة عن محتواه الشعوري ؛ بل إنه صدى انفعال الشاعر ، وإيقاع قلبه المضطرب ، واهتزاز نفسه المتوثبة ))<sup>١</sup> ، وهذا ما سعى الشاعر لتحقيقه في قصائد الديوان .

ومن خلال دراسة قصائد الديوان موضع الدراسة تبين استخدام الشاعر للبحور الكاملة أو المجزوءة وفق الجدول المرافق :

المجموع	استخدامه مجزوءا	استخدامه تماما	البحر
٢٧	—	٢٧	الخفيف
٢٦	١١	١٥	الكامل
١٣	٦	٧	الرمل
١١	—	١١	المتقارب
١٠	١	٩	البسيط
٩	—	٩	الطويل
٣	—	٣	السريع
٢	١	١	المتدارك
٢	—	٢	المجتث
١	—	١	المنسرح
١٠٤	١٩	٨٥	المجموع

وقد استخدم الشاعر هذه الأوزان وفق عمود الشعر العربي ، واستخدم نظام مجزوءات البحور ، ثم نظام المقطوعات وما يشابه نظام الموشحات ، ونظام التدوير الذي ظهر في قصائد كثيرة عند الشابي ، وقد لازم كتابة نظام التدوير على مجزوء

١- عيسى العاكوب : العاطفة والإبداع الشعري ، ص ٢٢٥ .

الكامل، و مجزوء الرمل والخفيف ، ومن القصائد التي كتبت على نظام التدوير  
قصيدة (الجنة الضائعة) :<sup>١</sup>

كَمَّ من عُهودٍ عذبةٍ في عدوةِ الواديِ النصيرِ  
فِضِيَّةِ الأَسْحارِ مُذهَبَةِ الأصائلِ و البكورِ  
كانت أرقّ من الزهور ، ومن تغريد الطيور  
وألذ من سحر الصِّبا في بسمة الطفل الغرير  
قضيتُها ومعِي الحبيبةُ لا رقيب و لا نذير  
إلا الطفولة حولنا تلهو مع الحُبِّ الصغير

ويتابع الشاعر أبيات المقطع الأول على هذه الشاكلة من خلال مجزوء الكامل ، حيث  
أتى على ذكر الطفولة وما فيها من أشواق وأحلام ، وبما توحى من البساطة والفرح  
الذي لا يعرف الحدود ولا الخوف وينقضي المقطع الأول وتتحول الأمور إلى نقائضها  
وتأتي الألفاظ السوداء لتطغى على تجربة الشاعر التي تعبر عن الواقع القائم بعد أن ترك  
جنته المفقودة ، ومن ذلك قوله على الوزن نفسه :<sup>٢</sup>

آه تواری فَجْرِي القُدْسِيُّ في ليل الدهور  
وفنى ، كما يفنى النشيد الحلو في صمت الأثير  
أواه قد ضاعت عليّ سعادة القلب الغرير  
وبقيتُ في وادي الزمان الجَهْمِ أدابُ في المسير

لقد استطاع الشاعر من خلال البحر نفسه التعبير عن الصور المتناقضة ؛ والتي  
نقلها إلى الصورة الفنية حيث استطاع من خلال موسيقى الوزن نفسه إعطاء الصورة  
جوا شعوريا مناسباً و معبراً عما يعتمل في الوجدان من توترات ، واستطاع أن يجمع  
بين الحالين المتناقضين خلال الوزن الواحد مما يدل على براعة الشاعر و أصالة حسه  
الموسيقي الذي بدا واضحاً في التعبير عن أبعاد الصور التي تصدر عن وجدان متوتر  
وخيال خصب .

١ أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ٢٠٧  
٢ - المصدر السابق نفسه ، ص ٢٠٩ .

وقد عبر عن الموسيقى من خلال قوالب مختلفة فقال من القالب القصصي قصيدة (المساء الحزين) وهي من البحر المتقارب وعبر الشاعر من خلال الوزن بالموسيقى عن صور الوجدان المتوترة: <sup>١</sup>

أظل الوجودَ المساءَ الحزين      وفي كفه معزفٌ لا يُبين  
وفي ثغره بسمات الشجون      وفي طرفه حسرات السنين  
وفي صدره لوعة لا تَقْرُ      وفي قلبه صعقات المنون

وتبقى تلك الموسيقى المعبرة عن الحزن والأسى؛ تلف أطراف القصة وتتشح الصور بوشاح كئيب حزين، وهو يصور لنا تفاصيل القصة، ويرصد التحركات وقت المساء من كائنات وبشر وطبيعة، وتأتي تلك الصور منسجمة مع معاناة الشاعر. ويخرج الشاعر في قصته من دائرة العتمة والظلام والأحزان ليدخل في دائرة الضوء والأمل، ويتحول النغم عبر الوزن ليعطي مساحة جديدة تعبر عن انفعالات الشاعر: <sup>٢</sup>

أهبتُ بقلبي، المهلوع، الجزوع      وقد كان من قبلُ جلدًا شديد  
( ( تجلّد ولا تستكنُ للـيالي      فما فاز إلّا الصبور الجليد ))  
( ( ولا تأسَ من حادثات الدهور      فخلف الدياجير فجرٌ جديد ))  
( ( ولولا غيومُ الشتاء الغضابُ      لما نصّدَ الروضُ تلك الورود ))  
ولولا ظلام الحياة العبوسُ      لما نسج الصبحُ تلك البرود ))

لقد تحولت الموسيقى ومن خلال الوزن نفسه لتعبر عن الأمل ولتأتي الصورة الجديدة أكثر إشراقاً، ولتعبر عن الحالة الجديدة، وتولد الأنوار والحياة وسط الظلام من جديد، والشاعر يعبر من خلال الوزن والقالب الذي يستخدمه عن موضوع تجربته الشعرية التي عاشت في أعماقه وخضعت لما في النفس من أسى وحزن أو سعادة وفرح.

تعددت الأغراض التي كتب فيها الشاعر وتنوعت واتخذت طابعا مميزا، لما فيها من التأمل والحزن والغزل والطبيعة والثورة وتداخلت هذه الموضوعات مع بعضها

١ - أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ص ١٠١ .  
٢ - المصدر السابق، ص ١٠٣ .

واندمج الذاتي بالعام ، ((والملاحظ عامة أنه يكتب في أغراض عدة وفي حالات متنوعة داخل البحر الواحد))<sup>١</sup> وسأخذ مثالا على ذلك:

البحر الخفيف لقد كتب الشاعر على هذا الوزن في موضوع الوطنية ومن ذلك قصيدة إلى الشعب التي جاء فيها <sup>٢</sup>:

أين يا شعبُ قلبك الخافق الحساسُ؟ أين الطموحُ والأحلامُ؟  
أين يا شعبُ، روحك الشاعر الفنان؟ أين الخيالُ والإلهامُ؟  
وقد عبر من خلال البحر ذاته عن الحب وذلك في قصيدة (صلوات في هيكل الحب):<sup>٣</sup>

عذبةٌ أنتِ كالطفولةِ ، كالأحلامِ كاللحن ، كالصبح الجديد  
كالسماءِ الضحوكِ كالليلةِ القمرَاءِ كالوردِ كابتسامِ الوليد  
يا لها من وداعةٍ وجمالٍ وشبابٍ مُنعمٍ أملود !  
يا لها من طهارةٍ تبعثُ التقديسَ في مهجة الشقي العنيد!

ومما نظمه في البحر نفسه في موضوع التأمل قصيدة (سر مع الدهر):<sup>٤</sup>

سر مع الدهر ، لا تصدّك الأهوال ، أو تفرعنك الأحداث  
سر مع الدهر ، كيفما شاءت الدنيا ، ولا يخدعنك النفاث  
فالذي يهرب الحياة شقيٌّ سخرت من مصيره الأجداث

وبذلك نرى الشاعر عبر بوزن واحد عن موضوعات متعددة ، ومن ينظر في الديوان يجد الشيء نفسه بالنسبة لبقية البحور التي نظم عليها الشاعر ، فلم يخص وزنا معين لغرض معين ، بل كان يخضع ذلك لما يناسب التجربة التي يعايشها ، وما يعبر عن انفعالاته ، ولقد استطاع الشاعر من خلال الأوزان التي استخدمها تصوير انفعالاته المختلفة على مدار الموضوعات التي كتب فيها والتي ساهمت من خلال موسيقاها على بث الحياة وشد المتلقي

إلى الصورة الفنية التي يعبر بها الشاعر عن تجربته الشعرية .

١ - كيف نعتبر الشابي مجدداً : الطاهر الهمامي ، ص ١٠٧ .

٢ - أغاني الحياة : أبو القاسم الشابي ، ص ٢٣٩ .

٣ - أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ١٧٨ .

٤ - المصدر السابق : ص ٨٤ .

وقد استخدم الشاعر أغلب الأوزان التي نظم عليها بصورة تامة ، كما استخدم الأوزان المجزوءة وذلك وفق الجدول الآتي :

النسبة المئوية	العدد	الوزن
٨٢% تقريبا	٨٥	التام
١٨% تقريبا	١٩	المجزوء
١٠٠%	١٠٤	المجموع

وهذا يدل على تمكنه من النظم ، ويمضي أبو القاسم الشابي على هذا النحو في استخدام أوزان الشعر دون أن يدخل عليها ما يخالف ما جاء به التراث الشعري العربي. ولكنه استطاع ومن خلال فهمه الواسع والعميق وإيمانه بدور الموسيقى في القصيدة وتكامل هذا الدور في الصورة الفنية من خلال مقدرته على اختيار الأوزان المعبرة عن موضوعاته، و من خلال ألفاظ الصورة التي جاءت موافقة للتجربة التي يعيشها .



## المبحث الثاني :

### \* دور القافية في الصورة الفنية :

للقافية دور بارز في القصيدة العربية وفي الصورة الفنية وهي تعطي بموسيقاها المتكررة رافدا هاما لموسيقى القصيدة، والقافية؛ تتركز على حرف أساسي، يتكرر في كل الأبيات، ويعرف بحرف الروي (( أي إنها في النهاية جماع متحركات وسواكن مرتبة ترتيبا بعينه ))<sup>١</sup> تتكرر في كل أبيات القصيدة، ((وتكرارها هذا يكون جزءا هاما من الموسيقى الشعرية، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية يتوقع السامع تردها...))<sup>٢</sup> وعبر الدكتور عبد الله الطيب عن أهميتها بقوله ((.. كأنما هي واسطة بين النغم والوزن الجرد، وبين رنين ألفاظ الكلام الموضوع فيه ..))<sup>٣</sup> ولقد حاول بعض الشعراء خلال عصور الازدهار السابقة التخلص من عبء القافية ((فنشأ الموشح والبند وفنون الشعر الشعبي ، ودرجت الأغاني التي تستعمل أكثر من قافية واحدة ))<sup>٤</sup> وعادت بوادر التجديد إلى الظهور مع شعراء المهجر، وحيث صار حاجة ملحة مع ظهور المدرسة الإبداعية (( لم يكن من الممكن الإبقاء على الصورة الجامدة للوزن والقافية ، وكان لابد من إدخال تعديل جوهري على هذين العنصرين ))<sup>٥</sup> وهذا يتناسب مع الحالة الشعورية التي تناسب أتباع المدرسة الرومانسية حيث وجدوا في تراثنا الشعري من الموشحات والأسماط وغيرها، وما اطلعوا عليه من شعر الغرب دافعا لخوض التجربة الجديدة ، ولقد تطور مفهوم القافية واتخذت وجهها سهلا فالقافية هي الحرف الذي يجيء في آخر البيت ، وهو ما يعرف بحرف الروي، وتبدو قيمة القافية في القصيدة من خلال الدور الذي تقوم به مع العناصر الموسيقية الأخرى في تشكيل الصورة الفنية ((وهي عميقة التشابك مع السمة العامة للعمل الشعري . فالكلمات تفرن بعضها إلى بعض الآخر بالقافية ))<sup>٦</sup> وأصبحت القافية مرتبطة بالتعبير عن التجربة الشعرية للشاعر وقيمتها بارتباطها بتجربته وتفاعلها فيها ((إن القافية في الشعر ليست غالبية بذاتها، وإنما يتوسل بها الشاعر لنقل التجربة وذوولها فلا ميزة لها إذا توحدت ، كما أنه لا ضير فيها إذا تخالفت، وإنما فضيلتها مع روح التعبير والشعور ))<sup>٧</sup> وأبو القاسم الشابي شاعر الحياة الذي أرهف سمعه للأصوات التي حملت مشاعره وجعل الشعر ابن الروح، وجاءت

١- أحمد كشك : القافية تاج الإيقاع الشعري ، القاهرة ١٩٨٣، ص ١٣ .

٢- د، إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر ، ط٥، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ٢٤٦ .

٣- د- عبد الله الطيب : المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، ج٢ في الجرس اللفظي، ط٤، مطبعة جامعة الخرطوم، ص ٥٧ .

٤- نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر ، منشورات مكتبة النهضة ، ص ١٦٢ .

٥- د - عز الدين إسماعيل : الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية ، ط٥ ، المطبعة الأكاديمية القاهرة ص ٥٥ .

٦- علي إبراهيم أبو زيد : الصورة الفنية في شعر دعبيل الخزاعي ، ط٢، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣ م ص ٣٨٣ .

٧- إيليا الحاروي : في النقد والأدب ج ١، ص ١٢١ .

الموسيقى صورة حية لما يجيش في النفس، وما يناسب الغرض والمضمون، والشاعر كتب القصائد التي تنتهي بقافية واحدة والقصائد المتنوعة القوافي.

وأطول قصائده متنوعة القوافي قصيدة (يا شعر) التي جاءت قافيتها ثنائية ومما جاء فيها قوله:<sup>١</sup>

يا شعرُ أنتَ فمُ الشعور، وصرخةُ الروحِ الكئيبِ

يا شعرُ أنتَ صدى نحيبِ القلبِ، والصبِ الغريبِ

\* \* \*

يا شعرُ أنتَ مدامعُ علقتُ بأهدابِ الحياةِ

يا شعرُ أنتَ دمٌ، تفجّرُ من كلومِ الكائناتِ

\* \* \*

يا شعر! قلبي — مثلما تدري — شقيٌّ، مظلمٌ

فيه الجراحُ، التُّجُلُ، يقطرُ من مغاورها الدمُ

والشاعر في هذه القصيدة وسواها من القصائد المتعددة القوافي، جعل القافية أقرب إلى النفس تخرج من قلب التجربة، لتعبر عن خلجات الروح، ولا تأتي من الخارج (( والشاعر يربط بين هذه الموجات المتتابعة في روحه بالقافية ))<sup>٢</sup> فهو بذلك جعل القافية صورة موسيقية تصدر عن النفس والروح، لتعطي الصورة الفنية نماء وصدقا .

ومن القصائد التي أجرى الشاعر فيها موسيقى القافية على نظام المقطوعات؛ قصيدة (إلى طغاة العالم) التي جعلها في ثلاثة مقاطع وجعل كل مقطع ثلاثة أبيات، وجاءت قافية المقطع الأول الهاء الساكنة بعد حرف المد لتدل بموسيقاها على الزفرات والآلام التي زرعتها الظالم في قلوب الناس وجاءت القافية بموسيقاها لتعطي الصورة قوة وعمقا حيث قال:<sup>٣</sup>

حبيب الظلام عدو الحياة

وكفك مخضوبة من دماه

ألا أيها الظالم المستبدُّ

سخرت بأثام شعب ضعيف

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ص ٥٢.

٢- دورة أبو القاسم الشابي، ص ٢٦٩.

٣- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة و ص ٢٥٥.

وسرتْ تُشوه سِحْرَ الوجود      وتبذر شوك الأسي في رُباه  
وجاء المقطع الثاني على قافية الحاء بعد الألف الممدودة ويدل على التنفس والانفراج  
والتحول من حال إلى حال والذي مطلعته: <sup>١</sup>

رُويدك ! لا يحد عنك الربيع      وصحوُ الفضاء وضوء الصباح  
وفي المقطع الثالث تتجمع القوى، ويتخذ القرار فتذوب حروف المد في قوافي المقطع  
الثالث وتصير بموسيقاها القصيرة أدل على الثورة والغضب وقوة التصميم والإرادة  
حيث قال: <sup>٢</sup>

تأمل هنالك .. أتى حصدت      رؤوس الورى وزهور الأمل  
ورويت بالدم قلب التراب      وأشربته الدمع حتى ثمل  
سيجرفك السيل ، سيلُ الدماء      ويأكلك العاصفُ المشتعل

من خلال تتبع صورة موسيقى القافية في مقاطع القصيدة، نرى تمكن الشاعر من  
التعبير الموسيقي ، الذي أخضع فيه الموسيقى لخلجات القلب ، فجاءت الصورة أقرب  
للفس وأدل على المعنى المراد، (( وإن الشاعر العربي إنما عمد إلى القافية فقرنها بالوزن  
ليضفي عليه صبغا نغميا)) <sup>٣</sup> مع ما انسجمت به موسيقى الوزن والموسيقى الداخلية مع  
موسيقى القافية حيث خرجت القصيدة تتجاوب فيها المعاني حسب الصورة الموسيقية  
النابعة من أعماق النفس والوجدان، وصارت الصورة الفنية بذلك أقدر على نقل  
المعاني .

وفي ديوان الشاعر موضع الدراسة وردت مئة وأربع قصيدة ومقطوعة ما بين  
بيتين ، وثمانية وتسعين بيتا ، منها إحدى وثلاثون قصيدة متنوعة القوافي ، ما بين الثنائية  
، والثلاثية ، والرابعة ، والخماسية ، والسادسية ، والثمانية ، والخمس عشرية ،  
والشاعر يمزج أحيانا بين القوافي ولا يخضع لنظام محدد ، بل يكون ذلك وفقا لمقتضى  
الحالة الشعورية ، ويترك للخيال متسعا للتعبير عن أطراف الصورة الموسيقية للقصيدة ،  
حيث تأتي القافية موافقة للطبع مستجيبة لمعنى البيت ، وتتجاوب الأصوات ضمن

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ص ٢٥٥.

٢- المصدر السابق نفسه، ص ٢٥٥.

٣- د - عبد الله الطيب ، مصدر سابق ج ٣ ص ٦١.

البيت وضمن القصيدة مما يعطي دفقا موسيقيا، يعبر عن تفاعل عميق بين الشاعر وتجربته.

ومن القصائد المتعددة القوافي والتي أحضعها الشاعر لما في النفس فجاءت موسيقاها مجارية للطبع قصيدة ( الصباح الجديد ) :<sup>١</sup>

اسْكُنِي يَا جِرَاحُ      واسْكُنِي يَا شَجُونُ  
ماتَ عهدَ النَّواحِ      وزمانُ الجنونِ  
وأطلَّ الصِّباحُ      من وراء القرونِ

لقد بدأ الشاعر قصيدته بهذه المقطوعة ، وكررها ثلاث مرات وقد يكون للتكرار دور هام في المعنى والمبنى (( فإذا جاء لفائدة كان جزءا من الإطناب ، وكان بليغا محمودا ))<sup>٢</sup> والشاعر في كل مرة يكرر المقطوعة نفسها بعد مقطوعتين رباعيتين ، وقد تكرر ذلك المقطع ثلاث مرات في القصيدة :<sup>٣</sup>

في فِجاجِ الرّدى      قد دفنت الألم  
ونثرتُ الدُّمُوعُ      لرياحِ العدمِ  
واتخذتُ الحياةَ      معزفاً للنَّعمِ  
أَتَغَنَّى عليه      في رحابِ الزمانِ

\*   \*   \*

وأذبتُ الأسى      في جمالِ الوجودِ  
ودحوتُ الفؤادُ      واحةً للنشيدِ  
والضِّيا والظلالُ      والشذى والورودُ  
والهوى والشبابُ      والمُنى والحنانُ

وجعل القافية واحدة في نهاية المقطوعتين الرباعيتين ،(الزمان ، الحنان) بعد أن جعلها ميمًا في المقطع الثاني ، ودالا في المقطع الثالث، معبرا بتلك الأنغام الصادرة عن النفس والمنسجمة مع الطبع عن تجربته، والتي تعبر أصدق تعبير عن قلقه المستمر حيال

١- المصدر السابق نفسه ، ص ٢٢٥  
٢- محمود السيد شيخون: أسرار التكرار في لغة القرآن ، دط ، دار الهداية القاهرة د.ت.  
٣- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ص ٢٢٥.

الصراع بين قطبي الوجود الحياة والموت ، وتأقي قافية المقطع الأخير الميم الساكنة لتناسب صورة السكون ولتعبّر عن المعاناة التي زادت عن الحد، وهو عندئذ يتحول بزورقه عن الدنيا، فتتحول القافية لتأخذ رنيناً جديداً ليكون تكراراً لما جاء في مطلع المقطع ولتعبّر القافية عن صورة الوداع والتأكيد عليه: <sup>١</sup>

الوداع! الوداع! يا جبالَ الهموم  
يا ضبابَ الأسي! يا فجاجَ الجحيم!  
قد جرى زورقي في الخضمّ العظيم  
ونشرتُ القلاعَ .. فالوداع! الوداع!

والشاعر في هذا النسق اتكأ على إحساسه، وصور ما يجيش في نفسه من انفعالات الحياة، التي لم يعرف فيها طعماً للراحة، فكانت الصور تنتقل وسط جو موسيقي صادر عن الطبع، تتجاوب أوصاله، وترتبط خلال نظام جاء ليعبر بصدق وعفوية عن التجربة التي يعيشها الشاعر بكل أنفاسه التي طفحت بما، وليعطي الانسجام المناسب بين ما في النفس وبين حركة الأشياء التي تكون عناصر الصورة الفنية، حيث يكون التوافق بين حركات النفس والخارج.

وتعتبر قصيدة (صلوات في هيكل الحب) من القصائد التي حقق الشاعر فيها التوافق والانسجام بين موسيقى القافية، وبقية البيت الشعري، وتجاوبت مع ما في نفس الشاعر، ومع محيطها الذي ولدت فيه، لأنها صادرة عن معاناة تتشعح بالطبع والعفوية، وتدخل إلى القلوب من دون استئذان ومن ذلك قوله: <sup>٢</sup>

عذبةٌ أنتِ كالطفولةِ ، كالأحلام  
كالسماء الضحوكِ كالليلةِ القمرَاء  
كاللحن ، كالصباح الجديد  
كالورد ، كابتسام الوليد  
يا لها من وداعةٍ وجمال  
وشبابٍ مُنعمٍ أملود!

نلاحظ أنه لارتباط القافية بموسيقى البيت، جعل الشاعر خيطاً موسيقياً يربط بين نغمات الأصوات، وحركات الكلمات، تلك النغمات التي تسلم بعضها لبعض،

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ص. ٢٢٦  
٢- المصدر السابق، ص ١٧٨٢ .

حتى تصل إلى القافية ، لتكون القافية وقفة اطمئنان عند وصول الموجة الموسيقية إلى نهايتها. وسرعان ما تعود لترسم لنا صورة رائعة جديدة من التوافق النغمي ، وذلك من خلال توافق حركة الكسر ضمن المقاطع الصوتية للبيت وصولاً إلى القافية المكسورة أيضاً، والتي جعلتها كاف التشبيه تمنح من خلال التوافق بين الحركات والنغمات روابط توجه أطراف الصورة الموسيقية وتمنحها الاستمرار والحيوية، وساهمت بصورة فاعلة في اندماج المتلقي مع الصورة الفنية التي ترابطت أطرافها لتخلق انسجاماً دخل إلينا بصورة خفية تدل على موهبة الشاعر وعلى الدقة الفنية التي تتوافق مع الطبع، وبذلك جاءت القافية منسجمة مع موسيقى البيت ، ووضعت المتلقي في حالة من الراحة والمتعة التي تخاطب الوجدان ، وتغريه ، وتجذبه بما فيها من انسجام مريح وتناسق موقع .

ولقد جاءت التقفية الداخلية منسجمة مع المعنى الذي يولد في رحم التجربة الشعرية عند الشاعر ، واستجابة داخلية لنداء الطبع ، ولم تكن التقفية الداخلية عند أبي القاسم الشابي مقصودة لغرض بلاغي لذاته ، بل كانت تأتي انسجاماً مع تذبذبات النفس لتعبر عن انفعالات الوجدان المتتالية أي إنها استجابة داخلية لتفاعل الشاعر مع عمله الشعري و إغناء للصورة الفنية التي ترتبط بمفهوم الصورة الموسيقية التي تحل كالروح في جسد الصورة الفنية فتمنحها حيوية ودفناً و انسجاماً ، وتختلف أثراً مريحاً في نفس المتلقي . ولقد وردت التقفية الداخلية في مواقع متفرقة من الديوان ومنها ما جاء في قصيدة ( أيتها الحاملة بين العواصف ) :<sup>١</sup>

أنتِ كالزهرة الجميلة في الغاب ، ولكن ما بين شوكٍ ودود

التقفية الداخلية وقعت في قوله كالزهرة الجميلة ، وأضافت موسيقى ونغماً داخلياً يشد المتلقي ليتبع الصورة الفنية في البيت .

وقوله :<sup>٢</sup> كالملاك البريء كالوردة البيضاء ، كالموج في الخضم البعيد

١- أبو القاسم الشابي :أغاني الحياة ، ص٢١٧

٢- المصدر السابق نفسه ، ص ٢١٧

جاءت التقفية الداخلية في ( البريء ، البيضاء ) أعطت تكرارا للنغم الذي يوقع في النفس أثرا متشابها مما يزيد في الانسجام من قبل المتلقي مع الموضوع والفكرة ، والتقفية جاءت بنت الطبع فلم تقصد لغرض بلاغي آخر كما هو معروف في الشعر العربي القديم ، بل جاءت عفوا ، ومن غير قصد ، وتجاوبت مع أطراف الصورة الموسيقية عند الشاعر لتكون نغمة من أنغام الموسيقى في القصيدة تزيدها ترابطا وحيوية ، وتجعل المتلقي يقبل على الصورة الفنية بشغف وإعجاب لما أحيطت به من موسيقى تساعد المتلقي للوصول إلى أعماق الشاعر التي تصدر عنها صورته وموسيقاه .

## المبحث الثالث :

\* دور الأصوات في الصورة الفنية :

لقد جاء ديوان أغاني الحياة حاملا لأغاني الكون ، فالغناء والإنشاد؛ والأصوات بمختلف درجاتها ومصادرهما ؛ من آلات الطرب ، إلى أصوات الطبيعة ؛ عنا صر أساسية ترفل بها الصورة الموسيقية على مدى الديوان ، وتأتي صورته الفنية مشحونة بطاقات إضافية نابغة من دائرة الأصوات والموسيقى والغناء .

ولقد استمع الشاعر إلى أصوات الجمادات والمعاني ؛ ليعبر بذلك عن عمق تأثره بالأصوات ومن ذلك قوله في قصيدة ( الزنبقة الزاوية ) :<sup>١</sup>

أفي قلبك الغضُّ صوتُ اللهبِ ،      يرتلُ أنشودةَ الهاويةِ

جعل الشاعر للهب صوتا ، وللهاوية أنشودة يرتلها صوت اللهب ، الأصوات في هذا البيت أعطت المعنى بعدا جديدا تمثل بالأصوات التي عبر بها الشاعر عن نهاية الزنبقة .

ومن ذلك قوله :<sup>٢</sup>

إذا أضجرتك أغاني الظلام      فقد عذبتني أغاني الوجوم

جعل الشاعر لليل وللوجوم أغانيا ، وهي أغان أضجرت الزنبقة ، كما عذبت أغاني الوجوم ، الصورة تأتلق في فضاء من الأصوات التي تدفع إلى كثير من الإيحاء بتلك الصورة المتخيلة والتي تحمل دلالات أغاني الظلام ، ودلالات أغاني الوجوم .

ويتوسل الشاعر بالأصوات والألحان ليعبر عن تلك الصورة كما في قوله :<sup>٣</sup>

وتحت رواق الظلام الكئيب      إذا شمل الكونَ روحَ السحرِ

سيُسمعُ صوتٌ ، كلحنٍ شجيٍّ      تطايرَ من خفقات الوترِ

ويقوم الحزن بدور المنشد لتلك الألحان ، التي تشارك بها الطبيعة والكائنات :

يردُّدهُ حزُّننا في سكون      على قبرنا ، الصامتِ المطمئنِّ

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص ٤٩ .

٢- المصدر السابق نفسه ، ص ٥٠ .

٣- المصدر السابق نفسه ، ص ٥١ .



ويوحد الشاعر بينه وبين الزنبقة الزاوية، وتبدو صورة الأحران وهي تردد الألحان الشجية .

ونتابع مع صورة صدى نوح الزنبقة، ذلك الصدى الذي يعود إلى الشاعر، وتأتي معه أصوات جديدة من حفيف جناحي الصدى، إنها أصوات الحزن الميت إنها الصورة الفنية تولد وتنمو مع الأصوات. ويبدو واضحا ولع الشاعر بالأصوات وبما توحى به من إحياءات تعمق الصورة وتمنح المتلقي مساحات إضافية للمشاركة الوجدانية مع هذه الصور.

ونتابع صوراً جديدة للأصوات والأغاني التي تتآلف فيما بينها لتعبر عن صورة الحب والفرح، فتتحول الأصوات والأناشيد والغناء لتبث الفرح والحب والطمأنينة في الصورة الفنية لتعبر عما في وجدان الشاعر، نجد مثالا على ذلك في قصيدة ( أَلحاني السكرى ):

نحن نغدو بين المروج ونُمسي	ونغني مع النسيم المغني
ونناجي روح الطبيعة في الكون	ونُصغي لقلبها المتغني
نحن مثل الربيع: نمشي على أرضٍ	من الزهر، والرؤى، والخيالِ
فوقها يرقص الغرام، ويلهو	ويغني في نشوةٍ ودلالِ

الشاعر في جنته والألحان تظلل حبه، ويناجي مع محبوبته روح الطبيعة، والغرام يغني في نشوة ودلال، صور تلفها أناشيد الفرح والأمل، ولقد أحضر عبر خياله صوراً لعالم الطفولة عالم الفرح والسعادة والأمل، لذلك يرقص الكون وتدب في أوصاله روح الشاعر وترفل الصورة بأثواب الغناء والفرح والحب.

والشاعر يربط بين أطراف الصور التي يحتضنها الفرح وخاصة عندما تولد في الغاب حيث تحضر أناشيد الكون، وتشارك الطبيعة الشاعر، ويبدو أثر الفرح والغناء في عناصرها، ونجد مثالا على ذلك ما جاء في قصيدة: ( من أغاني الرعاة ):

أقبل الصبحُ يغني للحياة الناعسة

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، ص ٢٢٩.  
٢- المصدر السابق نفسه، ص ٢١٣

يبدأ الشاعر قصيدته بهذا البيت الذي يصور فيه صباح الغاب ، فالصباح يتحول إلى  
مغن تستيقظ الكائنات على نغمات غنائه التي تملأ الأجواء ، فالصباح يدب الحياة في  
الكائنات .

ويتابع الشاعر معبرا عما في نفسه من انسجام مع الغاب وحياته ، فيخاطب خرافه التي  
تشاركه رحلة الغاب بقوله :<sup>١</sup>

واسمعي شَبَّابِي تشدو ، بمعسول النشيدُ

نَعْمُ يَصْعَدُ من قلبي ، كأنفاسِ الورودُ

ثم يسمو طائراً ، كالبلبل الشادي السعيدُ

ولتتابع صورة هذا اللحن العجيب الذي ينشد أنغاما تعبر عن فرح وسعادة وهناء  
، ويخرج من القلب فيكون أثره على الآذان مريحا جميلا ، وسرعان ما يرتقي في سلم  
الغناء والفرح ليتمثل بلبلا يشدو سعيدا، فالحياة في الغاب لغة من الأناشيد والفرح  
والأنغام ، ويرفع من مكانة الصورة مشاركة تبادلية بين الحواس ، تعبر عن حالة الفرح  
التي يعيشها الشاعر في الغاب .

فالغناء والأصوات والأناشيد، تعبر كلها عن صور مختلفة ، وتساهم بشكل فاعل في  
نقل ما يعانيه الشاعر، فمعاني الحب وصورة الغاب والفرح والسعادة تتجسد أناشيد  
وألحانا ؛ وفي المقابل تنهض الأصوات والأناشيد بصورة الأسي والأحزان ؛ وقد تتحول  
الأصوات لتصير رموزا لقوى الشر والظلام ، والصور على اختلافها ، تولد في قلب  
المعاناة، وتعبر عن عمق التجربة ، وتلبس الصور عباءة النفس ، وتخرج مع الخيال  
لترتب العالم الخارجي وفق الرؤيا التي ترفل بأثواب الأعماق، لذلك تأتي الصور مدهشة  
وفطرية تعبر عن المعاناة التي تحملها التجربة .

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص ٢١٤ .

٢- المصدر السابق نفسه ، ص ٢٥٦ .

وعندما يقدم إلى الغاب ينشد الرعاة وتغرد الطيور فالأناشيد والتغريد عناصر فاعلة في صورة الفرح والسعادة التي يعيشها الشاعر في الغاب ولتتابع صورة من صور الفرح والجمال من قصيدة ( الغاب ) : (١)

وسمعتُ للطير المغرد في الفضا والسنديان ، الشامخ ، المتسامي  
وإلى أناشيد الرعاة ، مُرْفَةً في الغاب ، شاديةً كسربِ يمام  
وإلى الصدى المِراح ، يهتف راقصاً بين الفجاج الفيح و الآكام  
فالشاعر يصغي بشغف إلى التغريد والأناشيد ويأتيه الصدى يحمل المرح والحياة الأمانى العذاب .

ولتتابع صورة من صور الفرح والحبور؛ صورة اجتمع فيها مع الحبيبة في عهد الصبا وسط الغاب، تلك الصورة في قصيدة (الجنة الضائعة) : ٢:

ونعود نضحك للمروج ، وللزنابق ، والغدير  
ونخاطب الأصدقاء ، وهي ترفُّ في الوادي المنير  
ونعيد أغنية السواقي ، وهي تلغو بالخرير  
نشدو ونرقصُ — كالبلابل — للحياة ؛ وللحبور  
الصور تكتسي حُلل السعادة والسرور ، فالشاعر مع حبيته ، والطبيعة تحتضنهما،  
وأصوات الصدى في الوادي ؛ وأغاني السواقي ؛ ترتل أناشيد الحب والسعادة والوثام،  
والشاعر مع حبيته ، ينشدان في انسجام مع الطبيعة كالبلابل في سعادة ومرح للحياة الرغيدة .

ولتتابع صورة المحبوبة في قصيدة ( صلوات في هيكل الحب ) ، فنرى جمالها اقترن بالأناشيد والغناء والألحان فالألحان العذبة الموقعة ولدت في روح المحبوبة، وامتد أثرها على الوجود فأضفت عليه أعذب الألحان : ٣:

وتراءى الجمالُ ، يرقصُ رقصاً قُدُسيًا ، على أغاني الوجود  
وتهادت في أفقِ روحك أوزانُ الأغاني ، ورقةً التغريد

١- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص. ٢٠٨  
٢- المصدر السابق نفسه ، ص ١٧٩ .

فتمايلت في الوجود ، كلحن  
عبقريّ الخيالِ حلو النشيد:  
خطواتٌ سكرانةٌ بالأناشيدِ ،  
وصوتٌ ، كرجع نايٍ بعيد

وتبدو الصورة ترتسم في آفاق الألحان والأغاني والأناشيد التي تعبر عن أثر الحبيبة في الحياة وفي الطبيعة فهي مبعث الغناء الذي خرج من روحها وعبر خطواتها ، وصوتها ترديد لألحان ناي بعيد ، توصل الشاعر بعناصر الغناء ليضفي على الحبوبة صورة من الإلهام والأناشيد التي تمتد في الآفاق و تعانق الوجود.

وعندما يعصف الحزن بقلبه ويستبد الأسي بروحه تتحول الأغاني إلى بكاء وتصمت الطيور وتشهق المزامير، وتبدو هذه الصورة في قصيدة (إلى قلبي التائه):

ما لآفاقك يا قلبي سودا ، حالكات ؟  
ولأطيارك لا تلغو ؟ فأين النغمات؟  
ما لمزمارك لا يشدو بغير الشهقات ؟  
ولأوتارك لا تحفق إلا شاكيات  
ولأنغامك لا تنطق إلا باكيات

تحولت الصورة بفعل تحول دلالات الأصوات فصارت تعبر عن الحزن والألم الجاثم في قلب الشاعر فجاءت الصورة معبرة عن التجربة الشعرية وحملت الأنغام والأناشيد والأوتار الرؤيا الجديدة رؤيا الأحران و الآلام التي أحاطت بالشاعر .

ونرى الألحان التي تتأتى عن الشعر تشد السامع إليها ، لأن الشاعر استطاع أن يجعل موسيقى الأبيات موافقة للمعاني، فنحس بالأنس والعذوبة تسري بهدوء عندما يتحدث عن الحب والجمال والطبيعة عندها تكون الحياة مشرقة فتزدهي صورته بموسيقى عذبة كقوله في قصيدة ( جدول الحب ) :<sup>١</sup>

قد كان لي ما بين أحلامي الجميلة جدولُ  
يجري به ماء الحبة طاهراً يتسلسلُ

فنرى موسيقاه الهادئة تدغدغ السمع بلطف ونعومة كأنها همس الرقيق .

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص٧٨.  
٢- المصدر السابق نفسه ، ص ٢٧٠.

وقد تأتي الموسيقى صاخبة مجلجلة فتعطي الصورة معاني القوة الغضب والجيشان  
، كما في (قصيدة زئير لعاصفة) :<sup>١</sup>

فيا أيها الظالم المصعّر خدّه      رويدك ! إن الدهر يبني ويهدم  
سيئار للعزّ الخطم تاجّه      رجالٌ إذا جاش الردى فهم هم

إن أصوات الألفاظ وترتيبها يعبر عما في نفس الشاعر من غضب وحقد على الظلم  
ولقد استطاع الشاعر من خلال موسيقى الألفاظ التعبير عما في النفس وإغناء الصورة  
الفنية ، وزيادة تأثيرها على المتلقي .

و الشاعر يحسن إلى صورته من خلال الاستخدام المناسب لقوافيه وحركاتها ،  
فعندما تتحدث القصيدة عن الآلام والأحزان تأتي القافية مقيدة لتعبر عن الغصة  
والأحزان التي تجثم على صدر الشاعر ونجد مثالا على ذلك في قصيدة (الذكرى) :  
٢

كنّا كزوجي طائر ، في دوحة الحبّ الأمين

نتلو أناشيدَ المنى بين الخمائل والغصون

وشدا بلحن موتٍ في الأفق الحزين المستكين

وجاءت القافية المقيدة ترجيع لأنات الشاعر على فراق محبوبته<sup>٣</sup> ، وقدمت الصورة  
الموسيقية إضافة فاعلة للصورة الفنية ، وتفاعلت معها، ونقلت معاناة الشاعر إلى المتلقي

والشاعر يسند موسيقاه إلى أحاسيسه ومشاعره ، فتأتي الرؤيا موافقة للطبع ، وتحمل  
الصورة ما في الوجدان ، فتكون الموسيقى تارة قوية تتدفق بسرعة لتعبر عن المعاني  
التي يريدتها الشاعر ، كما في قوله من قصيدة (إرادة الحياة) :<sup>٤</sup>

ومن لم يعانقه شوق الحياة      تبخر في جوّها واندر

١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة ، ص ٨٩.

٢- جرجس ناصيف : أبو القاسم الشابي في شعره ، ط١، دار الفكر اللبناني بيروت ١٩٩٣م ص ١٦٠-١٦١.

٣- المصدر السابق نفسه، ص ٢٣١.

وتهدأ الموسيقى ، ويزداد مداها، وتتغير نبراتها عندما ينتقل الشاعر إلى فكرة فيها حوار وتأمل كما في قوله :

سألت الدجي :هل تعيد الحياة ، لما أذبلته ، ربيع العمر ؟

الموسيقى تهدأ وتمتد نغماتها لتناسب الموقف الحوارى .

من خلال ما تقدم نجد الشابي قد جعل من الموسيقى والألفاظ أحد الأركان الهامة التي تقوم عليها قصائد أغاني الحياة ، تلك الأغاني التي حملت قطبي الحياة، وجاءت الموسيقى مناسبة في الحالتين ،وهذا يدل على عمق تبصر الشاعر وعمق التجربة التي تصدر عنها الأغاني ،وكون أغانيه تصدر عن القلب حملت ما فيه من ألحان تأتي عذبة هادئة لطيفة حيناً ،وتأتي حاملة صور الأسى والأحزان حيناً آخر ، وقد تشور وترتفع نغماتها صاحبة مجلجلة تارة أخرى؛ ولكنها تعبر في كل الأحوال عما في نفس الشاعر، وتدخل إلى أعماق المتلقي ليعيش بكل أحاسيسه مع تجربة الشاعر ويتفاعل معها .

## المبحث الرابع:

### \* دور التكرار في الصورة الفنية :

للتكرار دور بارز في تأكيد المعنى ، ويرافق ذلك عودة نغمية موسيقية لها صورتها الخاصة المرتبطة بأعماق النفس ، والتي تضيف للمعنى غنى ورجحانا بالتأكيد على صورة بعينها ونقل أثرها ، وتشبيته في نفوس المتلقين ، وقد عرف العرب التكرار منذ القديم ، و للتكرار مكانة مرموقة في القرآن الكريم (( إن من يتتبع أسلوب التكرار في القرآن الكريم ، يتضح له أنه يشتمل على كثير من اللطائف والأسرار، التي تكسب الكلام حسنا وجمالا ، وتكسوه رونقا وبهاء ))<sup>١</sup>، وقد ظهر أسلوب التكرار عند أتباع المدرسة الرومانسية للتعبير عما في نفوسهم من انفعالات وتوترات ، و تعاملوا معه على أنه أسلوب من أساليب التجديد في الشعر (( ذلك أن أسلوب التكرار يحتوي كل ما يتضمنه أي أسلوب آخر من إمكانيات تعبيرية . إنه في الشعر مثله في لغة الكلام ، يستطيع أن يغني المعنى ويرفعه إلى مرتبة الأصالة ))<sup>٢</sup> وعلاقة التكرار سواء أكان بالحرف ، أو الكلمة ، أو الجملة ، أو البيت الشعري ، أو المقطع ، ترتبط بما يؤديه التكرار من قيمة جمالية وفنية ومعنوية وموسيقية .

وستتبع التكرار بمختلف أشكاله؛ ونبدأ مع تكرار حرف واحد بحركة واحدة ، وسنبين مدى مقدرته على شد انتباهنا، ودور موسيقى التكرار ، و نتابع ما يحمل من معان بحسب ما يتصل به من صور جديدة من ذلك قوله في قصيدة صلوات في هيكل الحب :<sup>٣</sup>

عذبة أنت كالطفولة ، كالأحلام كاللحن ، كالصباح الجديد  
فتكرار حرف الكاف جاء، ليربط بموسيقاه و يايقاع واحد يصدر عن صوت الكاف المتكرر الصور التي تدور حول الجمال المتفرد لتلك المرأة .

١- د- محمود السيد شيخون : أسرار التكرار في لغة القرآن ، ص ٢١ .

٢- نازك الملائكة : مرجع سابق ، ص ٢٣٠ .

٣- أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ١٧٨ .

ويبدو أثر النغمات الصوتية لبعض الحروف ، ومنها أثر أصوات حرف النون في قصيدة  
(تحت الغصون ) : <sup>١</sup>

وأرى روحك الجميلة عطرا  
قد تغنيت منذ حين بصوت  
ضايعا في حلاوة التلحين !  
ناعم ، حالم ، شجيّ حنون  
نغما كالحياة عذبا عميقا  
في حنان ، ورقة ، وحنين

وحرف النون يدل على الرقة والعذوبة ، وتناسب هذه النغمات الصادرة عن حرف  
النون في هذه الأبيات التي تأتي كعقد يربط أطراف العذوبة والرقة والحنان ، وكأن  
الموسيقى الصادرة عن صوت النون وتكرارها يؤكد المعاني الواردة في الصورة .  
وقد يريد الشاعر أن يؤكد فكرة تلح عليه فتأتي على صور شتى ، ويكرر كلمة  
قبلها ليلفت الانتباه بموسيقاها التي تعيد إلى الأذهان ما سبق ، ومن ذلك ما جاء في  
قصيدة : قلب الشاعر : <sup>٢</sup>

ههنا في قلبي الرحب ، العميق !  
ههنا تعصفُ أهوال الدجي  
يرقص الموتُ وأطيافُ الوجود !  
ههنا ، تحفّق أحلام الورود  
ههنا تتهفُّ أصداءُ الفنا  
والأسى ، في موكبِ فخمِ النشيد  
ههنا الفجر الذي لا ينتهي  
ههنا الليل الذي لا يبید  
خالد الثورة ، مجهول الحدود  
ههنا ، ألف خضمّ ، ثائرٍ  
صُورُ الدنيا ، وتبدو من جديد  
ههنا ، في كلِّ آنٍ تمّحي

كرر الشاعر وعلى مدار أبيات المقطع السبعة كلمة ههنا عشر مرات ، وألح الشاعر  
على هذه الكلمة لما تحويه من إشارة إلى الصور التي يحملها الشاعر في قلبه ، لذلك كرر  
نغمات الكلمة على مدار المقطع معتمدا نظاما خاصا به خاضعا لرؤياه فجاءت في فاتحة  
الشطر الأول في كل الأبيات ، وتعود في مطلع الشطر الثاني للبيت الثاني ، وكذلك في  
البيت الثالث ، والخامس وهذا يدل على ولع الشاعر بالموسيقى واهتمامه ببناء الصورة

١ - أبو القاسم الشابي : أغاني الحياة ، ص ٢٣٥ .  
٢ - المصدر السابق ، ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .



الموسيقية ،ويبدو الشاعر يتبع ما في داخله من إحساس يعبر من خلاله عن الصورة الفنية .

وقد يكرر الشاعر مقطعا يؤكد من خلال ذلك الصورة التي يريد الشاعر أن يؤكدها، فتعطي بموسيقاها تكرارا للأذن التي تتوقف عند النغم المتكرر ، في تلك الجملة الموسيقية والتي ترسم صورة موسيقية تتكرر بنظام محدد في القصيدة ، وسنقف عند هذا اللون في قصيدة (الكآبة المجهولة): يبدأ الشاعر القصيدة بقوله <sup>١</sup>:

(أنا كئيب أنا غريب )

ويختتم المقطع الأول بقوله :

كآبةُ الناسِ شعلةٌ ، ومتى

مرّت ليالٍ خبّتْ مع الأمد

أما اكتئابي فلوعةٌ سكنتْ

روحي، وتبقى بها إلى الأبد

ويعود الشاعر في مطلع المقطع الثاني ويكرر قوله : (أنا كئيب أنا غريب )

وفي نهاية القصيدة يعود ويكرر ما ختم به المقطع الأول <sup>٢</sup>:

كآبةُ الناسِ شعلةٌ ، ومتى

مرت ليالٍ خبّتْ مع الأمد

أما اكتئابي فلوعةٌ سكنتْ

روحي وتبقى بها إلى الأبد

والشاعر أخضع فضاء القصيدة إلى تصميم خاص حيث بدأ بجملة موسيقية معينة ، تعبر مع الصورة الفنية عن معنى يريد أن يؤكد الشاعر فكره ليعيد إلى ذهن المتلقي ما تحمل هذه الصورة من معان متميزة وتدل على تميز الشاعر في كآبته ، كما تعبر عن رهافة ذوقه الموسيقي .

١- أبو القاسم الشابي: أغاني لحياة ص ٤٥ .

٢- المصدر السابق : ص ٤٦ .

لقد وفق الشاعر في اختياره الموسيقي، ونوع في استخدامها ، كما نوع في استخدام الأصوات والحركات التي تلائم المعنى ، وجاءت الألفاظ الموحية والمعبرة بجرسها الموسيقي لتدل على المعنى، وتنطق به أو تعبر عما فيها من دلالات وإيحاءات، أصغى إليها الشاعر في أحضان الطبيعة ومرامي الكون الفسيح ، فانطبع في وجدانه وقلبه، ونقلها إلينا ليعبر بها عن خلجات الفؤاد، فجاءت موافقة للطبع قريبة إلى القلوب، تزيد المعنى حسنا وتكسبه بهاء، لتتسجم مع الصورة الفنية وما تحويه من قيم جمالية ، وطوع الأنغام حسب الموقف التعبيري، ووفق التجربة والمعاناة، لذلك جاءت الموسيقى حافلة بظلال النفس تمنح الصورة حياة ونماء ، ولقد استطاع الشاعر أن يتجاوز مسلمات الموسيقى التي جاء بها عمود الشعر العربي ، وأخضع الأوزان لرؤيته الشعرية والفنية ، وترك للنفس حرية التعبير موسيقيا بما يلائم التجربة الشعرية التي يصدر عنها الشعر ، وكتب القصائد بقافية واحدة ، كما نوع في القوافي ، وذلك حسب ما تمليه عليه التجربة الشعرية ، وموسيقاه تنبع من أعماقه وغالبا ما تجيء الألفاظ حاملة للأنغام والألحان المناسبة ، ونبعت الموسيقى ، من اختيار الأوزان ، واستخدام القوافي المناسبة ، وكان لحسن التقسيم ، والتكرار بمختلف أنواعه كتكرار الحروف أو الألفاظ ، أو الجمل أو الأبيات ، دورا في الموسيقى ، وقد نوع الشاعر في موسيقى الصورة وابتعد بذلك عن الملل الذي يحدثه التكرار الموسيقي الواحد ، لذلك تارة يكثر من حروف المد أو حروف الصفير أو غيرها مما يناسب المعنى ، فتخرج الصورة الفنية مشبعة بالصدق والعاطفة ، وأخرى تبرز الكلمات التي تحوي جرسا موسيقيا ، فتضفي قيمة إضافية للصورة الفنية وتترك أثرا أبلغ في نفس المتلقي ووجدانه .

## الخاتمة

### نتائج البحث

\* - واجه الشاعر أعباء التجديد، وتحدث عن الشعر نثرا وشعرا وجعل الشعر قضية حياته فظهرت ذاتيته ويقظة إحساسه من خلال ارتباطه بقضايا مجتمعه وعصره بل بهموم الإنسان عامة، وجاءت الصورة الفنية عبر تراسل الحواس، وحمل بطبعه وشخصيته قوة الإحساس وحدة العاطفة والثورة على الظلم والجهل، لذلك عاش الرومانسية كمذهب أدبي من خلال مطالعته ومن خلال الواقع .

\* - جاءت الصورة الفنية انعكاسا لثقافة الشاعر ونفسيته، وبيئت ظروف الحياة المحيطة به وموقفه من الحياة وطموحه .

\* - الصورة الفنية تصدر عن الطبع المرتبط بالخيال وتدعو إلى ضرورة التغيير وتجاوز الواقع إلى تحقيق الحلم .

\* - الصورة الفنية تنطلق من الزمن البدء، وتصدر عن الشعور ، وتدعو إلى صميم الحياة حيث أغاني الحياة الأبدية بعد الحياة الدنيا التي انتصر عليها فخرج منها مبتسما .

\* - عاش الصورة الفنية حالة نفسية وجسدية، إنها لحظة معاناة ومكابدة حقيقية تخرج في بيت الطبع الصادر عن الصدق، تحمل هموم الإنسان وتتجاوز حدود الزمان والمكان .

\* - جعل الصورة الفنية تعبر عما في الطبيعة والحب والطفولة، إنها الحياة في أزهى صورها فالحياة الحقة حياة الشعور والشعر، والطبيعة بصورتها الرومانسية مكان للتجدد والأمن والسلام والتخلص من الغربة الروحية في المجتمع لذلك حملت صور الطبيعة آمال وآلام الشاعر .

\* - في الصورة الفنية يتجاوز الشاعر الألم ليحوّله إلى رفض للواقع الفاسد ساعيا للتخلص منه ومن الاستبداد والتخلف، وتفوق بمشاعره وشعره على قسوة الحياة وأقبل عليها بإعجاب باعثا فيها النور وباحثا عن جمالها وموسيقاها .

\* - جاءت الصورة الفنية عبر الرمز واستلهام الموروث الأسطوري وفق رؤيا الشابي وأحلامه.

\* - الصورة الفنية ربطت الحسي بالمعنوي عبر الموسيقى الخاضعة للروح والطبع وحققت الامتزاج بين اللفظ والمعنى .

\* - يصدر الصورة الفنية عن روحه فتعبر الأصوات عن مدى التجربة وتنقل إلى التجربة دورا إضافيا لموسيقى الوزن.

\* - كان ينساق خلف التداعي النفسي فتكثر الصفات المتقاربة في الأصوات و تتكدس الصفات التي تعبر عن الحالة النفسية للشاعر ، والتي تضعف الصورة الفنية .

\* - لم يجعل الشاعر الأغراض في محور محددة بل كان يكتب في أغراض عدة وفي حالات متنوعة داخل بحر واحد ، ويظهر تعلقه ببعض البحور أكثر من غيرها واعتمد في أخريات حياته على البحور الكاملة.

\* -تبنى الصياغة العروضية التراثية فعبرت عن أسلوبه وطابعه ، وتعلق ببعض البحور أكثر من غيرها ، وكانت موسيقاه تصدر عن الطبع وتلازم الحالات النفسية فشري بذلك الصورة الفنية وتعززها لأنها تصدر عن الطبع وما في النفس ووفق التجربة .

لقد استطاع الشاعر أن يكون لنفسه طريقا سلكه وسط مذهب الرومانسية، و ترك بصماته الواضحة في محيط الأدب العربي الحديث في المغرب والمشرق على حد سواء ، و عاش حياته للشعر الذي لم يتوقف عنه رغم مرضه ، فجاء قويا معبرا عن الحياة والتحدي .

- الجديد في الدراسة :

إنها الدراسة الأولى التي تناولت الصورة الفنية بكل جوانبها كما حددها أهل البلاغة والنقد .

وقف الباحث خلال الدراسة على كل ما يخص البحث محاولا بذلك الإحاطة التامة بالموضوع .

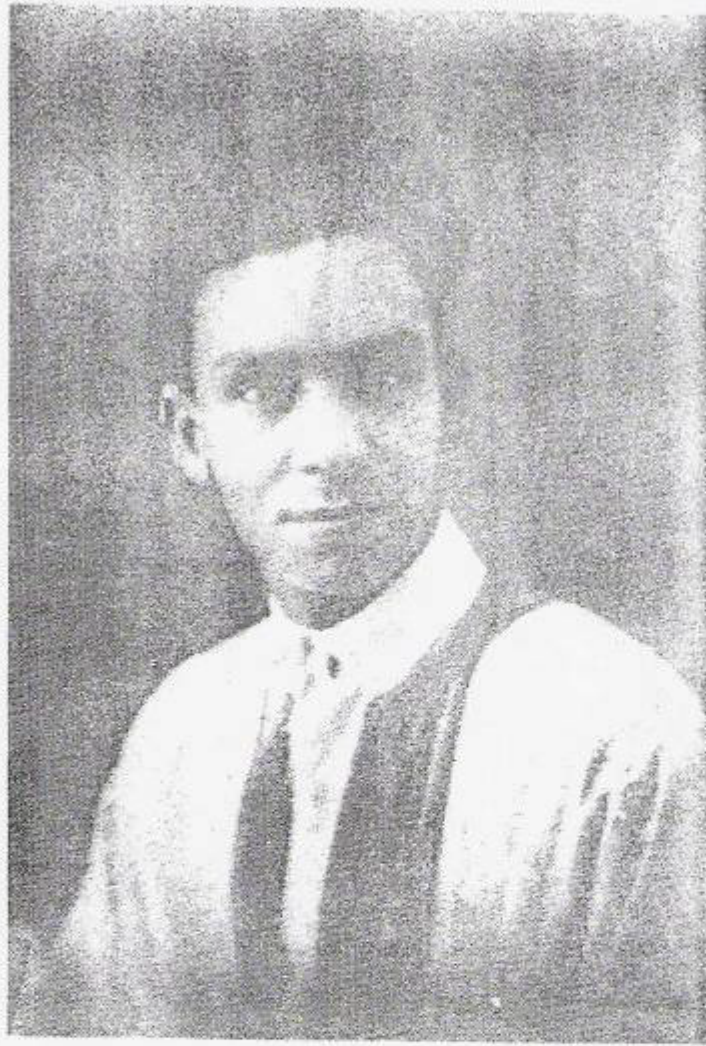
كما رد الباحث بعض الظواهر في شعر الشاعر إلى الخلفية الإيمانية للشاعر واستند الباحث في ذلك على تأثر الشاعر بالقرآن الكريم .

## المقترحات :

لقد كان الشابي سابقا أقرانه بطموحه وهمته العالية ونظرتة الإنسانية المتأملة في قيم الخير والجمال التي عاش يدعو لها محاربا الظلم والظلام والجهل بكل أطيافه محاولا الوصول إلى عالم الخير والحق والجمال ، وهذا ما يدعو الباحث للوقوف عند ثقافته الأولى والتي جاءت على يدي والده ومن القرآن الكريم ، وإني أوصي الباحثين النظر في أشعار الشابي من خلال البحث عن أثر القرآن الكريم في بناء اللفظة الشعرية والموسيقى المميزة التي تفرد بها من بين أقرانه ، والبحث عن أسباب تفوقه رغم صغر سنه وأثر الإيمان و الصدق وعلو الهمة والطموح في ذلك .

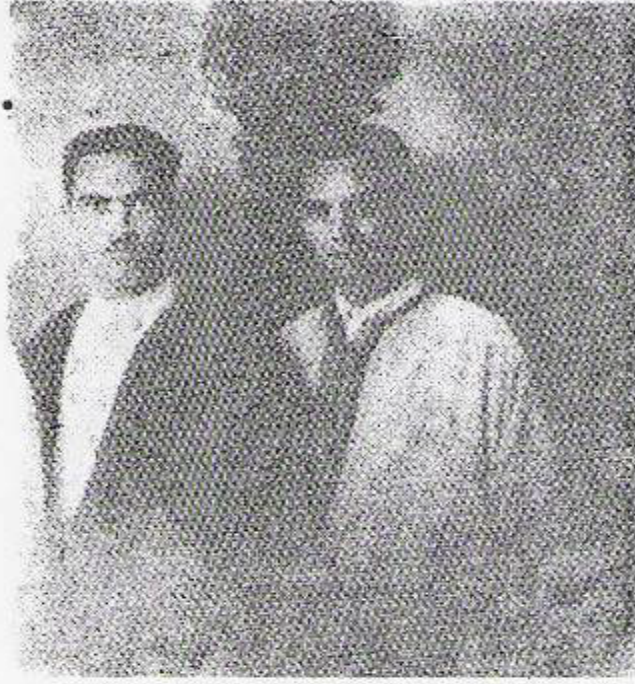
وأتمنى من الله أن أكون قد وضعت لبنة جديدة وجديدة في عالم هذا الشاعر الفذ ..

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .



صورة الشابي عام 1930

١- محمد الحليوي: رسائل الشابي، المجلد الثاني، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين، دار المغرب العربي تونس ١٩٩٤م، وردت في مقدمة الكتاب.



الشباب والبشروش عام 1927



محمد الخليوي في عام 1934

الخليوي : رسائل الشباب ، ط ١ ، المجلد الثاني ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين ، دار المغرب العربي ، تونس  
في مقدمة الكتاب .

عاقبة توزر

٤٤/٤/٤٤

عزير، الألف  
كسبة على كسرة، وما أشوف في يا أي اللي را إلى أحوال  
واللي فكوران نديك وأصوات نبيك. ولكن  
قد أردت ان كمر مني جني حانه التعه الصغيم التي  
هي مني ما سمع في الفدر لي من وقع الكياة.  
للا مشفد الحك نسيث أخاك، وما احسب الخلان  
المخون والسامع هي ابتصر قبك على مرارة  
أنتيك رصه جيت بك عن تذكر اغوانك الذي  
لديتبار فهم ذكراك.

سأحك الي يا صديق رعبك. وذلك من  
ما قولك كنبعاً ما ن نبيك فورا لحر ك  
حانه السامع. وعساك لا تفتي عني بعد الآن  
بعاً ناليب جت قشوف.

اشي الآن من كثر شهر انهم بالمامه بعضه تبديل  
المرآة والاشهبا أو أشع الآن التي أحسن فليلد  
من قبله. وكسبه أدرى ما سبكون المشفيل عني  
وتحياتي اليك  
أبو النكسم الشابي

نموذج من خط الشابي : ( الرسالة 31 )

١- محمد الحليوي : رسائل الشابي ، المجلد الثاني مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين ، دار المغرب العربي تونس ١٩٩٤م  
، وردت في مقدمة الكتاب .



## المصادر والمراجع

القرآن الكريم

### أولاً: المصادر الأساسية:

- ١- أبو القاسم الشابي: أغاني الحياة، تحقيق وتقديم الدكتور نور الدين صمود، ط١، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، دار المغرب العربي - تونس ١٩٩٤ م .
- ٢- \_\_\_\_\_ : ديوان أغاني الحياة ، ط١ ، دار الكتب الشرقية تونس ١٩٥٥ م.
- ٣- \_\_\_\_\_ : ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله ، ضبط وشرح د : محمد نبيل طريفي . المكتبة العصرية صيدا بيروت ٢٠٠٢ م.
- ٤- \_\_\_\_\_ : الخيال الشعري عند العرب ، ط١ ، إعداد وتقديم ، د: عبد السلام المسدي ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، دار المغرب العربي \_\_\_\_\_ : \_\_\_\_\_ : تونس ١٩٩٤ م .
- ٥- \_\_\_\_\_ : الأعمال الكاملة لأبي القاسم الشابي ، المجلد الأول الشعر ، المجلد الثاني النشر ، ط١ ، مداخلة وتحقيق : د : إميل أ . كبا، دار الجيل بيروت ١٤١٨ هـ - \_\_\_\_\_ م. ١٩٩٧ م.
- ٦- \_\_\_\_\_ : رسائل الشابي ، ط١ ، إعداد محمد الحليوي ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، دار المغرب العربي - تونس ١٩٩٤ م.
- ٧- \_\_\_\_\_ : مذكرات ، إعداد وتقديم و الدكتور كمال عمران ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، دار المغرب العربي تونس ١٩٩٤ م.
- ٨- أبو القاسم محمد كرو : الشابي في مرآة معاصريه ، ط١ ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، مطبعة دار المغرب العربي - تونس ، ١٩٩٤ م .
- ٩- \_\_\_\_\_ : آثار الشابي وصداه في الشرق ، ط١ ، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت (فبراير) ١٩٦١ م

- ١٠ - : دراسات عن الشابي، طبعة جديدة، الدار العربية للكتاب -  
طرابلس الغرب ليبيا ١٩٨٣م.
- ١١ - : نشر الشابي ومواقفه من عصره ، ط١ ، مؤسسة جائزة عبد  
العزیز سعود البابطين للإبداع الشعري ، مطبعة دار المغرب العربي - تونس ١٩٩٤م .
- ١٢ - جان نعوم طنوس : ملامح الموت والحياة في شخصية أبي القاسم الشابي وشعره  
، ط١ ، منشورات دار علاء الدين بيروت سنة ٢٠٠١ .

## ثانيا: المصادر القديمة :

- ١- أبو العلاء المعري: اللزوميات المجلد الأول — دار صادر للطباعة والنشر ببيروت ١٩٦١م.
- ٢- الجاحظ: الحيوان — ج ٣ ، ط ٣ ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار إحياء التراث العربي بيروت ١٣٨٨هـ — ١٩٦٩م.
- ٣- حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، د ط، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة — مطبعة دار الكتب الشرقية بتونس : ١٩٦٠.
- ٤- عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة ، ط ١، تحقيق د محمد الاسكندراني — د.م. مسعود دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
- ٥- \_\_\_\_\_ :دلائل الإعجاز ، ط ٢، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة ١٤١٠هـ — ١٩٨٩م .
- ٦- الفيروز آبادي : القاموس المحيط، طبعة جديدة ، ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي ، إشراف مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر ، ١٤١٥هـ — ١٩٩٥م.
- ٧- القاضي بن عبد العزيز الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه ، ب ط، تحقيق وشرح :محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية القاهرة ١٩٦٦م.
- ٨- يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليميني : كتاب الطراز الجزء الثاني ، د ط ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ١٩٨٣م.

## رابعاً: المراجع العامة:

- ١- د، إبراهيم أنيس : موسيقى الشعر ، ط ٥، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٧٨م
- ٢- إبراهيم أمين الزرزموني: الصورة الفنية في شعر علي الجارم ، د ط، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع مصر ٢٠٠٠م
- ٣- د ، أحمد عبد الله سامي : الشاعر السوداني التجاني يوسف بشير ، د ط ، دار البلد - الخرطوم ١٩٩٩م.
- ٤- أحمد قبّش :تاريخ الشعر العربي الحديث، د. ط ، دار الجيل - بيروت لبنان ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.
- ٥- أحمد القصاب : تاريخ تونس المعاصر ، تعريب حمادي الساحلي ، ط ١، الشركة التونسية للتوزيع تونس ١٩٨٦م.
- ٦- د، أحمد كشك : القافية تاج الإيقاع الشعري، د. ط ، جامعة القاهرة - كلية دار العلوم ١٩٨٣م.
- ٧- أدونيس : مقدمة للشعر العربي ، ط ٤، دار العودة - بيروت ١٩٨٣م.
- ٨- ——— : زمن الشعر ، ( ط ٢) مطبعة دار العودة بيروت ١٩٧٨م.
- ٩- د، أسعد أحمد علي: علم المعاني ومقتضى الحال ، ط ٢، مطبعة دار الكتاب - دمشق ١٩٩١م.
- ١٠- إيليا الحاوي :في النقد والأدب - الجزء الأول ، ط ٤، دار الكتاب اللبناني - بيروت لبنان ١٩٧٩م.
- ١١- ——— : الشعر العربي المعاصر - أبو القاسم الشابي ، ط ٤، دار الكتاب اللبناني - بيروت لبنان ١٩٨٤م.
- ١٢- ——— : الرومنسية في الشعر الغربي والعربي ، ط ٢ ، دار الثقافة بيروت - لبنان ١٩٨٣م
- ١٣- د، بشرى موسى : الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث، ط ١ ، المركز الثقافي العربي ، بيروت - لبنان ١٩٩٤م.

- ١٤- د تامر سلوم : نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، ط١، دار الحوار اللاذقية سوريا ١٩٨٣م.
- ١٥- التيجاني يوسف بشير :ديوان إشراقة، ط٦، ١٩٧٦م، الناشر دار البلد الخرطوم ١٩٩٩م.
- ١٦- د، جابر عصفور :الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، ط٣، المركز الثقافي العربي - بيروت ١٩٩٢م.
- ١٧- \_\_\_\_\_ : قراءة التراث النقدي، ط١، دار سعاد الصباح الصفاة الكويت ١٩٩٢م.
- ١٨- \_\_\_\_\_ : مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي الطبعة الثانية ، ١٩٨٢ دار التنوير للطباعة والنشر بيروت لبنان
- ١٩- جرجس ناصيف - أبو القاسم الشابي في شعره - دار الفكر اللبناني ، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م
- ٢٠- جودت الركابي :منهج البحث الأدبي في إعداد الرسائل الجامعية :دبلوم ماجستير دكتوراة، ط١، دار ممتاز دمشق ١٩٩٢م.
- ٢١- د، حلمي مرزوق الأستاذ بجامعة الإسكندرية :الرومانتيكية والواقعية في الأدب، الأصول الإيديولوجية، بيت الحكمة -بيروت ١٩٨٣م.
- ٢٢- حمادي صمود، هشام الريفي ، محمد قوبعة ، محمد لطفي اليوسفي ، عبد الله صولة: دراسات في الشعرية الشابي نموذجاً ، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات ، بيت الحكمة المطابع الموحدة - تونس ١٩٨٨م.
- ٢٣- حنا عبود : النحل البري والعسل المر دراسة في الشعر السوري المعاصر، د. ط، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق ١٩٨٣م.
- ٢٤ - خليفة محمد التليسي: الشابي وجبران، ط٤، الدار العربية للكتاب طرابلس الغرب ليبيا ١٩٧٨م.
- ٢٥- رجاء النقاش : أبو القاسم الشابي شاعر الحب والثورة ، ط١، دار القلم بيروت - لبنان ١٩٧١م.

- ٢٦ - ريتا عوض : أبو القاسم الشابي ، د ط ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٨٣ م .
- ٢٧- د السعيد الورقي : لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية ، ط١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩ م .
- ٢٨- سيد قطب : النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، ط ٥ ، دار الشروق بيروت ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- د شكري عياد : موسيقى الشعر العربي ، ط ٢ ، دار المعرفة القاهرة ، ١٩٧٨ م .
- ٢٩ - شوقي ضيف : في النقد الأدبي ، ط ٦ ، دار المعارف القاهرة ١٩٨١ م .
- ٣٠ - \_\_\_\_\_ : دراسات في الشعر العربي المعاصر - الطبعة السابعة دار المعارف القاهرة ١٩٧٩ م .
- ٣١- د، صفاء خلوصي: فن التقطيع الشعري والقافية، ط ٥، مكتبة المثني - بغداد ١٩٧٧ م .
- ٣٢ - طه وادي : شعر ناجي الموقف والأداة، ط ٢ ، دار المعارف القاهرة ١٩٨٢ م .
- ٣٣ - د، الطاهر أحمد مكي : الشعر العربي المعاصر روائعه ومدخل لقراءته ، ط ١ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٠ م .
- ٣٤- الطاهر الحداد : امرأتنا في الشريعة والمجتمع، ط ٢ ، الدار التونسية للنشر - تونس ١٩٧٢ م .
- ٣٥- الطاهر الهمامي : كيف نعتبر الشابي مجددا ، د ط ، دراسة عروضية لـديوان الشابي ، الدار التونسية للنشر تونس ، ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦ م .
- ٣٦ - د، عبد الفتاح صالح نافع : عضوية الموسيقى في النص الشعري ، ط ١ ، مكتبة المنار الأردن ١٩٨٥ م .
- ٣٧- عبد القادر القط : الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر ، ط ٢ ، دار النهضة العربية بيروت ١٩٨١ م .
- ٣٨ - د، عبد الكريم اليافي : دراسات فنية في الأدب العربي ، ط ١ ، مطبعة جامعة دمشق ، ١٩٦٣ م .

- ٣٩- د، عبد الله الطيب : المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، ج ٢ في الجرس اللفظي ، ط ٤ ، ١٩٩١ ، مطبعة جامعة الخرطوم ، دار جامعة الخرطوم للنشر .
- ٤٠ - \_\_\_\_\_ ، ج ٣ في الرموز والكنيات والصور .
- ٤١ - \_\_\_\_\_ ، ج ٤ في الأغراض والأساليب . ط ٢ ١٩٩٣ م ، مطبعة جامعة الخرطوم .
- ٤٢- د، عبد المجيد الحر : أبو القاسم الشابي أعطى الحياة إرادتها وأخذ منها حزنها وكآبتها ، ط ١ ، دار الفكر العربي بيروت ١٩٩٤ م .
- ٤٣- د، عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية ، ط ٥ ، المكتبة الأكاديمية القاهرة ١٩٩٤ م .
- ٤٤ - د، عدنان حسين قاسم: التصوير الشعري رؤية نقدية لبلاغتنا العربية ، ط ١ ، مكتبة الفلاح الكويت ١٩٨٣ م .
- ٤٥ - د، علي البطل : الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري ، ط ٣ ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٨١ م .
- ٤٦ - د، علي إبراهيم أبو زيد : الصورة الفنية في شعر دعبل بن علي الخزاعي ، ط ٢ ، دار المعارف القاهرة ١٩٨٣ م .
- ٤٧ - عمر فروخ : الشابي شاعر الحب والحياة ، ط ٢ ، دار العلم للملايين بيروت ، ١٩٧٤ م .
- ٤٨ - عيسى علي العاكوب : العاطفة والإبداع الشعري ، ط ١ ، دار الفكر دمشق سوريا ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م .
- ٤٩ - الدكتور قاسم البريسم : منهج النقد الصوتي في تحليل الخطاب الشعري ، ط ١ ، دار الكنوز الأدبية ، بيروت ، ٢٠٠٠ م .
- ٥٠ - د. مصطفى السعدني : التصوير الفني في شعر محمود حسن إسماعيل ، د ط ، منشأة المعارف بالإسكندرية ١٩٧٧ م .

- ٥١- د، محمد حسن عبد الله — أساطير عابرة الحضارات الأسطورة والتشكيل ، د ط، دار قباء القاهرة ، ٢٠٠٠ م .
- ٥٢- محمد صالح الجابري : الشعر التونسي المعاصر ١٨٧٠-١٩٧٠ م ، د ط، الشركة التونسية للتوزيع تونس ١٩٧٤ م.
- ٥٣- د، محمد الطارق الكاتب : موازين الشعر الحديث باستخدام الأرقام الثنائية، د ط، بغداد ١٩٧١ م .
- ٥٤- د، محمد عبد المنعم خفاجي : البحوث الأدبية مناهجها ومصادرها ، د ط، دار الكتاب اللبناني - بيروت د ت .
- ٥٥- \_\_\_\_\_ : حركات التجديد في الشعر الحديث، ط ١ ، دار الوفاء الإسكندرية ٢٠٠٢ م .
- ٥٦- \_\_\_\_\_ : ، الدكتور عبد العزيز شرف الأستاذ رشيد الذوايدي : الشابي ومدرسة أبولو، ط ١ ، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، تونس ١٩٨٦ م .
- ٥٧- محمد الفاضل ابن عاشور: الحركة الأدبية والفكرية في تونس ، النشرة الثالثة ، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٣ م .
- ٥٨- محمد فتوح ، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، ط ٢ ، دار المعارف - القاهرة ١٩٧٨ م .
- ٥٩- د، محمد مندور: النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، د ط، دار نهضة مصر للطبع والنشر الفجالة القاهرة ، د ت .
- ٦٠- محمود السيد شيخون: وكيل كلية الدراسات الإسلامية والعربية ورئيس قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الأزهر بالقاهرة: أسرار التكرار في لغة القرآن الكريم ، ط ٢ ، مطبعة دار الهداية القاهرة ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .
- ٦١- \_\_\_\_\_ : الاستعارة نشأتها وتطورها، ط ٢، دار الهداية القاهرة ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .
- ٦٢- ميخائيل أديب : نظرية في علم العروض وتعليمه ، د ط، حلب ، د ت .



- ٦٣- ميخائيل نعيمة : الغربال ، ط١١ ، مؤسسة نوفل بيروت لبنان ١٩٧٨م.
- ٦٤- نازك الملائكة : قضايا الشعر المعاصر ، ط٥ ، دار العلم للملايين بيروت ١٩٧٨م.
- ٦٥- نصرت عبد الرحمن : الصورة الفنية في الشعر الجاهلي في ضوء النقد الحديث ، ط٢ ، مكتبة الأقصى ، عمان ١٩٨٢م
- ٦٦- د، نعيم اليافي : تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث ، د ط ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق ١٩٨٣م.
- ٦٧- \_\_\_\_\_ : الشعر العربي الحديث دراسة نظرية في تأصيل تياراته الفنية ، د ط ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٨١م.
- ٦٨- \_\_\_\_\_ : مقدمة لدراسة الصورة الفنية ، د ط ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ١٩٨٢م.
- ٦٩- الهمشري : ديوان شعر ، جمعه وحققه وقدم له ، صالح جودت ، د ط ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٤م.

## خامسا :الرسائل الجامعية:

- ١- أشرف محمود حنفي نجا: الصورة الفنية في شعر ابن سهل ، رسالة جامعية ، ماجستير، إشراف :د محمد زكريا عناني جامعة الإسكندرية ، كلية الآداب ١٩٨٩م.
- ٢- أحمد فهمي محمد ، السمات المستحدثة في أبنية القصيدة وأدائها الفنية من سنة ١٩٥٠ - ١٩٧٥ ، رسالة جامعية دكتوراة، جامعة الاسكندرية ٢٠٠٢م.
- ٣- تيسير جريكوس :الصورة الفنية في شعر بدوي الجبل ،رسالة ماجستير ،إشراف الدكتور يعقوب البيطار ،جامعة تشرين سوريا ١٩٩٣م.
- ٤- خالد عبد الله المقداد :الصورة الفنية في شعر إبراهيم ناجي ،رسالة جامعية ،ماجستير، إشراف دكتورة هدى الصحناوي، جامعة دمشق ١٩٩٨م.
- ٥- عبد الله عساف:الصورة الفنية في الشعر العربي المعاصر في سوريا ولبنان ١٩٤٥/١٩٧٥م.
- أطروحة دكتوراة جامعة حلب .
- ٦- هيفاء عربية : الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث :الإحيائية - والرومانسية - والمعاصرة أطروحة دكتوراة،ياشراف د عصام قصبجي جامعة دمشق ١٩٩٨م.

### ثالثاً: الدورات الأدبية :

١- دورة أبي القاسم الشابي مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، مقر الأمانة العامة لـ مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين في الكويت ١٩٩٦ م.

٢- دورة الأختل الصغير : مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، طباعة مؤسسة الجائزة ٢٠٠٠ م.

## سادسا:المراجع المترجمة :

- ١- أرشيبالد ما كليش — الشعر والتجربة ، ترجمة سلمى الجيوسي ، بيروت سنة ١٩٦٣م
- ٢- جيروم ستو لينتز:النقد الفني.دراسة جمالية وفنية ، ط٢ ، ترجمة د ، فؤاد زكريا ، الهيئة المصرية للكتاب ، د ت ، .
- ٣- رنيه وليك ، آوستن وآرلن : نظرية الأدب ، تعريب الدكتور عادل سلامة أستاذ الأدب الإنجليزي جامعة عين شمس ، دار المريخ الرياض ١٩٩١م.
- ٤- س،مورية :الشعر العربي الحديث ١٨٠٠ - ١٩٧٠م تطور أشكاله وموضوعاته بتأثير الأدب الغربي ، د ط،ترجمه وعلق عليه د- شفيح السيد ،سعد مصلوح ، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٨٦م .
- ٥- عدد من الباحثين السوفيت المختصين بنظرية الأدب العالمي:نظرية الأدب ، دط، ترجمة الدكتور جميل نصيف التكريتي،وزارة الثقافة والإعلام الجمهورية العراقية ١٩٨٠م.
- ٦- غيور غي غاتشف : الوعي والفن دراسات في تاريخ الصورة الفنية .. ترجمة د- نوفل نيوف - مراجعة د. سعيد مصلوح رجب ١٤١٠ هـ / فبراير شباط ١٩٩٠م عالم المعرفة - الكويت
- ٧- ك . ك . راثفين : الأسطورة، ط١،ترجمة جعفر صادق الخليلي ، منشورات عويدات ، بيروت — باريس ١٩٨١م.
- ٨- كولردج ، دط، د محمد مصطفى ،بدوي ، سلسلة نوابع الفكر الغربي (١٥) دار المعارف ١٩٥٨م
- ٩- ويليام ك. ويمزات وكليث بروكس : النقد الأدبي ،الجزء الرابع ، ط١،ترجمة د.حسام الخطيب ،محيى الدين صبحي ، مطبعة جامعة دمشق ١٩٧٦م.

## سابعاً: الدوريات

- ١- إبراهيم بن مراد : محاولة في تحليل شاعرية الشابي ،مجلة الفكر السنة ١٥ العدد ٤ ، يناير ، تونس ، ١٩٧٠م.
- ٢- البشير بن سلامة :سر خلود شعر الشابي،مجلة الحياة الثقافية ،السنة التاسعة ،العدد ٣٤،تونس ١٩٨٤م.
- ٣- د .عبد الله العساف :اللوحه التشكيلية وأثرها في الصورة الفنية في شعر الحدائة ، مجلة الوحدة، المجلس القومي للثقافة العربية ، السنة السابعة - العدد ٨٢-٨٣ - يوليو\ أغسطس ١٩٩١- الشعر العربي
- ٤- د شكري محمد عياد :إنكسار النموذجين الرومنسي والواقعي في الشعر ،مجلة عالم الفكر ، وزارة الإعلام في الكويت ،الجلد التاسع عشر - العدد الثالث -أكتوبر - نوفمبر - ديسمبر ١٩٨٨\ م .
- ٥- ليلي بن ماوي :الشابي في سرك وعلنك :صورة منك !،مجلة التربية الشاملة ،السنة الثانية العدد ١٤،تونس جمعية الأولياء والمربين ، أكتوبر ١٩٦٨م.
- ٦- محمد شرارة : أبو القاسم الشابي ..لحن لم يتم ،مجلة العرفان ،العدد ٥٧ الجزء الثالث ،أب أغسطس ١٩٦٩م.

ثامنا:المراجع الأجنبية :

١-WELLEK(rene):A History of modern Criticism

:١٧٥٠- ١٩٥٠, Yale University Press ١٩٥٥.

٢- Jerome Beaty William H. Matchett ,Poetry From Statement To Meaning ,New york Oxford University press – ١٩٦٥.

٣- The Meaning of Meaning , I.A.Richards , G. k. Augden , keg an Paul - ١٩٣٠ .

٤- Empson ,w .,((Seven types of Amleignity)) ,Lon.١٩٦٥.

## المحتويات

الصفحة	الموضوع
١	الإهداء
٢	شكر وتقدير
٣	مقدمة عامة .
١٢	مستخلص الرسالة باللغة العربية .
١٣	مستخلص الرسالة باللغة الإنجليزية.
١٥	تمهيد: تعريف بالشاعر.
١٦	١- المولد والنشأة .
١٧	٢- عصره.
١٨	٣- ثقافته وتعليمه .
٢٠	٤- شخصية أبي القاسم الشابي .
٢٣	٥- أبو القاسم الشابي والشعر .
٢٧	٥- أبو القاسم الشابي ومتاعب الحياة.
٢٨	٦- الشابي في ضمير العرب .
٢٩	٧- آثار الشابي .
٣١	الفصل الأول: موضوعات الصورة الفنية في شعر أبي القاسم الشابي.
٣٢	١ - تمهيد .
٣٤	٢- المبحث الأول: آراء ونظرات بين الفرح والحزن.
٥٠	٣- المبحث الثاني: صورة همومه والطموح والانتصار.
٦١	٤ - المبحث الثالث: صورة الطبيعة .
٦٦	٥- المبحث الرابع: تطور صورة الحب .
٧١	٦- المبحث الخامس: صورة الوطن والوطنية .

٨١	الفصل الثاني : مفهوم الصورة الفنية ودورها في شعر الشاعر.
٨٢	١- تمهيد : الصورة الفنية بين التقليد والتجديد .
٨٦	٢- المبحث الأول : مفهوم الصورة الفنية عند الرومانسيين.
٨٩	٣- المبحث الثاني: ملامح الصورة الفنية في نثر أبي القاسم الشابي
٩٦	٤- المبحث الثالث : اللغة الشعرية في شعر الشابي
١٢٢	٥- المبحث الرابع : بعض الصيغ والأساليب اللغوية في شعر الشابي.
١٣٨	٦- المبحث الخامس: مقارنة بين الشابي والبيجاني والهمشري.
١٤٦	الفصل الثالث : دور الخيال في الصورة الفنية .
١٤٧	١- تمهيد
١٥١	٢- المبحث الأول : دور التشبيه في الصورة الفنية .
١٧٦	٣- المبحث الثاني : دور الاستعارة في الصورة الفنية .
٢٠٠	٤- المبحث الثالث : دور الرمز في الصورة الفنية .
٢١٦	٥- المبحث الرابع : الصورة الفنية والمنهج الأسطوري.
٢٢٧	الفصل الرابع : الموسيقى والصورة الفنية .
٢٢٨	١- تمهيد .
٢٣١	٢- المبحث الأول : دور الأوزان في الصورة الفنية.
٢٣٧	٣- المبحث الثاني : دور القافية في الصورة الفنية .
٢٤٣	٤- المبحث الثالث: دور الأصوات في الصورة الفنية .
٢٥٠	٥- دور التكرار في الصورة الفنية .
٢٥٤	الخاتمة نتائج البحث
٢٥٧	ملحقات .
٢٥٩	المصادر والمراجع .